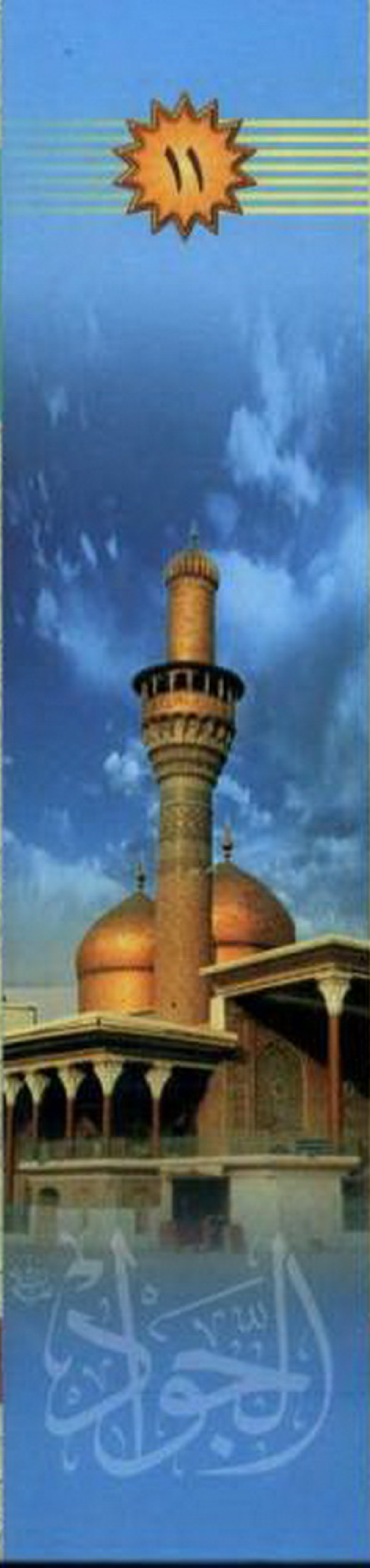
١١

أعلام الهداية

الإمام محمد بن علي عليه السلام

«الجواد»



المجمع العالمي لأهل البيت

أعلام الهداية

الإمام محمد بن علي الجواد عليه السلام

المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام

«قم المقدسة»

اسم الكتاب: أعلام الهداية (ج ١١)

الإمام محمد بن عليّ الجواد عليه السلام

المؤلف: لجنة التأليف

الموضوع: كلام وتاريخ

الناشر: مركز الطباعة والنشر للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام

الطبعة الاولى: ١٤٢٢ هـ ق

الطبعة الثانية: ١٤٢٥ هـ ق

المطبعة: ليلى

الكمية: ٥٠٠٠

شابك: ٢-٢٧-٥٦٨٨-٩٦٤ ISBN: 964-5688-27-2

www.ahl-ul-bayt.org

أهل البيت عليهم السلام في القرآن الكريم

إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا

سورة الأحزاب / آية : ٣٣

أهل البيت عليهم السلام

في السنة النبوية

إني تارك فيكم الثقلين

كتاب الله وعترتي أهل بيتي

ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبدا

« الصحاح والمسانيد »

فهرس إجمالي

الباب الأول :

الباب الثاني:

الباب الثالث :

الباب الرابع :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أعطى كلّ شيء خلقه ثم هدىٰ، ثم الصلاة والسلام على من اختارهم هداةً لعباده، لا سيما خاتم الأنبياء وسيّد الرسل والأصفياء أبو القاسم المصطفىٰ محمد (ﷺ) وعلىٰ آله الميامين النجباء .

لقد خلق الله الانسان وزوّده بعنصري العقل والإرادة، فبالعقل يبصر ويكتشف الحقّ ويميّزه عن الباطل ، وبالإرادة يختار ما يراه صالحاً له ومحقّقاً لأغراضه وأهدافه .

وقد جعل الله العقل المميّز حجةً له على خلقه، وأعانه بما أفاض على العقول من معين هدايته ؛ فإنّه هو الذي علّم الإنسان ما لم يعلم، وأرشده إلى طريق كماله اللائق به، وعرّفه الغاية التي خلقه من أجلها، وجاء به إلى هذه الحياة الدنيا من أجل تحقيقها .

وأوضح القرآن الحكيم بنصوصه الصريحة معالم الهداية الربّانية وآفاقها ومستلزماتها وطرقها ،كما بيّن لنا عللها وأسبابها من جهة، وأسفر عن ثمارها ونتائجها من جهةٍ أُخرىٰ .

قال تعالى :

﴿ قُلْ إنّ هُدى الله هو الهُدىٰ ﴾ [الانعام (٦) : ٧١] .

﴿ والله يهدي من يشاء إلىٰ صراطٍ مستقيم ﴾ [البقرة (٢): ٢١٣] .

﴿ والله يقول الحقّ وهو يهدي السبيل ﴾ [الاحزاب (٣٣) : ٤] .

﴿ ومن يعتصم بالله فقد هُدي إلى صراطٍ مستقيم ﴾ [آل عمران (٣) : ١٠١] .

﴿ قل الله يهدي للحقّ أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتّبع أ مّن لا يهدّي إلّا أن يُهدى فمالكم كيف تحكمون ﴾ [يونس (١٠) : ٣٥] .

﴿ ويرى الذين اُوتوا العلم الذي اُنزل اليك من ربّك هو الحقّ ويهدي إلى صراط العزيز الحميد ﴾ [سبأ (٣٤) : ٦] .

﴿ ومن أضلّ ممن اتّبع هواه بغير هدىً من الله ﴾ [القصص (٢٨) : ٥٠] .

فالله تعالى هو مصدر الهداية وهدايته هي الهداية الحقيقية، وهو الذي يأخذ بيد الانسان إلى الصراط المستقيم وإلى الحقّ القويم.

وهذه الحقائق يؤيدها العلم ويدركها العلماء ويخضعون لها بملء وجودهم.

ولقد أودع الله في فطرة الانسان النزوع إلى الكمال والجمال ثمّ مَنّ عليه بإرشاده إلى الكمال اللائق به، وأسبغ عليه نعمة التعرّف على طريق الكمال، ومن هنا قال تعالى : ﴿ وما خلقتُ الجنَّ والإنسَ إلّا ليعبدونِ ﴾ [الذاريات (٥١): ٥٦]. وحيث لا تتحقّق العبادة الحقيقية من دون المعرفة، صارت المعرفة والعبادة طريقاً منحصراً وهدفاً وغايةً موصلةً إلى قمّة الكمال .

وبعد أن زوّد الله الانسان بطاقتي الغضب والشهوة ليحقّق له وقود الحركة نحو الكمال؛ لم يؤمَن عليه من سيطرة الغضب والشهوة؛ والهوى الناشئ منهما، والملازم لهما فمن هنا احتاج الانسان ـ بالإضافة إلى عقله وسائر أدوات المعرفة ـ الى مايضمن له سلامة البصيرة والرؤية؛ كي تتمّ عليه الحجّة، وتكمل نعمة الهداية،

وتنوفّر لديه كلّ الأسباب التي تجعله يختار طريق الخير والسعادة، أو طريق الشرّ والشقاء بملء إرادته.

ومن هنا اقتضت سُنّة الهداية الربّانية أن يُسند عقل الانسان عن طريق الوحي الإلهي، ومن خلال الهداة الذين اختارهم الله لتولّي مسؤولية هداية العباد وذلك عن طريق توفير تفاصيل المعرفة وإعطاء الارشادات اللازمة لكلّ مرافق الحياة .

وقد حمل الأنبياء وأوصياؤهم مشعل الهداية الربّانية منذ فجر التاريخ وعلى مدىٰ العصور والقرون ، ولم يترك الله عباده مهملين دون حجةٍ هاديةٍ وعلمٍ مرشدٍ ونورٍ مُضيء ، كما أفصحت نصوص الوحي ـ مؤيّدةً لدلائل العقل ـ بأنّ الأرض لا تخلو من حجة لله على خلقه ، لئلّا يكون للناس على الله حجّة ، فالحجّة قبل الخلق ومع الخلق وبعد الخلق ، ولو لم يبق في الأرض إلّا اثنان لكان أحدهما الحجّة، وصرّح القرآن ـ بشكلٍ لا يقبل الريب ـ قائلاً : ﴿ **إنّما أنت منذر ولكلّ قوم هاد** ﴾ [الرعد (١٣) : ٧].

ويتولّى أنبياء الله ورسله وأوصياؤهم الهداة المهديّون مهمّة الهداية بجميع مراتبها، والتي تتلخّص في :

١ ـ تلقّي الوحي بشكلٍ كامل واستيعاب الرسالة الإلهية بصورة دقيقة. وهذه المرحلة تتطلّب الاستعداد التام لتلقّي الرسالة، ومن هنا يكون الاصطفاء الإلهي لرسله شأناً من شؤونه، كما أفصح بذلك الذكر الحكيم قائلاً : ﴿ **الله أعلم حيث يجعل رسالته** ﴾ [الانعام (٦) : ١٢٤] و ﴿ **الله يجتبي من رسله من يشاء** ﴾ [آل عمران (٣) : ١٧٩].

٢ ـ إبلاغ الرسالة الإلهية الى البشرية ولمن أُرسلوا إليه، ويتوقّف الإبلاغ على الكفاءة التامّة التي تتمثّل في «الاستيعاب والإحاطة اللازمة» بتفاصيل

الرسالة وأهدافها ومتطلّباتها، و «العصمة» عن الخطأ والانحراف معاً، قال تعالى : ﴿ كان الناسُ أُمّةً واحدةً فبعث اللهُ النبيِّين مبشّرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بـالحقّ ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ﴾ [البقرة (٢) : ٢١٣].

٣ ـ تكوين أُمةٍ مؤمنةٍ بالرسالة الإلهية، وإعدادها لدعم القيادة الهادية من أجل تحقيق أهدافها وتطبيق قوانينها في الحياة ، وقد صرّحت آيات الذكر الحكيم بهذه المهمّة مستخدمةً عنواني التزكية والتعليم، قال تعالى: ﴿ يزكّيهم ويعلّمهم الكتابَ والحكمة ﴾ [الجمعة (٦٢): ٢] والتزكية هي التربية باتجاه الكمال اللائق بالإنسان. وتتطلّب التربية القدوة الصالحة التي تتمتّع بكلّ عناصر الكمال، كما قال تعالى : ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أُسوة حسنة ﴾ [الاحزاب (٣٣) : ٢١].

٤ ـ صيانة الرسالة من الزيغ والتحريف والضياع في الفترة المقرّرة لها ، وهذه المهمة أيضاً تتطلّب الكفاءة العلمية والنفسية، والتي تسمّى بالعصمة.

٥ ـ العمل لتحقيق أهداف الرسالة المعنوية وتثبيت القيم الأخلاقية في نفوس الأفراد وأركان المجتمعات البشرية وذلك بتنفيذ الأُطروحة الربّانية، وتطبيق قوانين الدين الحنيف على المجتمع البشري من خلال تأسيس كيانٍ سياسيٍّ يتولّى إدارة شؤون الأُمة على أساس الرسالة الربّانية للبشرية، ويتطلّب التنفيذ قيادةً حكيمةً، وشجاعةً فائقةً، وصموداً كبيراً، ومعرفةً تامةً بالنفوس وبطبقات المجتمع والتيارات الفكرية والسياسية والاجتماعية وقوانين الإدارة والتربية وسنن الحياة، ونلخّصها في الكفاءة العلمية لإدارة دولةٍ عالميةٍ دينية، هذا فضلاً عن العصمة التي تعبّر عن الكفاءة النفسية التي تصون القيادة الدينيّة من كلّ سلوكٍ منحرفٍ أو عملٍ خاطئٍ بإمكانه أن يؤثّر تأثيراً سلبيّاً على مسيرة القيادة وانقياد الأُمة لها بحيث يتنافى مع أهداف الرسالة وأغراضها .

وقد سلك الأنبياء السابقون وأوصياؤهم المصطفون طريق الهداية الدامي، واقتحموا سبيل التربية الشاقّ، وتحمّلوا في سبيل أداء المهامّ الرسالية كلّ صعب، وقدّموا في سبيل تحقيق أهداف الرسالات الإلهية كلّ ما يمكن أن يقدّمه الإنسان المتفاني في مبدئه وعقيدته، ولم يتراجعوا لحظة، ولم يتلكؤوا طرفة عين.

وقد توّج الله جهودهم وجهادهم المستمرّ على مدى العصور برسالة خاتم الأنبياء محمد بن عبدالله (ﷺ) وحمّله الأمانة الكبرىٰ ومسؤولية الهداية بجميع مراتبها، طالباً منه تحقيق أهدافها. وقد خطا الرسول الأعظم (ﷺ) في هذا الطريق الوعر خطواتٍ مدهشة، وحقّق في أقصر فترةٍ زمنيةٍ أكبر نتاجٍ ممكنٍ في حساب الدعوات التغييرية والرسالات الثورية ، وكانت حصيلة جهاده وكدحه ليل نهار خلال عقدين من الزمن ما يلي :

١ ـ تقديم رسالةٍ كاملةٍ للبشرية تحتوي على عناصر الديمومة والبقاء .

٢ ـ تزويدها بعناصر تصونها من الزيغ والانحراف .

٣ ـ تكوين أُمةٍ مسلمةٍ تؤمن بالإسلام مبدأً، وبالرسول قائداً، وبالشريعة قانوناً للحياة .

٤ ـ تأسيس دولةٍ إسلاميةٍ وكيانٍ سياسيٍّ يحمل لواء الإسلام ويطبّق شريعة السماء .

٥ ـ تقديم الوجه المشرق للقيادة الربّانية الحكيمة المتمثلة في قيادته (ﷺ) .

ولتحقيق أهداف الرسالة بشكلٍ كاملٍ كان من الضروري :

أ ـ أن تستمرّ القيادة الكفوءة في تطبيق الرسالة وصيانتها من أيدي العابثين الذين يتربّصون بها الدوائر .

ب ـ أن تستمرّ عملية التربية الصحيحة باستمرار الأجيال؛ على يد مربٍّ كفوءٍ علمياً ونفسياً حيث يكون قدوة حسنة في الخلق والسلوك كالرسول(صلى الله عليه وآله)، يستوعب الرسالة ويجسّدها في كل حركاته وسكناته.

ومن هنا كان التخطيط الإلهيّ يحتّم على الرسول (صلى الله عليه وآله) إعداد الصفوة من أهل بيته، والتصريح بأسمائهم وأدوارهم؛ لتولي مهمة إدامة الحركة النبويّة العظيمة والهداية الربّانية الخالدة بأمر من الله سبحانه وصيانة للرسالة الإلهية التي كتب الله لها الخلود من تحريف الجاهلين وكيد الخائنين، وتربية للأجيال على قيم ومفاهيم الشريعة المباركة التي تولّوا تبيين معالمها وكشف أسرارها وذخائرها على مرّ العصور، وحتى يرث الله الأرض ومن عليها.

وتجلّى هذا التخطيط الربّاني في ما نصّ عليه الرسول(صلى الله عليه وآله) بقوله: **«إنّي تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلّوا، كتاب الله وعترتي، وإنّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»**.

وكان أئمة أهل البيت صلوات الله عليهم خير من عرّفهم النبي الأكرم(صلى الله عليه وآله) بأمر من الله تعالى لقيادة الأُمّة من بعده.

إنّ سيرة الأئمّة الاثني عشر من أهل البيت (عليهم السلام) تمثّل المسيرة الواقعية للاسلام بعد عصر الرسول (صلى الله عليه وآله)، ودراسة حياتهم بشكلٍ مستوعبٍ تكشف لنا عن صورة مستوعبة لحركة الإسلام الأصيل الذي أخذ يشقّ طريقه إلى أعماق الأُمة ووجدانها بعد أن أخذت طاقتها الحرارية تتضاءل بعد وفاة الرسول(صلى الله عليه وآله)، فأخذ الأئمة المعصومون (عليهم السلام) يعملون على توعية الأُمة وتحريك طاقتها باتجاه إيجاد وتصعيد الوعي الرساليّ للشريعة ولحركة الرسول (صلى الله عليه وآله) وثورته المباركة، غيرخارجين عن مسار السنن الكونية التي تتحكّم في سلوك القيادة والأُمة جمعاء.

وتبلورت سيرة الأئمّة الراشدين في استمرارهم على نهج الرسول العظيم وانفتاح الأُمة عليهم والتفاعل معهم كأعلامٍ للهداية ومصابيح لإنارة الدرب للسالكين المؤمنين بقيادتهم، فكانوا هم الأدلّاء على الله لنيل مرضاته، والمستقرّين في أمر الله، والتامّين في محبّته، والذائبين في الشوق اليه، والسابقين إلى تسلّق قمم الكمال الإنسانيّ المنشود .

وقد حفلت حياتهم بأنواع الجهاد والصبر على طاعة الله وتحمّل جفاء أهل الجفاء حتّىٰ ضربوا أعلى أمثلة الصمود لتنفيذ أحكام الله تعالىٰ، ثم اختاروا الشهادة مع العزّ على الحياة مع الذلّ، حتى فازوا بلقاء الله سبحانه بعد كفاحٍ عظيمٍ وجهادٍ كبير .

ولا يستطيع المؤرّخون والكتّاب أن يلمّوا بجميع زوايا سيرتهم العطرة ويدّعوا دراستها بشكلٍ كامل، ومن هنا فإنّ محاولتنا هذه إنّما هي إعطاء قبساتٍ من سيرتهم وسلوكهم ومواقفهم التي دوّنها المؤرّخون واستطعنا اكتشافها من خلال مصادر الدراسة والتحقيق ، عسى الله أن ينفع بها إنّه وليّ التوفيق .

إنّ دراستنا لحركة أهل البيت (عليهم السلام) الرسالية تبدأ برسول الإسلام وخاتم الأنبياء **محمد بن عبدالله** (صلى الله عليه وآله) وتنتهي بخاتم الأوصياء، **محمد بن الحسن العسكري المهدي المنتظر** عجّل الله تعالى فرجه وأنار الأرض بعدله.

ويختص هذا الكتاب بدراسة حياة **الإمام محمّد بن علي الجواد** (عليه السلام) **تاسع أئمة أهل البيت**(عليهم السلام) بعد رسول الله(صلى الله عليه وآله) وهو المعصوم الحادي عشر من أعلام الهداية والذي تمثلت كل جوانب الشريعة في حياته فكراً وخلقاً وسلوكاً فكان نبراساً ومثلاً أعلى للبشرية بعد سيّد المرسلين وآبائه الطاهرين الذين أذهب الله عنهم

الرجس وطهرهم تطهيراً.

ولا بدَّ لنا من تقديم الشكر الى كلّ الاخوة الأعزّاء الذين بذلوا جهداً وافراً وشاركوا في إنجاز هذا المشروع المبارك وإخراجه إلى عالم النور، لاسيما أعضاء لجنة التأليف بإشراف سماحة السيد منذر الحكيم حفظه الله تعالى.

ولا يسعنا إلّا أن نبتهل الى الله تعالىٰ بالدعاء والشكر لتوفيقه على إنجاز هذه الموسوعة المباركة فإنه حسبنا ونعم النصير.

المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام

قم المقدسة

الباب الأوّل

فيه فصول :

الفصل الأوّل :

الإمام محمّد الجواد (عليه السلام) في سطور

الفصل الثاني :

انطباعات عن شخصية الإمام الجواد (عليه السلام)

الفصل الثالث :

مظاهر من شخصية الإمام الجواد (عليه السلام)

الفصل الأول

الإمام محمّد الجواد (عليه السلام) في سطور

الإمام أبو جعفر محمد بن علي الجواد (عليه السلام) هو التاسع من أئمة أهل البيت الذين أوصى اليهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) ـ بأمر من الله سبحانه ـ لتولّي مهام الإمامة والقيادة من بعده، بعد أن نصّ القرآن على عصمتهم وتواترت السنة الشريفة بذلك .

وتجسّدت في شخصية هذا الإمام العظيم ـ كسائر آبائه الكرام ـ جميع المثل العُليا والاخلاق الرفيعة التي تؤهّل صاحبها للإمامة الرسالية والزعامة الربّانية .

وتقلّد الإمامة العامة وهو في السابعة من عمره الشريف وليس في ذلك ما يدعو إلى العجب فقد تقلّد عيسى بن مريم (عليه السلام) النبوّة وهو في المهد .

لقد أثبت التاريخ من خلال هذه الإمامة المبكرة صحة ما تذهب اليه الشيعة الإمامية في الإمامة بأنه منصب إلهي يهبه الله لمن يشاء ممّن جمع صفات الكمال في كل عصر ، فقد تحدّى الإمام الجواد(عليه السلام) ـ على صغر سنّه ـ أكابر علماء عصره وعلاهم بحجته بما أظهره الله على يديه من معارف وعلوم أذعن لها علماء وحكّام عصره.

وقد احتفى به(عليه السلام) ـ وهو ابن سبع سنين ـ كبار العلماء والفقهاء والرواة وانتهلوا من نمير علمه ورووا عنه الكثير من المسائل العقائدية ـ الفلسفية

والكلامية ـ والفقهية والتفسيرية الى جانب عطائه في سائر مجالات المعرفة البشرية .

وقد سار هذا الإمام العظيم على نهج أبيه من القيام برعاية الشيعة وتربيتهم علمياً وروحياً وسياسيّاً بما يجعلهم قادرين على الاستمرار في المسيرة التي خططها لهم أئمتهم المعصومون حيث تنتظرهم الأيام المقبلة الّتي تتميّز بالانقطاع عن أئمتهم فكان لابدّ لهم أن يقتربوا من حالة الاكتفاء الذاتي في إدارة شؤونهم فكريّاً وسياسياً واجتماعياً واقتصادياً .

أجل، لقد استطاع هذا الإمام ـ العظيم بالرغم من قصر عمره الشريف ـ أن يحقق أهدافاً كبرى تصبُّ في الرافد الذي ذكرناه .

ويدل استشهاده ـ وهو في الخامسة والعشرين من عمره ـ على مدى نجاحه في حركته وتخطيطه حيث أربك حضوره في الساحة الاجتماعية الإسلامية الحكّام الطغاة واضطرّهم لاغتياله والقضاء على نشاطه البنّاء .

الفصل الثاني

انطباعات عن شخصية الإمام الجواد (عليه السلام)

إنّ مواهب الإمام التقي محمّد بن علي الجواد(عليه السلام) قد ملكت عقول كل من عاصره وتطلّع الى شخصيته العملاقة واطلع على عظمة فكره وكمال علمه. وكل من كان يراه لم يقدر أن يتمالك نفسه أمامه ويخرج من عنده إلّا والإعجاب والخضوع يتسابق بين يديه.

وهنا نشير الى بعض ما وصلنا من معالم عظمته وسموّ شخصيته على لسان من عاصره ثم من كتب عنه وأرّخ له.

١ ـ والده الإمام الرضا (عليه السلام): لقد وصف الإمام الرضا (عليه السلام) ابنه الجواد بما يلي:

أ ـ قال عنه قبل ولادته للحسين بن بشار: **«والله لا تمضي الأيّام والليالي حتى يرزقني الله ولداً ذكراً يفرّق به بين الحقّ والباطل»**[١].

وزاد في نص آخر: **«حتى يولد ذكر من صُلبي يقوم مثل مقامي يحيي الحق ويمحي الباطل»**[٢].

---

(١) الكافي: ١ / ٣٢٠، والارشاد: ٢/٢٧٧.

(٢) رجال الكشي: ٤٦٣.

ب ـ وقال عنه بعد ولادته : «**هذا المولود الذي لم يولد مولود أعظم بركة على شيعتنا منه**»(١).

ج ـ وقال أيضاً : «**هذا أبو جعفر قد أجلسته مجلسي وصيّرته مكاني**»(٢).

د ـ وقال أيضاً لصفوان بن يحيى : «**كان أبو جعفر محدَّثاً**»(٣).

٢ـ **علي بن جعفر (عمّ أبيه)** : «قال محمد بن الحسن بن عمّار : دخل أبو جعفر محمد بن علي الرضا (عليه السلام) مسجد الرسول (صلى الله عليه وآله) فوثب علي بن جعفر بلا حذاء ولا رداء، فقبّل يديه وعظّمه . فقال له أبو جعفر : **يا عمّ اجلس رحمك الله** ، فقال : يا سيّدي كيف أجلس وأنت قائم ؟ !

فلّما رجع علي بن جعفر الى مجلسه جعل أصحابه يوبّخونه ويقولون : أنت عمّ أبيه وأنت تفعل به هذا الفعل ؟ !

فقال : اسكتوا إذا كان الله عزّوجلّ ـ وقبض على لحيته ـ لم يؤهّل هذه الشيبة وأهّل هذا الفتى ووضعه حيث وضعه ، أُنكِرُ فضله ؟! نعوذ بالله ممّا تقولون ! بل أنا له عبد»(٤).

٣ـ **قال الشيخ المفيد** : وكان المأمون قد شغف بأبي جعفر (عليه السلام) لِما رأى من فضله مع صغر سنّه وبلوغه في العلم والحكمة والأدب وكمال العقل ما لم يساوه فيه أحد من مشايخ أهل الزمان ، فزوّجه ابنته أمّ الفضل وحملها معه الى المدينة ، وكان متوفراً على إكرامه وتعظيمه وإجلال قدره(٥).

---

(١) الكافي : ١ / ٣٢١.

(٢) الكافي : ١ / ٣٢١.

(٣) اثبات الوصية : ٢١٢.

(٤) الكافي : ١ / ٣٢٢.

(٥) الارشاد : ٢٨١/٢.

وقال في وصف الإمام أبي جعفر (عليه السلام) حينما أراد تزويجه واعترض عليه العباسيون : «وأما أبو جعفر محمد بن علي قد اخترته لتبريزه على كافة أهل الفضل في العلم والفضل مع صغر سنّه والأعجوبة فيه بذلك .. ثم قال لهم : وَيْحَكم إني أعرف بهذا الفتى منكم ، وإنّ هذا من أهل بيت علمهم من الله ، وموادّه وإلهامه، لم يزل آباؤه أغنياء في علم الدين والأدب عن الرعايا الناقصة عن حدّ الكمال[1] .

وقال له المأمون أيضاً بعد أوّل لقاء معه بعد وفاة أبيه الرضا(عليه السلام) وبعد أن اختبره ـ والإمام لم يتجاوز العقد الأول من عمره ـ : «أنت ابن الرضا حقاً ومن بيت المصطفى صدقاً وأخذه معه وأحسن اليه وقرّبه وبالغ في إكرامه وإجلاله وإعظامه».

٤ ـ وعزّى أبو العيناء ابن الرضا (عليه السلام) عن أبيه (عليه السلام) فقال له : «أنت تجلّ عن وصفنا ونحن نقلّ عن عظتك ، وفي علم الله ما كفاك ، وفي ثواب الله ما عزّاك»[2].

٥ ـ وقال عنه العلّامة سبط ابن الجوزي الحنفي المتوفى سنة (٦٥٤ هـ): «ومحمد، الإمام أبو جعفر الثاني كان على منهاج أبيه في العلم والتقى والزهد والجود.. وكان يلقّب بالمرتضى والقانع...»[3]

٦ ـ وقال عنه الشيخ كمال الدين محمد بن طلحة الشافعي المتوفّى سنة (٦٥٢ هـ) : «وان كان صغير السن فهو كبير القدر رفيع الذكر ..

وقال أيضاً : مناقب أبي جعفر محمد الجواد ما اتسعت حلبات مجالها ولا

---

(١) الإرشاد : ٢ / ٢٨٢ .

(٢) المناقب : ٤ / ٣٦٢.

(٣) تذكرة الخواص : ٣٥٨ ـ ٣٥٩.

امتدّت أوقاف آجالها بل قضت عليه الأقدار الإلهية بقلّة بقائه في الدنيا بحكمها وسجالها فقلّ في الدنيا مقامه وعجّل عليه فيها حمامه فلم تطل لياليه ولا امتدّت أيّامه غير أن الله خصّه بمنقبة أنوارها متألّقة في مطالع التعظيم وأخبارها مرتفعة في معارج التفضيل والتكريم.. ثم ذكر تلك المنقبة التي اعترف بعدها المأمون له بالفضل والسموّ»[1].

٧ ـ وأدلى علي بن عيسى الأربلي المتوفّى سنة (٦٩٣ هـ) في حقّه وشأنه(عليه السلام) بكلمات أعرب فيها عن عمق ايمانه به وولائه له صلوات الله عليه، فقال :

«الجواد (عليه السلام) في كل أحواله جواد ، وفيه يصدق قول اللّغوي : جواد من الجودة من أجواد ، فاق الناس بطهارة العنصر ، وزكاء الميلاد ، وافترع قُلّة العلاء فما فاز به أحد ولا كاد .

مجده عالي المراتب ، ومكانته الرفيعة تسمو على الكواكب ، ومنصبه يشرف على المناصب ، إذا آنس الوفد ناراً قالوا : ليتها ناره ، لا نار غالب .

له إلى المعالي سُموّ ، وإلى الشرف رواح وغُدُوّ ، وفي السيادة إغراق وغُلُوّ ، وعلى هام السماك ارتفاع وعُلوّ ، ومن كل رذيلة بُعْدٌ ، وإلى كل فضيلة دُنُوّ .

تتأرّج المكارم من أعطافه ، ويقطر المجد من أطرافه ، وتُروى اخبار السماح عنه وعن أبنائه وأسلافه ، فطوبى لمن سعى في ولائه ، والويل لمن رغب في خلافه .

إذا اقتُسمتْ غنائم المجد والمعالي والمفاخر كان له صفاياها ، وإذا امتُطيت غوارب السؤدد كان له أعلاها وأسماها .

(١) راجع مطالب السؤول : ٢٣٩، والفصول المهمة : ٢٥٢ .

يباري الغيث جوداً وعطيةً ، ويجاري الليث نجدةً وحميّة ، ويبذّ السير سيرةً رضية ، مرضية سريّة .

إذا عُدّدَ آباؤه الكرام ، وأبناؤه (عليهم السلام) نظَم اللئالي الأفراد في عدّه ، وجاء بجماع المكارم في رسمه وحدّه ، وجَمع أشتات المعالي فيه ، وفي آبائه من قبله ، وفي أبنائه من بعده ، فمن له أبٌ كأبيه أو جد كجدّه ؟ ! .

فهو شريكهم في مجدهم ، وهم شركاؤه في مجده ، وكما ملأوا أيدي العفاة بِرِفْدِهم ، ملأ أيديهم بِرِفده . . .

بهم اتّضحت سُبُل الهُدى ، وبهم سُلِمَ من الردى ، وبِحُبّهم تُرجى النجاة والفوز غداً، وهم أهل المعروف ، وأولوا النَّدى .

كُلُّ المدائح دون استحقاقهم ، وكُلُّ مكارم الأخلاق مأخوذة من كريم أخلاقهم وكُلّ صفات الخير مخلوقة في عنصرهم الشريف وأعراقهم ، فالجنة في وصالهم ، والنار في فراقهم .

وهذه الصفات تصدق على الجمع والواحد ، وتثبت للغائب منهم والشاهد، وتتنزّل على الولد منهم والوالد .

حُبُّهم فريضة لازمة ، ودولتهم باقية دائمة ، وأسواق سُؤدَدِهم قائمة ، وثغور محبيهم باسمة ، وكفاهم شَرَفاً أن جدّهم محمد ، وأبوهم علي ، وأُمُّهم فاطمة (عليها السلام) »[1].

فمن يجاريهم في الفخر؟! ومن يسابقهم في علوّ القدر؟

وما تركوا غاية إلّا انتهوا اليها سابقين ، ولا مرتبة سؤدد إلّا ارتقوها آمنين من اللاحقين ، وهذا حقّ اليقين بل عين اليقين.

---

(١) راجع كشف الغُمّة في معرفة الأئمة : الإمام محمّد الجواد: ٢/ ٣٧٠ ـ ٣٧١.

الناس كلّهم عيال عليهم ومنتسبون انتساب العبودية اليهم.

عنهم أُخذت المآثر، ومنهم تعلّمت المفاخر، وبشرفهم شرف الأوّل والآخر.

ولو اطلتُ في صفاتهم لم آتِ بطائل، ولو حاولت حصرها نادتني الثريا: مَن يد المتناول؟ وكيف تطيق حصر ما عجز عنه الأواخر والأوائل؟»

٨ ـ وقال الذهبي : «كان محمّد يلقّب بالجواد وبالقانع والمرتضى ، وكان من سروات آل بيت النبي (صلى الله عليه وآله) . . وكان أحد الموصوفين بالسخاء فلذلك لقّب بالجواد ...»(١).

٩ ـ وقال عنه ابن الصبّاغ المالكي المتوفّى سنة (٨٥٥ هـ) : «وهو الإمام التاسع . . عرف بأبي جعفر الثاني ، وإن كان صغير السن فهو كبير القدر رفيع الذكر القائم بالإمامة بعد علي بن موسى الرضا . للنص عليه والإشارة له بها من أبيه كما أخبر بذلك جماعة من الثقات العدول»(٢).

١٠ ـ وقال الشيخ عبدالله بن محمد بن عامر الشبراوي الشافعي المتوفّى سنة (١١٥٤ هـ) : التاسع من الأئمة محمد الجواد . . . ثم ذكر نسب الإمام وولادته سنة (١٩٥ هـ) ثم قال : وكراماته رضي الله عنه كثيرة ومناقبه شهيرة ، ثم ذكر بعض مناقبه وختم حديثه بقوله : وهذا من بعض كراماته الجليلة ومناقبه الجميلة(٣).

١١ ـ وقال عنه يوسف اسماعيل النبهاني : «محمد الجواد بن علي الرضا أحد أكابر الأئمة ومصابيح الأُمة من ساداتنا أهل البيت . ..»(٤).

---

(١) تاريخ الإسلام : ٨، والوافي بالوفيات ٤ : ١٠٥.

(٢) الفصول المهمة : ٢٥١.

(٣) الاتحاف بحب الأشراف : ١٦٨.

(٤) جامع كرامات الأولياء : ١ / ١٠٠.

١٢ ـ ووصفه محمود بن وهيب البغدادي بقوله: «هو الوارث لأبيه علماً وفضلاً وأجلّ إخوته قدراً وكمالاً..»(١).

١٣ ـ وذكره الفضل بن روزبهان المتوفّى سنة (٩٢٧ هـ) في شرحه للصلوات التي أنشأها لبيان فضل النبي(صلى الله عليه وآله) وأهل بيته الطاهرين فقال ما نصّه:

«اللهم وصلّ وسلّم على الإمام التاسع الأوّاب السجّاد، الفائق في الجود على الأجواد، مانح العطايا والأوفاد لعامّة العباد، ماحي الغواية والعناد، قامع أرباب البغي والفساد، صاحب معالم الهداية والإرشاد إلى سبل الرشاد، المقتبس من نور علومه الأفراد من الأبدال والأوتاد أبي جعفر محمّد التقيّ الجواد بن علي الرّضا ساكن روضة الجنة بأنعم العيش، المقبور عند جدّه بمقابر قريش، اللّهم صلّ على سيّدنا محمد وآل سيدنا سيّما الإمام السجّاد محمد التقي الجواد»(٢).

١٤ ـ وقال عنه خير الدين الزركلي: «كان رفيع القدر كأسلافه ذكيّاً طلق اللّسان قويّ البديهة..

وللدبيلي محمد بن وهبان كتاب في سيرته سمّاه: «أخبار أبي جعفر الثاني»(٣).

هذه بعض النصوص التي أدلى بها معاصرو الإمام الجواد(عليه السلام) ومن جاء بعدهم في القرون اللاحقة وهي تمثّل إعجابهم بمواهب الإمام وشخصيته الفذّة التي تحكي شخصيّة آبائه الكرام الذين حملوا مشاعل الهداية وأعلامها بعد خاتم المرسلين محمد (صلى الله عليه وآله).

---

(١) جوهرة الكلام: ١٤٧.

(٢) راجع: شرح الصلوات للفضل بن روزبهان، وقد سمّاه بوسيلة الخادم الى المخدوم أيضاً.

(٣) الاعلام: ٧ / ١٥٥.

الفصل الثالث

مظاهر من شخصيّة الإمام الجواد (عليه السلام)

لا ريب في أن فضائل الأئمة الإثني عشر المعصومين (عليهم السلام) ـ والإمام الجواد منهم ـ كثيرة لا تحصى، كيف وقد اختارهم الله تعالى للإمامة على علم، وهذا الاختيار يكشف عن اختصاصهم بكمالات ومناقب تفرّدوا بها وامتازوا عن من سواهم وبذلك جعلهم حججه على خلقه واُمناء على وحيه.

ولكن لم يصل إلينا ـ للأسف الشديد ـ من تلك الفضائل والمآثر الخاصة بكل إمام إلّا الشيء القليل والنزر اليسير، بسبب الظروف القاسية التي مرّ بها أهل البيت(عليهم السلام) واتباعهم المعنيّون بنقل تراثنا الاسلامي المجيد.

إنّ الإرهاب الفكري والتصفية الجسدية التي مارستها السلطات الجائرة ضد أئمة أهل البيت(عليهم السلام) وضد أتباعهم وكل من كان يحاول ان يكشف عن شيء من سيرتهم العطرة، كان كافياً لضياع هذا التراث العظيم والعطاء الكبير.

وسنورد في هذا الفصل اشارات الى بعض ما ورد في أحوال الإمام الجواد (عليه السلام) ومناقبه ومكارم أخلاقه.

أ ـ تكلّمه في المهد:

ذكر المؤرخون أن الإمام الجواد (عليه السلام) تشهّد الشهادتين لمّا وُلد، وانه حمد الله تعالى وصلّى على الرسول الاكرم (صلى الله عليه وآله) والأئمة الراشدين في يومه الثالث.

فعن حكيمة ابنة موسى بن جعفر الكاظم(عليه السلام) قالت : «لمّا حملت أُم أبي جعفر الجواد (عليه السلام) به كتبتُ اليه [يعني: الى الإمام الرضا(عليه السلام)] : «جاريتك سبيكة قد علقت. فكتب اليّ : **انّها علقت ساعة كذا ، من يوم كذا ، من شهر كذا ، فإذا هي ولدت فالزميها سبعة أيام** .

قالت : فلمّا ولدته ، وسقط الى الأرض ، قال : **اشهد ان لا إله إلّا الله ، وان محمداً رسول الله** .

فلمّا كان اليوم الثالث ، عطس ، فقال : **الحمد لله ، وصلّى الله على محمد وعلى الأئمة الراشدين**»[1].

و أيضاً قالت : «لمّا حضرت ولادة الخيزران أُم أبي جعفر (عليه السلام) دعاني الرضا (عليه السلام) ، فقال : **يا حكيمة احضري ولادتها ، وادخلي وإياها والقابلة بيتاً** .

ووضع لنا مصباحاً ، وأغلق الباب علينا ، فلمّا أخذها الطلق طفئ المصباح ، وبين يديها طست ، فاغتممت بطفئ المصباح.

فبينا نحن كذلك ، إذ بدر أبو جعفر (عليه السلام) في الطست ، واذا عليه شيء رقيق كهيئة الثوب يسطع نوره حتى أضاء البيت ، فأبصرناه ، فأخذته فوضعته في حجري ، ونزعت عنه ذلك الغشاء ، فجاء الرضا (عليه السلام) وفتح الباب ، وقد فرغنا من أمره ، فأخذه ووضعه في المهد ، وقال لي : **يا حكيمة الزمي مهده.**

قالت : فلمّا كان في اليوم الثالث رفع بصره الى السماء ثم نظر يمينه ويساره ، ثم قال : **أشهد ان لا إله إلّا الله ، واشهد ان محمداً رسول الله**، فقمت ذعرة فزعة، فأتيت أبا الحسن (عليه السلام) فقلت له : لقد سمعت من هذا الصبي عجباً . فقال : **وما ذاك ؟** فأخبرته الخبر ، فقال : **يا حكيمة ، ما ترون من عجائبه اكثر**»[2].

---

(١) مستدرك عوالم العلوم : ٢٣ / ١٥١ ـ ١٥٢ .

(٢) مستدرك عوالم العلوم : ٢٣ / ١٥١ ـ ١٥٢ .

ب ـ إتيانه الحكمَ صبياً :

أصبح الإمام الجواد (عليه السلام) خليفة الله تعالى في خلقه وإماماً لهم وهو لم يزل حديث السن ، وذلك ما اقتضته مشيئة الله ـ جلّ جلاله ـ مثلما اقتضت ذلك مع عيسىٰ وسليمان (عليهما السلام) . وقد أثارت حداثة سنه(عليه السلام) استغراب بعض الناس وتشكيكهم، الأمر الذي دعا الإمام الجواد (عليه السلام) الى توضيح الامر لهم ، وهو ما نجده في الروايات الآتية :

١ ـ قال الراوي : قلت له (لأبي جعفر الثاني (عليه السلام)): انهم يقولون في حداثة سنك ، فقال : «**ان الله تعالى أوحىٰ الى داود أن يستخلف سليمان وهو صبي يرعىٰ الغنم، فأنكر ذلك عبّاد بني اسرائيل وعلماؤهم ، فأوحىٰ الله الى داود(عليه السلام) أن خذ عصي المتكلمين وعصا سليمان واجعلها في بيت واختم عليها بخواتيم القوم فاذا كان من الغد ، فمن كانت عصاه قد أورقت وأثمرت فهو الخليفة ، فأخبرهم داود (عليه السلام) فقالوا : قد رضينا وسلّمنا**»[1].

٢ ـ قال الراوي : رأيت أبا جعفر (عليه السلام) وقد خرج عليّ فأخذت أنظر اليه وجعلت انظر الى رأسه ورجليه ، لأصف قامته لأصحابنا بمصر، فبينا أنا كذلك حتى قعد ، فقال : «**يا عليّ ! ان الله احتج في الإمامة بمثل ما احتج به في النبوة ، فقال: ﴿ وآتيناه الحكم صبياً ﴾[2] ﴿ ولمّا بلغ اشده ﴾[3] ﴿ وبلغ اربعين سنة ﴾[4] فقد يجوز أن يؤتىٰ الحكمة وهو صبي ويجوز أن يؤتاها وهو ابن الأربعين سنة**»[5].

---

(١) أُصول الكافي : ١ / ٣١٤ .

(٢) مريم (١٩): ١٢ .

(٣) القصص (٢٨): ١٤ .

(٤) الأحقاف (٤٦): ١٥ .

(٥) أُصول الكافي : ١ / ٣١٥ .

٣ ـ قال الراوي لأبي جعفر (عليه السلام) : يا سيدي ان الناس ينكرون عليك حداثة سنك ، فقال : «وما ينكرون من ذلك قول الله عزوجل ، لقد قال الله عزّوجلّ لنبيه (صلى الله عليه وآله): ﴿قل هذه سبيلي ادعوا الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني﴾[١] فو الله ما تبعه إلاّ علي (عليه السلام) وله تسع سنين وانا ابن تسع سنين»[٢].

ج ـ علمه :

لابدَّ للإمام من أن يكون واسع العلم والمعرفة ، فهو أعلم أهل زمانه ، وأدراهم بشؤون الشريعة وأحكام الدين مع الإحاطة بالنواحي السياسية والادارية وغير ذلك مما يحتاج اليه الناس . وقد دلّ الإمام الجواد (عليه السلام) بنفسه على ذلك، إذخاض ـ وهو في سنّه المبكّر ـ في مختلف العلوم ، وسأله العلماء والفقهاء عن أعقد المسائل الشرعية والعلمية فأجاب عنها بكل احاطة ودقة مما أدى ذلك الى انتشار مذهب أهل البيت(عليهم السلام) وتزايد الاقبال عليه في ذلك العصر وذهب كثير من العلماء الى القول بالإمامة[٣].

وقبل ان نشير الى شيء من علمه (عليه السلام) لابد أن نشير الى مصادر هذا العلم الرباني الذي امتاز به أهل البيت (عليهم السلام) .

١ ـ روى المسعودي عن عبد الرحمن بن محمد عن كلثم بن عمران أنه قال : قلت للرضا (عليه السلام) : أنت تحبّ الصبيان فادع الله أن يرزقك ولداً . فقال : «إنّما أُرزق ولداً واحداً وهو يرثني . فلما ولد أبو جعفر كان طول ليلته يناغيه في مهده ، فلمّا طال ذلك على عدّة ليالٍ، قلت: جُعلت فداك قد ولد للناس أولاد قبل هذا فكل هذا

(١) يوسف (١٢): ١٠٨.
(٢) أصول الكافي : ١ / ٣١٥.
(٣) حياة الإمام الجواد: ٦٦.

تعوّذه! فقال: وَيحَك! ليس هذا عوذة إنّما أغرّه بالعلم غرّاً»[1].

٢ ـ وقد لاحظنا فيما سبق ما ورد من نصوص تأريخيّة تشهد بتكلمه وهو في المهد الى جانب نصوصٍ أُخرىٰ تشير الى أنه قد أُوتي الحكم صبيّاً[2].

٣ ـ وجاء أيضاً عن الإمام محمّد الجواد أبي جعفر الثاني (عليه السلام)، انه قال: «قال أبو جعفر الباقر (عليه السلام): إن الأوصياء محدّثون يحدّثهم روح القدس ولا يرونه»[3].

وروي أيضاً انه جيء بأبي جعفر الجواد (عليه السلام) إلى مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعد استشهاد أبيه (عليه السلام) وهو طفل، وجاء الى المنبر ورقىٰ منه درجة، ثم نطق فقال: «انا محمد بن علي الرضا، انا الجواد، انا العالم بأنساب الناس في الاصلاب، أنا أعلم بسرائركم وظواهركم، وما أنتم صائرون اليه، عِلمٌ منحنا به من قبل خالق الخلق أجمعين، وبعد فناء السماوات والأرضين، ولو لا تظاهر أهل الباطل، ودولة أهل الضلال، ووثوب أهل الشك، لقلت قولاً تعجّب منه الأوّلون والآخرون.

ثم وضع يده الشريفة على فيه، وقال: يا محمد اصمت كما صمت آباؤك من قبل»[4].

ومن هنا ينبغي أن نعرض بايجاز إلى بعض ما أُثر عنه من العلوم:

١ ـ التوحيد:

أُثيرت في عصر الإمام الجواد (عليه السلام) كثير من الشكوك والأوهام حول قضايا التوحيد وقد أثارها من لا حريجة له في الدين من الحاقدين على الإسلام لزعزعة

---

(١) اثبات الوصية: ٢١٠.

(٢) راجع فقرتي (أ) و (ب) من هذا الفصل.

(٣) مستدرك عوالم العلوم: ٢٣ / ١٥٩.

(٤) مستدرك عوالم العلوم: ٢٣ / ١٥٩.

العقيدة في نفوس المسلمين، ولتشكيكهم في مبادئ دينهم العظيم، وقد أجاب الإمام (عليه السلام) عن تلك الشبهات وفنّدها خير تفنيد، وكان من بينها مايلي :

١ ـ قال الراوي : «سألت أبا جعفر عن التوحيد فقلتُ : أتوهّم شيئاً . فقال: **نعم، غير معقول ولا محدود، فما وقع وهمك عليه من شيء فهو خلافه، لا يشبهه شيء ولا تدركه الأوهام، كيف تدركه الأوهام وهو خلاف ما يُعقل وخلاف ما يُتصور في الأوهام؟ إنّما يُتوهم شيء غير معقول ولا محدود**»[1].

٢ ـ وقال الراوي : «سئل أبو جعفر الثاني (عليه السلام) : يجوز أن يقال لله إنه شيء؟ قال : **نعم يُخرجه من الحدّين، حدّ التعطيل وحد التشبيه**»[2].

٣ ـ قال الراوي : «سألت أبا جعفر محمد بن علي الثاني (عليه السلام) : ما معنى الواحد ؟ فقال : **المجتمع عليه بجميع الألسن بالوحدانية**»[3].

٢ ـ تفسير القرآن الكريم وتأويله:

وردت عن الإمام الجواد (عليه السلام) نصوص كثيرة في تفسير وتأويل بعض آيات القرآن الكريم .

فمنها ما ورد عنه (عليه السلام) في تفسير الآيتين المباركتين : ﴿ **ما ننسخ من آية او ننسها نأت بخير منها أو مثلها ـ الى قوله تعالى ـ وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير** ﴾[4].

إذ قال (عليه السلام) : ﴿ **ما ننسخ من آية** ﴾ **بأن نرفع حكمها** .

---

(١) أُصول الكافي : ١ / ٦٤.

(٢) أُصول الكافي : ١ / ٦٤.

(٣) التوحيد للصدوق : ٨٢.

(٤) البقرة (٢): ١٠٦ ـ ١٠٧.

﴿ أو ننسها ﴾ بأن نرفع رسمها ونزيل عن القلوب حفظها ، وعن قلبك يا محمد كما قال الله تعالى : ﴿ سنقرئك فلا تنسىٰ * إلّا ما شاء الله... ﴾ [١] أن ينسيك ، فرفع ذكره عن قلبك .

﴿ نأت بخير منها ﴾ يعني : بخير لكم .

فهذه الثانية أعظم لثوابكم ، وأجلّ لصلاحكم من الآية الاولى المنسوخة ، أو مثلها من الصلاح لكم، أي إنّا لا ننسخ ولا نبدّل إلّا وغرضنا في ذلك مصالحكم .

ثم قال : يا محمد ﴿ ألم تعلم ان الله على كل شيءٍ قدير ﴾ ، فانه قدير يقدر على النسخ وغيره. ألم تعلم ـ يا محمد ـ ان الله له ملك السماوات والارض وهو العالم بتدبيرها ومصالحها فهو يدبّركم بعلمه ﴿ وما لكم من دون الله من ولي ﴾ يلي صلاحكم اذ كان العالم بالمصالح هو الله عزّوجلّ دون غيره ولا نصير وما لكم من ناصر ينصركم من مكروه ان اراد الله انزاله بكم ، أو عقاب إن أراد إحلاله بكم» [٢].

إنّ منهج الاستهداء بالقرآن نفسه لتفسير آياته الكريمة واضح جدّاً في هذا النص .

وفي مجال تأويله لقوله تعالى : ﴿ أين ما تكونوا يأت بكم الله جميعاً ان الله على كل شيءٍ قدير ﴾ [٣] .

فقد جاء عن عبد العظيم بن عبدالله الحسني أنّه قال : «قلت لمحمد بن علي بن موسى (عليه السلام) : اني لأرجو ان تكون القائم من أهل بيت محمد (صلى الله عليه وآله) الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً .

فقال (عليه السلام) : يا أبا القاسم : ما منّا إلّا وهو قائم بأمر الله عزّوجلّ ، وهاد الى دين الله ،

(١) الأعلى (٨٧): ٦ ـ ٧.

(٢) مستدرك عوالم العلوم : ٢٣ / ١٦٤ .

(٣) البقرة (٢): ١٤٨ .

ولكن القائم الذي يطهّر الله عزّوجلّ به الأرض من أهل الكفر والجحود ، ويملأها عدلاً وقسطاً هو الذي تخفى على الناس ولادته ، ويغيب عنهم شخصه ، ويحرم عليهم تسميته وهو سميُّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) وكنيّه ، وهو الذي تطوى له الأرض ، ويذلّ له كل صعب [و] يجتمع إليه من أصحابه عدّة أهل بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً ، من أقاصي الأرض ، وذلك قول الله عزّوجلّ : ﴿ أينما تكونوا يأت بكم الله جميعاً ان الله على كل شيءٍ قدير ﴾.

فاذا اجتمعت له هذه العدّة من أهل الإخلاص أظهر الله أمره ، فإذا كمل له العقد وهو عشرة آلاف رجل خرج بإذن الله عزّوجلّ ، فلا يزال يقتل أعداء الله حتى يرضى الله عزّوجلّ.

قال عبد العظيم : فقلت له : يا سيدي وكيف يعلمُ أن الله عزّوجلّ قد رضي ؟

قال : يلقي في قلبه الرحمة ، فإذا دخل المدينة أخرج اللات والعزى فأحرقهما»[١].

٣ـ الحديث:

روى الإمام الجواد (عليه السلام) طائفة من الأحاديث بسنده عن جدّه رسول الله (صلى الله عليه وآله) وروى أيضاً عن جدّه الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) وعن آبائه (عليهم السلام) وفيما يلي مختارات من ذلك التراث الذي يكشف بثّه من قِبَل الإمام(عليه السلام) عن اهتمامه بنشر حديث الرسول(صلى الله عليه وآله) وآبائه الميامين :

١ ـ روى (عليه السلام) بسنده ان رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال : « إنّ فاطمة أحصنت فرجها فحرّمها الله وذرّيتها على النار »[٢].

٢ ـ روى (عليه السلام) إنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال : « المرء مخبوء تحت لسانه »[٣].

٣ ـ وقال (عليه السلام) : « قام الى أمير المؤمنين رجل بالبصرة ، فقال : أخبرنا عن

(١) كمال الدين وتمام النعمة، للصدوق القمي : ٣٧٧ ـ ٣٧٨.

(٢) حياة الإمام محمد الجواد : ٧٩ ـ ٨٠.

(٣) حياة الإمام محمد الجواد: ٨٠، عن بحار الأنوار : ١٢/ ١٠١.

الإخوان ؟ فقال : الإخوان صنفان : إخوان الثقة ، وإخوان المكاشرة.

فأمّا إخوان الثقة فهم كالكف والجناح والأهل والمال ، فإذا كنت من أخيك على ثقة فابذل له مالك ويدك وصاف من صافه وعاد من عاداه واكتم سرّه وأعنه واظهر منه الحسن ، واعلم أيها السائل انهم اعزّ من الكبريت الأحمر.

وأما اخوان المكاشرة فإنك تصيب منهم لذتك ، فلا تقطعن ذلك منهم ، ولا تطلبن ما وراء ذلك من ضميرهم ، وابذل لهم ما بذلوا لك من طلاقة الوجه وحلاوة اللسان »[1].

٤ ـ روى (عليه السلام) عن الإمام الصادق (عليه السلام) لما سئل عن الزاهد في الدنيا ، قوله : «الذي يترك حلالها مخافة حسابه ، ويترك حرامها مخافة عقابه »[2].

٥ ـ وروى (عليه السلام) عن الإمام الصادق (عليه السلام) عندما قيل له صف لنا الموت ، قوله (عليه السلام) : « للمؤمن كأطيب ريح يشمه فينعس لطيبه ، وينقطع التعب والألم كله عنه ، وللكافر كلسع الأفاعي ولدغ العقارب أو أشد »[3].

٦ ـ وقال (عليه السلام) : مرض رجل من أصحاب الرضا (عليه السلام) فعاده ، فقال : كيف تجدك ؟ قال : لقيت الموت بعدك . يريد به ما لقيه من شدة مرضه .

فقال (عليه السلام) : كيف لقيته ؟ قال : شديداً أليماً.

قال : ما لقيته إنما لقيت ما يبدؤك به ويعرفك بعض حاله ، انما الناس رجلان : مستريح بالموت ، ومُستراح منه به ، فجدّد الايمان بالله وبالولاية تكن مستريحاً[4].

---

(١) حياة الإمام محمد الجواد: ٨١ عن وسائل الشيعة: ٥٨/٨ .

(٢) الإمام محمد بن علي الجواد ، عبد الزهراء عثمان محمد : ١٠٦ عن معاني الأخبار: ٢٨٧ .

(٣) الإمام محمد بن علي الجواد ، عبد الزهراء عثمان محمد : ١٠٦ عن معاني الأخبار: ٢٨٧ .

(٤) مستدرك عوالم العلوم : ٢٣ / ٢٨٦ .

٤ ـ نماذج من فقهه (عليه السلام) :

تشكّل الأحاديث التي تُروىٰ عن الإمام أبي جعفر الجواد (عليه السلام) مصدراً خصباً لاستنباط الأحكام الشرعية لدىٰ فقهاء الشيعة الإمامية ، لأنها تعبّر عن سنة المعصومين وسنّة المعصوم هي قوله وفعله وتقريره .

وقد أُثرت عنه (عليه السلام) طائفة كبيرة من الأخبار التي دوّنت في موسوعات الفقه والحديث وقد شملت معظم أبواب الفقه نذكر بعض النماذج منها :

الصلاة :

١ ـ قال الراوي : كتبت الى أبي جعفر الثاني (عليه السلام) «في السنجاب والفنك والخزّ ، وقلت : جعلت فداك ، أحبّ ان لا تجيبني بالتقيّة في ذلك فكتب بخطّه اليّ : **صلّ فيها**»[١].

واستدل الفقهاء بهذا الخبر ونحوه مما ورد في هذا الموضوع على جواز الصلاة في جلود هذه الحيوانات .

٢ ـ قال الراوي : رأيت أبا جعفر (عليه السلام) صلّىٰ حين زالت الشمس يوم التروية ست ركعات خلف المقام ، وعليه نعلاه لم ينزعهما[٢].

واستدل الفقهاء بهذه الرواية على جواز الصلاة بالنعل الطاهرة المتخذة من الذبيحة المذكّاة.

---

(١) مستدرك عوالم العلوم : ٢٣ / ٢٨٦ . الفنك : حيوان صغير من فصيلة الكلبيات ، شبيه بالثعلب ، لكن اذنيه كبيرتان ، لا يتجاوز طوله اربعين سنتيمتر بما فيه الذنب ، فروته من أحسن الفراء .

والسمور : حيوان برّي من فصيلة السموريات ورتبة اللواحم ، يشبه ابن عرس وأكبر منه ، لونه أحمر مائل الى السواد ، تتخذ من جلده فراء ثمينة .

(٢) مستدرك عوالم العلوم : ٢٣ / ٣٨٩ .

الزكاة :

وردت عن الإمام الجواد (عليه السلام) عدة اخبار في فروع الزكاة كان من بينها ما يأتي : استدل الفقهاء على جواز إخراج القيمة دون العين فيما تجب فيه الزكاة بما جاء عنه (عليه السلام) في جوابه عن السؤال : «هل يجوز أن أخرج عمّا يجب في الحرث من الحنطة والشعير ، وما يجب على الذهب دراهم بقيمة ما يسوي ؟ أم لا يجوز إلّا أن يخرج من كل شيء ما فيه ؟

فأجاب (عليه السلام) **أيّما تيسّر يخرج**»[1].

الحج :

واستند الفقهاء في فتاواهم في بعض فروع الحج ومسائله الى ما أُثر عن الإمام الجواد (عليه السلام) فيها ، وفيما يأتي بعض ذلك :

١ ـ استند الفقهاء في استحباب الحج للصبي بما جاء في الرواية التالية : قال الراوي : «سألت أبا جعفر الثاني (عليه السلام) عن الصبي متى يحرم به ؟ قال : **إذا أثغر**»[2].

٢ ـ واتفق فقهاء الإمامية على أنّ حجّ التمتع أفضل انواع الحج لمن أراد ان يحج حجاً مندوباً ، وقد استندوا في ذلك الى ما ورد عن الإمام الجواد (عليه السلام) وغيره من أئمة العترة الطاهرة (عليهم السلام) ، حيث قال الراوي : «كان أبو جعفر (عليه السلام) يقول : **المتمتع بالعمرة الى الحج أفضل من المفرد السائق للهدي** . وكان يقول : **ليس يدخل الحاجّ بشيء أفضل من المتعة**[3].

(١) مستدرك عوالم العلوم : ٢٣/٤١١.

(٢) مستدرك عوالم العلوم : ٢٣/٤٢٦ .

(٣) مستدرك عوالم العلوم : ٢٣ / ٤٣٠ .

٥ ـ فلسفة التشريع وعلل الأحكام :

وكشف الإمام محمد الجواد (عليه السلام) النقاب عن بعض العلل في تشريع بعض الأحكام الشرعيّة وكان من بينها :

ما سأله محمد بن سليمان عن العلة في جعل عدّة المطلّقة ثلاث حيض أو ثلاثة أشهر ، وصارت عدة المتوفّىٰ عنها زوجها أربعة أشهر وعشراً ؟ فأجابه الإمام (عليه السلام) عن ذلك :

« أمّا عدّة المطلّقة ثلاثة قروء فلاستبراء الرحم من الولد ، واما عدّة المتوفى عنها زوجها فإن الله تعالىٰ شرط للنساء شرطاً ، وشرط عليهن شرطاً فلم يجابهن فيما شرط لهن ، ولم يجر فيما اشترط عليهنّ ، اما ما شرط لهن في الإيلاء أربعة أشهر إذ يقول الله عزّوجلّ: ﴿ للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر ﴾ فلم يجوز لأحد أكثر من أربعة أشهر في الإيلاء لعلمه تبارك اسمه انه غاية صبر المرأة عن الرجل ، واما ما شرط عليهنّ فإن أمرها أن تعتد إذا مات زوجها أربعة أشهر وعشراً فأخذ منها له عند موته ما أخذ لها منه في حياته عند الإيلاء ، قال الله عزّوجلّ : ﴿ يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً ﴾ ولم يذكر العشرة أيام في العدّة إلّا مع الأربعة أشهر ، وعلم ان غاية المرأة الاربعة أشهر في ترك الجماع فمن ثم أوجبه عليها ولها... »[1]

د ـ عبادته ونسكه :

كان الإمام الجواد (عليه السلام) أعبد أهل زمانه ، وأشدهم حبّاً لله عزّوجلّ وخوفاً منه ، وأخلصهم في طاعته وعبادته ، شأنه شأن الأئمة الطاهرين من آبائه (عليهم السلام)

(١) حياة الإمام محمّد الجواد : ١٠١ .

الذين عملوا كلّ ما يقرّبهم إلى الله زلفى .

ومن مظاهر عبادة الإمام الجواد (عليه السلام) نشير الى ما يلي :

١ ـ نوافله :

كان (عليه السلام) كثير النوافل ، ويقول المؤرخون إنه : كان يصلّي ركعتين يقرأ في كل ركعة سورة الفاتحة ، وسورة الاخلاص سبعين مرة[١] . وانه (عليه السلام) إذا دخل شهر جديد يصلّي اول يوم منه ركعتين يقرأ في أول ركعة «**الحمد**» مرة ، و «**قل هو الله أحد**» لكل يوم الى آخره ـ يعني ثلاثين مرة ـ .

وفي أول الركعة الاخرىٰ «**الحمد**» و «**انا أنزلناه**» مثل ذلك ويتصدق بما يتسهل ، يشتري به سلامة ذلك الشهر كله[٢] .

وجاء في الرواية أنه صام أبو جعفر الثاني (عليه السلام) لمّا كان ببغداد يوم النصف من رجب ، ويوم سبع وعشرين منه ، وصام معه جميع حشمه ، وأمرنا أن نصلّي بالصلاة التي هي اثنتي عشرة ركعة : تقرأ في كل ركعة الحمد وسورة ، فاذا فرغت قرأت « الحمد » أربعاً ، و « قل هو الله أحد » أربعاً ، والمعوّذتين أربعاً ، وقلت : « لا إله إلّا الله والله أكبر ، وسبحان الله ، والحمد لله ، ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم » أربعاً ، « الله الله ربي لا أُشرك به شيئاً » أربعاً ، « لا أُشرك بربّي أحداً » أربعاً[٣] .

---

(١) حياة الإمام محمّد الجواد : ٦٧ .

(٢) مستدرك عوالم العلوم : ٢٣ / ٢٢٠ .

(٣) مستدرك عوالم العلوم : ٢٣ / ٢٢٢ .

٢ ـ حجه :

وكان الإمام (عليه السلام) كثير الحج ، وقد جاء في الرواية : «رأيت أبا جعفر الثاني (عليه السلام) في سنة خمس عشرة ومائتين ودّع البيت بعد ارتفاع الشمس ، وطاف بالبيت يستلم الركن اليماني في كل شوط ، فلمّا كان الشوط السابع استلمه واستلم الحجر ومسح بيده ثم مسح وجهه بيده ، ثم أتى المقام ، فصلّى خلفه ركعتين ثم خرج الى دبر الكعبة الى الملتزم ، فالتزم البيت، ... ثم وقف عليه طويلاً يدعو ، ثم خرج من باب الحناطين .

قال الراوي : فرأيته في سنة (٢١٩ هـ) ودّع البيت ليلاً، يستلم الركن اليماني والحجر الاسود في كل شوط ، فلمّا كان في الشوط السابع التزم البيت في دبر الكعبة قريباً من الركن اليماني وفوق الحجر المستطيل ... ثم أتى الحجر فقبّله ومسحه وخرج الى المقام فصلّى خلفه ثم مضى ولم يعد الى البيت ، وكان وقوفه على الملتزم بقدر ما طاف بعض أصحابنا سبعة اشواط وبعضهم ثمانية»[١].

٣ ـ أذكار الإمام وأدعيته ومناجاته :

وهنا نورد بعضاً من أذكار الإمام وأدعيته ومناجاته التي كان يناجي بها ربّه الأعلى كأحد مظاهر التسبيح والتمجيد في محراب عبادته لله جلّ جلاله :

من أدعيته (عليه السلام) في حال القنوت :

« اللهم أنت الأول بلا اولية معدودة ، والآخر بلا آخرية محدودة ، أنشأتنا لا لعلّة اقتساراً ، واخترعتنا لا لحاجة اقتداراً ، وابتدعتنا بحكمتك اختياراً ، وبلوتنا بأمرك ونهيك اختباراً ، وايدتنا بالآلات ، ومنحتنا بالأدوات ، وكلّفتنا الطاقة ، وجشمتنا الطاعة ، فأمرت

(١) حياة الإمام محمد الجواد : ٦٨.

تخييراً ونهيت تحذيراً ، وخوّلت كثيراً ، وسألت يسيراً ، فعصي أمرك فحلُمت ، وجهل قدرك فتكرّمت . . »[١].

من أدعيته اذا انصرف من الصلاة :

« رضيت بالله ربّاً ، وبالاسلام ديناً ، وبالقرآن كتاباً ، وبمحمد نبياً ، وبعليٍّ وليّاً ، والحسن ، والحسين ، وعلي بن الحسين ، ومحمد بن علي ، وجعفر بن محمد ، وموسىٰ بن جعفر ، وعلي بن موسىٰ ، ومحمد بن علي ، وعلي بن محمد ، والحسن بن علي ، والحجة بن الحسن بن علي ، أئمة .

اللهم وليّك الحجة فاحفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه ومن تحته ، وامدد له في عمره ، واجعله القائم بأمرك ، المنتصر لدينك وأره ما يحبّ وتقرّ به عينه في نفسه وفي ذرّيته وأهله وماله وفي شيعته وفي عدوه، وأرهم منه ما يحب وتقرّ به عينه ، واشف به صدورنا وصدور قوم مؤمنين »[٢].

من دعائه (عليه السلام) عند الصباح والمساء لقضاء الحوائج :

قال الراوي : كتبت الى أبي جعفر الثاني (عليه السلام) أسأله ان يعلّمني دعاء ، فكتب اليّ :

«تقول اذا اصبحت وأمسيت: الله الله الله ، ربي الرحمن الرحيم ، لا اشرك به شيئاً».

وإن زدت على ذلك فهو خير ، ثم تدعو بما بدا لك في حاجتك ، فهو لكل شيء بإذن الله تعالىٰ ، يفعل الله ما يشاء[٣].

---

(١) مستدرك عوالم العلوم : ٢٣ / ٢١٢ .

(٢) مستدرك عوالم العلوم : ٢٣ / ٢١٤ ـ ٢١٥ .

(٣) مستدرك عوالم العلوم : ٢٣ / ٢١٨ .

هـ ـ معجزاته وكراماته (عليه السلام):

ورغم أنّ الإمام الجواد (عليه السلام) كان معجزة بذاته ، حيث تصدىٰ لإمامة المسلمين وهو صبي لم يبلغ السابعة من عمره ، فإنّ الله جَلّ جلاله أجرىٰ على يديه كرامات أخرىٰ في مناسبات عديدة لكي يتم بها الحجة على العباد ويقطع بها ألسنة المعاندين وتطمئن بسببها قلوب الموالين .

وإليك بعض مصاديقها[1]:

١ ـ قال أبو هاشم داود بن القاسم الجعفري : «دخلت على أبي جعفر الثاني (عليه السلام) ومعي ثلاث رقاع غير معنونة واشتبهت عليّ فاغتممت لذلك ، فتناول إحداهنّ وقال : **هذه رقعة ريّان بن شبيب** ثم تناول الثانية فقال: **هذه رقعة محمد بن حمزة** وتناول الثالثة ، وقال : **هذه رقعة فلان** فبهتّ ، فنظر اليّ وتبسّم(عليه السلام).

قال : وأعطاني أبو جعفر ثلاثمائة دينار في صرّة وأمرني ان أحملها الى بعض بني عمّه ، وقال : **أما انه سيقول لك دلّني على حريف يشتري لي بها متاعاً فدلّه عليه**.

قال : فأتيته بالدنانير فقال لي : «يا أبا هاشم دلّني على حريف يشتري لي بها متاعاً» . ففعلت .

قال أبو هاشم : وكلّمني جمّال ان أكلّمه ليدخله في بعض اموره ، فدخلت عليه لأُكلّمه فوجدته يأكل مع جماعة فلم يمكنني كلامه ، فقال : **يا أبا هاشم : كل** ووضع بين يديّ ثم قال ـ ابتداءً منه من غير مسألة ـ: **يا غلام انظر الجمّال الذي أتانا به أبو هاشم فضمّه اليك**» .

---

(١) نقلنا هذه المصاديق عن إعلام الورىٰ بأعلام الهدىٰ : ٩٧ ـ ١٠٠ ، ومستدرك عوالم العلوم : ٢٣/ ٢٦٨ .

٢ ـ قال أبو هاشم : ودخلت معه ذات يوم بستاناً فقلت له : جعلت فداك ، إني مولع بأكل الطين ، فادع الله لي ، فسكت ثم قال لي بعد أيام ابتداءً منه ـ : «**يا أبا هاشم ، قد أذهب الله عنك أكل الطين** » .

قال أبو هاشم : فما شيء أبغض اليّ منه .

٣ ـ قال علي بن أسباط : خرج عليّ أبو جعفر حدثان موت أبيه فنظرت الى قدّه لأصف قامته لأصحابنا فقعد ، ثم قال : «**يا عليّ ، ان الله تعالى احتج في الإمامة بمثل ما احتج به في النبوة فقال : ﴿ وآتيناه الحكم صبياً﴾** »[1].

٤ ـ قال الراوي : «مضى أبو الحسن الرضا (عليه السلام) ولي عليه أربعة آلاف درهم ، لم يكن يعرفها غيري وغيره ، فأرسل اليّ أبو جعفر(عليه السلام): «**إذا كان في غد فائتني** . فأتيته من الغد ، فقال لي : مضى أبو الحسن ولك عليه أربعة آلاف درهم ؟. فقلت : نعم .

فرفع المصلّى الذي كان تحته ، فإذا تحته دنانير فدفعها اليّ ، وكان قيمتها في الوقت أربعة آلاف درهم».

٥ ـ قال الراوي : «كنت بالمدينة ، وكنت اختلف الى أبي جعفر (عليه السلام) وأبو الحسن (عليه السلام) بخراسان ، وكان أهل بيته وعمومة أبيه يأتونه ويسلّمون عليه ، فدعا يوماً الجارية ، فقال : **قولي لهم : يتهيأون للمأتم** .

فلمّا تفرّقوا قالوا: ألا سألناه مأتم مَن ؟

فلمّا كان من الغد فعل مثل ذلك ، فقالوا : مأتم مَن ؟

قال : **مأتم خير مَن على ظهرها** .

(١) مريم (١٩): ١٢.

فأتانا خبر أبي الحسن [الرضا] (عليه السلام) بعد ذلك بأيام ، فاذا هو قد مات في ذلك اليوم».

٦ ـ قال الراوي : كتب اليّ أبو جعفر(عليه السلام) : «**إحملوا اليّ الخمس ، فإني لستُ آخذه منكم سوى عامي هذا**».

فقبض (عليه السلام) في تلك السنة .

و ـ من مكارم اخلاقه الاجتماعية

لقد كان الإمام الجواد(عليه السلام) شاباً في مقتبل العمر ، وكان المأمون يغدق عليه الأموال الوافرة وقد بلغت مليون درهم . وكانت الحقوق الشرعية ترد إليه من الطائفة الشيعية التي كانت تعتقد بإمامته بالإضافة إلى الأوقاف التي كانت في قم وغيرها إلّا أنّه لم يكن ينفق شيئاً منها في أموره الخاصّة وإنّما كان ينفقها على الفقراء والمعوزين والمحرومين .. وقد رآه الحسين المكاري في بغداد ، وكان محاطاً بهالة من التعظيم والتكريم من قِبل الأوساط الرسمية والشعبية فظنّ انّ الإمام(عليه السلام) سوف لا يرجع إلى وطنه يثرب بل يقيم في بغداد راتعاً في النعم والترف ، وعرف الإمام قصده ، فانعطف عليه وقال له :

«**يا حسين ، خبز الشعير ، وملح الجريش في حرم جدّي رسول الله (صلى الله عليه وآله) أحب إليّ ممّا تراني فيه..**»[1].

إنّه لم يكن من طلاب تلك المظاهر التي كانت تضفيها الدولة، وإنّما كان كآبائه الذين طلّقوا الدنيا ، واتّجهوا صوب الله تعالى لا يبغون عنه بديلاً .

---

(١) إثبات الهداة : ٦ / ١٨٥ .

١ ـ السخاء :

كان الإمام أبو جعفر (عليه السلام) من أندى الناس كفّاً وأكثرهم سخاءً ، وقد لُقّب بالجود لكثرة كرمه ومعروفه وإحسانه إلى النّاس وقد ذكر المؤرّخون قصصاً كثيرة من كرمه .

منها : ما روى المؤرّخون من أنّ أحمد بن حديد قد خرج مع جماعة من أصحابه إلى الحجّ ، فهجم عليهم جماعة من السرّاق ونهبوا ما عندهم من أموال ومتاع ، ولما انتهوا إلى يثرب انطلق أحمد إلى الإمام محمّد الجواد وأخبره بما جرى عليهم فأمر (عليه السلام) له بكسوة وأعطاه دنانير ليفرقها على جماعته ، وكانت بقدر ما نهب منهم[1].

وبهذا أنقذهم الإمام من المحنة وردّ لهم ما سلب منهم بسخاء وافر .

واشتهر أنّ كرم الإمام ومعروفه قد شمل حتى الحيوانات، فقد روى محمّد ابن الوليد الكرماني أنّه قال : أكلت بين يدي أبي جعفر الثاني(عليه السلام) حتى إذا فرغت ورفع الخوان ذهب الغلام ليرفع ما وقع من فتات الطعام فقال(عليه السلام) له: **«ما كان في الصحراء فدعه ولو فخذ شاة ، وما كان في البيت فتتبعه والقطه»**[2].

لقد أمره(عليه السلام) بترك الطعام الذي في الصحراء ليتناوله الطير وسائر الحيوانات التي ليس عندها طعام .

---

(١) الوافي بالوفيات : ٤ / ١٠٥ ، بحار الأنوار : ١٢ / ١٠٩ .

(٢) وسائل الشيعة : ٦ / ٤٩٩ .

٢ ـ الإحسان إلى الناس :

أمّا الإحسان إلى الناس والبرّ بهم فإنّه من سجايا الإمام الجواد ومن أبرز صفاته ، وقد سجل التاريخ قصصاً كثيرة من إحسانه منها :

ما رواه أحمد بن زكريا الصيدلاني عن رجل من بني حنيفة من أهالي بست وسجستان[١] قال : رافقت أبا جعفر في السنة التي حجّ فيها في أوّل خلافة المعتصم فقلت له : وأنا على المائدة : إنّ والينا جعلت فداك يتولاكم أهل البيت يحبّكم وعليّ في ديوانه خراج ، فإن رأيت جعلني الله فداك أن تكتب إليه بالإحسان إليّ ، فقال (عليه السلام) : **لا أعرفه** ، فقلت : جعلت فداك انّه على ما قلت : من محبيكم أهل البيت(عليهم السلام) ، وكتابك ينفعني واستجاب له الإمام فكتب إليه بعد البسملة :

« أمّا بعد : فإنّ موصل كتابي هذا ذكر عنك مذهباً جميلاً ، وإنّ ما لك من عملك إلّا ما أحسنت فيه ، فأحسن إلى اخوانك و اعلم أنّ الله عزّوجلّ سائلك عن مثاقيل الذرة والخردل..»[٢].

ولما ورد إلى سجستان عرف الوالي وهو الحسين بن عبدالله النيسابوري انّ الإمام قد أرسل إليه رسالة فاستقبله من مسافة فرسخين ، وأخذ الكتاب فقبّله،

---

(١) قال محمّد بن بحر الرهني : سجستان : إحدى بلدان المشرق ، لم تزل لقاحاً على الضيم ممتنعة من الهضم منفردة بمحاسن ، متوحّدة بمآثر لم تعرف لغيرها من البلدان ، ما في الدنيا سوقة أصحّ منهم معاملة ، ولا أقلّ منهم مخاتلة، وأضاف في تعداد مآثرها أنّه لُعن عليّ بن أبي طالب على منابر الشرق والغرب ، ولم يلعن على منابرها إلّا مرّة ، وامتنعوا على بني أُميّة حتى زادوا في عهدهم أن لا يلعن على منبرهم أحد .. وأي شرف أعظم من امتناعهم من لعن أخي رسول الله (صلى الله عليه وآله) على منبرهم ، وهو يلعن على منابر الحرمين مكّة والمدينة؟ ـ معجم البلدان: ٣ / ١٩٠ ـ ١٩١ .

(٢) بحار الأنوار : ٥٠ / ٨٦ .

واعتبر ذلك شرفاً له ، وسأله عن حاجته فأخبره بها ، فقال له: لا تؤدّ لي خراجاً ما دام لي عمل ، ثمّ سأله عن عياله فأخبره بعددهم فأمر له ولهم بصلة ، وظلّ الرجل لا يؤدّي الخراج ما دام الوالي حيّاً ،كما انّه لم يقطع صلته عنه[1] كلّ ذلك ببركة الإمام ولطفه .

٣ـ المواساة للناس :

وواسى الإمام الجواد (عليه السلام) الناس في البأساء والضرّاء ، فقد ذكروا : أنه قد جرت على إبراهيم بن محمّد الهمداني مظلمة من قِبل الوالي ، فكتب إلى الإمام الجواد(عليه السلام) يخبره بما جرى عليه ، فتألّم الإمام وأجابه بهذه الرسالة :

« عجّل الله نصرتك على من ظلمك ، وكفاك مؤنته ، وابشر بنصر الله عاجلاً إن شاء الله ، وبالآخرة آجلاً ، وأكثر من حمد الله . . »[2] .

ومن مواساته للناس: تعازيه للمنكوبين والمفجوعين ، فقد بعث رسالة إلى رجل قد فجع بفقد ولده ، وقد جاء فيها بعد البسملة :

« ذكرت مصيبتك بعليّ ابنك ، وذكرت أنّه كان أحبّ ولدك إليك ، وكذلك الله عزّوجلّ إنّما يأخذ من الولد وغيره أزكى ما عند أهله ، ليعظم به أجر المصاب بالمصيبة ، فأعظم الله أجرك ، وأحسن عزاك ، وربط على قلبك ، إنّه قدير ، وعجّل الله عليك بالخلف ، وأرجو أن يكون الله قد فعل إن شاء الله ...»[3] .

(١) بحار الأنوار : ١٢ / ١٢٩ .

(٢) بحار الأنوار : ١٢ / ١٢٦ .

(٣) وسائل الشيعة : ٢ / ٨٧٤.

وأعربت هذه الرسالة الرقيقة عن مدى تعاطف الإمام مع الناس، ومواساته لهم في البأساء والضرّاء.

ومن مواساته للناس: أنّ رجلاً من شيعته كتب إليه يشكو ما ألمّ به من الحزن والأسى لفقد ولده، فأجابه الإمام (عليه السلام) برسالة تعزية جاء فيها:

«أما علمت أنّ الله عزّوجلّ يختار من مال المؤمن، ومن ولده أنفسَه ليؤجره على ذلك..»[١].

لقد شارك الناس في البأساء والضرّاء، وواساهم في مصائبهم ومحنهم، ومدّ يد المعونة إلى فقرائهم وضعفائهم، وبهذا البرّ والإحسان احتلّ القلوب وملك العواطف وأخلص له الناس واحبّوه كأعظم ما يكون الإخلاص والحبّ.

لقد كان الإمام الجواد (عليه السلام) يمثّل أروع صور الفضيلة والكمال في الأرض، فلم يرَ الناس في عصره من يضارعه في علمه وتقواه وورعه، وشدّة تحرّجه في الدين، فقد كان نسخة لا ثاني لها في فضائله ومآثره التي هي السرّ في إمامته.

لقد أعجبت الأوساط الإسلامية بالإمام الجواد(عليه السلام) لما عرفوا مواهبه، وملكاته العلمية التي لا تحدّ، وهي ممّا زادت الشيعة إيماناً ويقيناً بصحّة ما تذهب إليه وتعتقد به من أنّ الإمام لا بدّ أن يكون أعلم أهل زمانه وأفضلهم واتقاهم[٢].

---

(١) وسائل الشيعة: ٢ / ٨٩٣.

(٢) راجع حياة الإمام محمد الجواد (عليه السلام): ٧٠ ـ ٧٥.

الباب الثاني

فيه فصول :

الفصل الأوّل :

نشأة الإمام محمّد الجواد (عليه السلام)

الفصل الثاني :

مراحل حياة الإمام محمّد الجواد (عليه السلام)

الفصل الثالث :

الإمام الجواد في ظلّ أبيه (عليهما السلام)

الفصل الأول

نشأة الإمام محمّد الجواد (عليه السلام)

١ ـ نسبه : الإمام محمد الجواد (عليه السلام) من الأُسرة النبوية وهي أجلّ وأسمى الأُسر التي عرفتها البشرية ، فهو ابن الإمام علي الرضا ابن الإمام موسى الكاظم ابن الإمام جعفر الصادق ابن الإمام محمد الباقر ابن الإمام علي السجاد ابن الإمام الحسين سبط رسول الله (صلى الله عليه وآله) وابن الإمام علي بن أبي طالب (عليهم السلام) .

٢ ـ أُمه : هي من أهل بيت مارية القبطية ، نوبيّة مريسية ، اسمها : سبيكة أو ريحانة أو درّة ، وسمّاها الرضا (عليه السلام) خيزران .

وصفها رسول الله (صلى الله عليه وآله) بأنها خيرة الإماء الطيبة . وقال العسكري (عليه السلام) : **«خُلقت طاهرة مطهّرة وهي أُم ولد تكنّى بأُم الجواد ، وأُم الحسن ، وكانت أفضل نساء زمانها »**[1].

٣ ـ ولادته : ولد (عليه السلام) في شهر رمضان من سنة خمس وتسعين ومائة لسبع عشر ليلة مضت من الشهر وقيل : للنصف منه ليلة الجمعة[2] وكانت ولادته في المدينة .

وغمرت الإمام الرضا (عليه السلام) موجات من الفرح والسرور بوليده المبارك،

---

(١) مستدرك عوالم العلوم : ٢٣ / ٢٠ .

(٢) إعلام الورى بأعلام الهدى : ٢ / ٩١ .

وطفق يقول : « قد ولد لي شبيه موسىٰ بن عمران فالق البحار ، وشبيه عيسىٰ بن مريم ، قدّست أُم ولدته..»[1].

٤ ـ كنيته : أبو جعفر ، وهي كنية جده الباقر(عليه السلام) وللتمييز بينهما يكنّىٰ بأبي جعفر الثاني ، وأضاف في دلائل الإمامة كنية ثانية له هي: أبو علي الخاص، وفسّر المتأخرون هذه العبارة بأنّ له كنية خاصة هي: «أبو علي»، وليست كنيته هي «أبو علي الخاص» كما يبدو للناظر في عبارة دلائل الإمامة .

٥ ـ ألقابه : أمّا ألقابه الكريمة فهي تدل علىٰ معالم شخصيته العظيمة وسمو ذاته وهي :

١ ـ الجواد : لُقب به لكثرة ما أسداه من الخير والبر والاحسان الى الناس .

٢ ـ التقي : لقب به لأنه اتّقىٰ الله وأناب اليه ، واعتصم به ولم يستجب لأي داعٍ من دواعي الهوىٰ .

٣ ـ المرتضىٰ .

٤ ـ القانع .

٥ ـ الرضي .

٦ ـ المختار .

٧ ـ باب المراد[2].

نقش خاتمه : يدل نقش خاتمه(عليه السلام) على شدة انقطاعه(عليه السلام) الى الله سبحانه، فقد كان « العزّة لله »[3]

---

(١) حياة الإمام محمد الجواد (عليه السلام) : ٢٢ .

(٢) مستدرك عوالم العلوم : ٢٣ / ٢٧ ـ ٢٩ .

(٣) مستدرك عوالم العلوم : ٢٣ / ٣١ .

الفصل الثاني

مراحل حياة الإمام محمد الجواد (عليه السلام)

ولد الإمام محمّد بن علي الجواد عام (١٩٥ هـ) أي في السنة التي بويع فيها للمأمون العباسي، وعاش في ظلّ أبيه الرضا (عليه السلام) حوالي سبع سنين، وعاصر أحداث البيعة بولاية العهد لأبيه الرضا (عليه السلام) وما صاحبها وتلاها من حوادث ومحن حتى تجلّت آخر محن أبيه (عليه السلام) في اغتيال المأمون للرضا (عليه السلام).

وبقي الإمام محمد الجواد (عليه السلام) بعد حادث استشهاد أبيه (عليه السلام) في منعةٍ من كيد المأمون الذي قتل الإمام الرضا (عليه السلام) وبقي عند الناس متّهماً بذلك. لكنه لم ينج من محاولات التسقيط لشخصيته ومكانته المرموقة والسامية في القلوب. وقد تحدّى كل تلك المحاولات إعلاءً لمنهج أهل البيت (عليهم السلام) وشيعتهم في عقيدة الإمامة والزعامة وما يترتب عليها من الآثار السياسية والاجتماعية.

وينتهي عهد المأمون العباسي في سنة (٢١٨ هـ) ويتربّع أخوه المعتصم على كرسي الخلافة حتى سنة (٢٢٧ هـ) ولم يسمح للإمام الجواد (عليه السلام) بالتحرّك ويراقب ـ بكل دقّة ـ النشاط الاجتماعي والسياسي للإمام (عليه السلام) ثمّ يغتاله على يد ابنة أخيه المأمون، المعروفة بأم الفضل والتي زوّجها المأمون من الإمام الجواد (عليه السلام) ولم تنجب له من الأولاد شيئاً، وذلك في سنة (٢٢٠ هـ)، وهكذا قضى المعتصم على رمز الخط الهاشمي وعميده، الإمام محمّد التقي أبي جعفر الجواد (عليه السلام).

اذن تنقسم الحياة القصيرة لهذا الإمام المظلوم الى قسمين وثلاث مراحل :

القسم الأول : حياته في عهد أبيه وهي المرحلة الاولى من حياته القصيرة والمباركة وتبلغ سبع سنوات تقريباً .

والقسم الثاني : حياته بعد استشهاد أبيه حتى شهادته . وتبلغ حوالي سبع عشرة سنة .

وينقسم هذا القسم بدوره إلى مرحلتين متميّزتين :

المرحلة الأُولى : حياته في عهد المأمون وهي المرحلة الثانية من حياته وتبلغ حوالي خمس عشرة سنة . وهي أطول مرحلة من مراحل حياته القصيرة.

والمرحلة الثانية : وهي مدة حياته في عهد المعتصم العباسي وتبلغ حوالي سنتين وتمثّل المرحلة الثالثة من حياته الشريفة .

وهكذا تتلخص مراحل حياته (عليه السلام) كما يلي:

المرحلة الأُولى: سبع سنوات وهي حياته في عهد أبيه الرضا(عليه السلام) حيث ولد سنة (١٩٥ هـ) ـ وفي حكم محمد الأمين العبّاسي ـ واستشهد الإمام الرضا(عليه السلام) في صفر من سنة (٢٠٣ هـ) .

المرحلة الثانية: خمس عشرة سنة وهي حياته بقية حكم المأمون من سنة (٢٠٣ هـ) الى سنة (٢١٨هـ).

المرحلة الثالثة: حياته بعد حكم المأمون وقد بلغت حوالي سنتين من أيام حكم المعتصم أي من سنة (٢١٨ ـ ٢٢٠ هـ).

الفصل الثالث

الإمام الجواد في ظل أبيه (عليه السلام)

قامت الدولة العباسية ـ في بداية أمرها ـ على الدعوة الى العلويين خاصة، ثم لأهل البيت(عليهم السلام)، ثم الى الرضا من آل محمد (صلى الله عليه وآله)، وكان سرّ نجاحها في ربطها بأهل البيت(عليهم السلام) ، حيث تحكّم العباسيون وتسلّطوا على الأُمة بدعوى القربى النسبية من الرسول الاكرم (صلى الله عليه وآله).

ومن هنا فإنّ من الطبيعي ، أن يكون الخطر الحقيقي الذي يتهدد العباسيين وخلافتهم ، هو من جهة أبناء عمّهم العلويين ، الذين كانوا أقوى منهم حجة وأقرب الى النبي (صلى الله عليه وآله) منهم نسباً ووشيجة.

فادّعاء العلويين الخلافة له مبرراته الكاملة ، ولا سيما وان من بينهم من له الجدارة والاهلية ، ويتمتع بأفضل الصفات والمؤهلات لهذا المنصب من العلم والعقل والحكمة وبعد النظر في الدين والسياسة ، علاوة على ماكان يكنه الناس لهم من الاحترام والتقدير .

أضف الى ذلك كله ان رجالات الإسلام وأبطاله،كانوا هم آل أبي طالب ـ رضوان الله تعالى عليه ـ فأبو طالب مربي النبي (صلى الله عليه وآله) وكفيله ، وعلي(عليه السلام) وصيه وظهيره ، وكذلك الحسن والحسين وعلي زين العابدين وبقية الائمة (عليهم السلام).

وقد كان الخلفاء من بني العباس يدركون جيداً مقدار نفوذ العلويين ، ويتخوفون منه ، منذ أيامهم الاولى في السلطة . فمثلاً وضع السفاح من أول عهده الجواسيس على بني الحسن ، حيث قال لبعض ثقاته ، وقد خرج وفد بني الحسن من عنده : قم بانزالهم ولا تأل في الطافهم ، وكلما خلوت معهم فأظهر الميل اليهم ، والتحامل علينا وعلى ناحيتنا وانهم أحق بالأمر منّا ، واحص لي ما يقولون وما يكون منهم في مسيرهم ومقدمهم »[1].

أجل لقد أدرك العباسيون ان الخطر الحقيقي الذي يتهدّدهم إنّما هو من قبل العلويين وعليه كان عليهم ان يتحركوا لمواجهة الخطر المحدق بهم بكل وسيلة ، وبأي اسلوب كان ، سيّما وهم يشهدون عن كثب سرعة استجابة الناس للعلويين ، وتأييدهم ومساندتهم لكل دعوة من قبلهم .

سياسة العباسيين مع الرعية :

لا نريد أن نعرض لأنواع الظلامات التي كان العباسيون يمارسونها ، فإن ذلك مما لا يمكن الإلمام به ولا استقصاؤه في هذه العجالة .

وإنما نريد فقط أن نعطي لمحة سريعة عن سيرتهم السيئة في الناس ، ومدى اضطهادهم وظلمهم لهم ، وجورهم عليهم ، الأمر الذي أسهم إسهاماً كبيراً في كشف حقيقتهم أمام الملأ ، حتى لقد قال أبو عطاء السندي المتوفى سنة (١٨٠ هـ) :

يا ليت جور بني مروان دام لنا ... وليت عدل بني العباس في النار[2]

(١) الحياة السياسية للامام الرضا (عليه السلام): ٦٦.

(٢) الحياة السياسية للامام الرضا (عليه السلام): ١٠٨.

إنّ المثل الأعلى للعدالة والمساواة الذي انتظره الناس من العباسيين ، قد أصبح وهماً من الأوهام ، فشراسة المنصور والرشيد وجشعهم ، وجور أولاد علي ابن عيسى وعبثهم بأموال المسلمين ، يذكّرنا بالحجّاج وهشام ويوسف بن عمرو الثقفي، ولقد عمّ الاستياء أفراد الشعب بعد ان استفتح أبو عبدالله المعروف بـ« السفّاح » وكذلك «المنصور »، بالإسراف في سفك الدماء ، على نحو لم يعرف من قبل[1].

ويقول المؤرخون أيضاً عن أبي العباس السفاح انه كان سريعاً الى سفك الدماء ، فاتبعه عمّاله في ذلك ، في المشرق والمغرب ، واستنوا بسيرته، مثل: محمد بن الاشعث بالمغرب ، وصالح بن علي بمصر ، وخازم بن خزيمة ، وحميد ابن قحطبة ، وغيرهم..[2].

لقد كان أبو جعفر المنصور يعلق الناس من أرجلهم حتى يؤدّوا ما عليهم..[3]. ووصفه آخرون بأنه كان غادراً خداعاً ، لا يتردد البتة في سفك الدماء... كان سادراً في بطشه ، مستهتراً في فتكه ، وتُعتبر معاملته لأولاد عليّ من أسوأ صفحات التاريخ العباسي[4].

وأما الهادي فقد كان يتناول المسكر ويحب اللهو والطرب وكان ذا ظلم وجبروت . وكان سيئ الاخلاق ، قاسي القلب ، جبّاراً ، يتناول المسكر، ويلعب[5].

---

(١) الحياة السياسية للإمام الرضا(عليه السلام) : ١٠٨ـ ١٠٩.

(٢) مروج الذهب : ٢٢٢/٣.

(٣) المحاسن والمساوئ : ٣٣٩.

(٤) مختصر تاريخ العرب و التمدن الاسلامي : ١٨٤.

(٥) تاريخ الخميس : ٢ / ٣٣١.

واما الرشيد ، فيكفيه انه ـ كما ينص المؤرخون ـ يشبه المنصور في كل شيء إلّا في بذل المال حيث يقولون ان المنصور كان بخيلاً .

وهكذا لم يكن بقية الخلفاء العباسيين أفضل من الذين أشرنا إليهم ، ولا كانت أيامهم بدعاً من تلك الأيام .

ولعل الكلمة التي تجمع صفات بني العباس الخلقيّة ، هي الكلمة التي كتبها المأمون ، وهو في مرو في رسالة منه للعباسيين ، بني أبيه في بغداد ، والمأمون هو من أهل ذلك البيت ، الذين هم أدرىٰ من غيرهم بما فيه ، لأنهم عاشوا في خضمّ الأحداث ، وشاهدوا كل شيء عن كثب ، يقول المأمون في تلك الرسالة :

«... وليس منكم إلّا لاعب بنفسه ، مأفون في عقله وتدبيره ، إما مغنٍّ ، أو ضارب دفّ ، أو زامر ، والله لو أن بني أُمية الذين قتلتموهم بالأمس نُشِروا ، فقيل لهم: لا تأنفوا من معائب تنالوهم بها ، لما زادوا على ما صيرتموه لكم شعاراً ودثاراً ، وصناعة وأخلاقاً .

ليس منكم إلّا من إذا مسّه الشر جزع ، وإذا مسّه الخير منع . ولا تأنفون ، ولا ترجعون إلّا خشية ، وكيف يأنف من يبيت مركوباً ، ويصبح بإثمه معجباً . كأنه قد اكتسب حمداً ، غايته بطنه وفرجه ، لا يبالي ان ينال شهوته بقتل ألف نبي مرسل ، أو ملك مقرب ، أحب الناس اليه مَن زيّن له معصية ، أو أعانه في فاحشة ، تنظفه المخمورة..»[1].

(١) الحياة السياسية للإمام الرضا (عليه السلام) : ٤٦٣ ـ ٤٦٤ .

الحالة السياسية في هذه المرحلة :

لا يمكن من الناحية التاريخية ان يفصل دور أي إمام من ائمة أهل البيت (عليهم السلام) عن دور مَن سبقه من الائمة او دَور مَن يليه منهم ، بالنظر الى تنوع الأدوار والأعمال والمهمّات التي ينهضون بها مع اتحاد الهدف والغاية والمقصد.

كما ان من العناصر المهمّة في فهم دور الإمام الجواد (عليه السلام) في تحريك الاوضاع في الاتجاه الذي يخدم المصالح العليا للاسلام والمسلمين ، إلمامنا بالخطوط العامة للوضع السياسي في مرحلتي تصديه للقيادة بعد شهادة أبيه الإمام الرضا(عليه السلام) وقبل التصدي عندما كان في ظل أبيه (عليه السلام).

وقد عاصر الإمام في هاتين المرحلتين خليفتين متميّزين بأُسلوب الحكم وإن اشتركا بغصبهما لمنصب القيادة الشرعية والكيد لها .

وكانت إمامة الجواد (عليه السلام) واقعة في ملك ولدَي هارون الرشيد المأمون والمعتصم . وقبل تصديه للإمامة كان قد عاصر الأمين والمأمون معاً .

ولأجل أن نقف على اهم ملامح المرحلة الاولى من حياة هذا الإمام العظيم فلابد لنا أن نقف على أهم الاحداث السياسية لهذه المرحلة ونلمّ بأهم أسبابها وما خلّفته من آثار سلبية اجتماعية ودينية واقتصادية على الأمة الاسلامية عامة وعلى الدولة الاسلامية بشكل خاص .

ومن هنا لزم الوقوف عند ما يلي :

١ ـ الفتنة بين الأمين والمأمون .

٢ ـ الأمين ونزعاته واتجاهاته وسياسته .

٣ ـ المأمون ونزعاته واتجاهاته وسياسته .

إن الفتنة بين محمد الأمين وعبدالله المأمون ولدَي هارون الرشيد تعتبر أهمّ حدث سياسي قد وقع في هذه الرحلة التي نتكلم عن ملامحها ، وقد عُبّر عنها بالفتنة الكبرى التي أدّت إلى إشعال نار الحرب بينهما وكلّفت المسلمين ثمناً باهضاً بذلوه من دماء وأموال وطاقات في سبيل استقرار الملك والسلطان لكل منهما .

وللوقوف على أسباب هذه الفتنة لابد أن نقف على شخصية كل واحد من هذين الأخوين بالإضافة الى ما قام به الرشيد شخصياً لزرع بذور هذه الفتنة حيث عهد لابنائه الثلاثة : الأمين ثم المأمون ثم المؤتمن وبذلك قد مهّد لهم سبيل التنافس على المُلك مع ما منحهم من امكانيات وقدرات ماديّة يتنافسون بسببها ويأمل كل منهم حذف من سواه، وسوق منصب الخلافة لأبنائه دون إخوته .

محمّد الأمين: نزعاته وسياسته

لم تكن في الأمين أيّة صفة كريمة يستحق بها هذا المنصب الخطير في الإسلام، فقد أجمع المترجمون له على انّه لم يتّصف بأيّة نزعة شريفة ، وانّما قلّده الرشيد منصب الخلافة نظراً لتأثير زوجته السيدة زبيدة عليه وفيما يلي بعض صفاته :

١ ـ **كراهيته للعلم** : كان الأمين ينفر من العلم ، ويحتقر العلماء ، وكان أُمّياً لا يقرأ ولا يكتب[1] وإذا كان بهذه الصفة كيف قلّده الرشيد الخلافة الاسلامية؟

٢ ـ **ضعف الرأي** : وكان الأمين ضعيف الرأي ، وقد أُعطي المُلك العريض ولم يحسن سياسته ، وقد وصفه المسعودي بقوله :كان قبيح السيرة ضعيف الرأي

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك للمقريزي : ١ / ١٦.

يركب هواه، ويهمل أمره، ويتكل في جليلات الخطوب على غيره، ويثق بمن لا ينصحه[١]. ووصفه الكتبي بقوله: وكان قد هانَ عليه القبيح فاتّبع هواه، ولم ينظر في شيء من عقباه.

وكان من أبخل الناس على الطعام، وكان لا يبالي أين قعد، ولا مع من شرب[٢].

وممّا لا شبهة فيه أنّ أصالة الفكر والرأي من أهم الشروط التي يجب أن تتوفر فيمن يلي أُمور المسلمين.

٣ ـ احتجابه عن الرعيّة: واحتجب الأمين عن الرعية كما احتجب عن أهل بيته وأُمرائه وعمّاله واستخفّ بهم[٣] وانصرف إلى اللهو والطرب، وقد عهد إلى الفضل بن الربيع أُمور دولته، فجعل يتصرف فيها حسب رغباته وميوله، وقد خفّ إلى الأمين اسماعيل بن صبيح، وكان أثيراً عنده، فقال له: يا أمير المؤمنين أنّ قوّادك وجُندك وعامة رعيتك، قد خبثت نفوسهم، وساءت ظنونهم وكبر عندهم ما يرون من احتجابك عنهم، فلو جلست لهم ساعة من نهار فدخلوا عليك فإنّ في ذلك تسكيناً لهم، ومراجعة لآمالهم.

واستجاب له الأمين فجلس في بلاطه ودخل عليه الشعراء فأنشدوه قصائدهم، ثمّ انصرف فركب الحرّاقة إلى الشماسية، واصطفّت له الخيل وعليها الرجال، وقد اصطفّوا على ضفاف دجلة، وحملت معه المطابخ والخزائن، أمّا الحرّاقة التي ركبها فكانت سفينة على مثال أسد وما رأى الناس منظراً كان أبهى من ذلك المنظر.

---

(١) التنبيه والاشراف: ٣٠٢.

(٢) عيون التواريخ: ٣، ورقة: ٢١٢.

(٣) سمط النجوم: ٣ / ٣٠٦.

لقد كان الأمين انساناً تافهاً قد اتجه إلى ملذّاته وشهواته ولم يُعنَ بأيّ شأن من شؤون الدولة الاسلامية .

٤ ـ خلعه للمأمون : وتقلّد الأمين الخلافة يوم توفّي الرشيد ، وقد ورد عليه خاتم الخلافة والبردة والقضيب التي يتسلّمها كل من يتقلّد الخلافة من ملوك العباسيين وحينما استقرت له الأُمور خلع أخاه المأمون ، وجعل العهد لولده موسى وهو طفل صغير في المهد وسمّاه الناطق بالحق ، وأرسل إلى الكعبة من جاءه بكتاب العهد الذي علّقه فيها الرشيد ، وقد جعل فيه ولاية العهد للمأمون بعد الأمين ، وحينما أتي به مزّقه .

الحروب الطاحنة :

وبعد ما خلع الأمين أخاه المأمون عن ولاية العهد ، وأبلغه ذلك رسمياً ندب إلى حربه علي بن عيسى ، ودفع إليه قيداً من ذهب، وقال له : أوثق المأمون، ولا تقتله حتى تقدم به إليّ وأعطاه مليوني دينار سوى الأثاث والكراع ، ولمّا علم المأمون ذلك سمّى نفسه أمير المؤمنين ، وقطع عنه الخراج ، وألغى اسمه من الطراز والدراهم والدنانير ، وأعلن الخروج عن طاعته ، وندب طاهر بن الحسين، وهرثمة بن أعين إلى حربه، وإلتقى الجيشان بالري ، وقد إلتحما في معركة رهيبة جرت فيها أنهار من الدماء وأخيراً انتصر جيش المأمون على جيش الأمين، وقتل القائد العام للقوات المسلحة في جيش الأمين ، وانتهبت جميع أمتعته وأسلحته ، وكتب طاهر بن الحسين إلى الفضل بن سهل وزير المأمون يخبره بهذا الانتصار الباهر وقد جاء في رسالته: «كتبت إليك ، ورأس علي بن عيسى في حجري، وخاتمه في يدي والحمد لله ربّ العالمين » ودخل الفضل على المأمون فسلّم عليه بالخلافة ، وأخبره بالأمر ، وأيقن المأمون بالنصر فبعث إلى طاهر القائد العام في

جيشه بالهدايا والأموال ، وشكره شكراً جزيلاً على ذلك ، وقد سمّاه ذا اليمينين، وصاحب خيل اليدين ، وأمره بالتوجه إلى احتلال العراق والقضاء على أخيه الأمين .

وخفّت جيوش المأمون إلى احتلال بغداد بقيادة طاهر بن الحسين ، فحاصرت بغداد ، وقد دام الحصار مدة طويلة تخرّبت فيها معالم الحضارة في بغداد ، وعمّ الفقر والبؤس جميع سكانها وكثر العابثون ، والشذّاذ فقاموا باغتيال الأبرياء ، ونهبوا الأموال وطاردوا النساء حتى تهيأت جماعة من خيار الناس تحت قيادة رجل يقال له سهل بن سلامة فمنعوا العابثين وتصدوا لهم بقوة السلاح حتى أخرجوهم من بغداد[1].

وقد زحفت جيوش المأمون إلى قصر الأمين وطوّقته وألحقت الهزائم بجيشه، فلم تتمكّن قوّات الأمين من الصمود أمام جيش المأمون الذي كان يتمتّع بروح معنوية عالية بالإضافة إلى ما كان يملكه من العتاد والسلاح .

قتل الأمين :

وكان الأمين في تلك المحنة مشغولاً بلهوه، إذ كان يصطاد سمكاً مع جماعة من الخدم وكان فيهم (كوثر) الذي كان مغرماً به فكان يوافيه الأنباء بهزيمة جنوده ، ومحاصرة قصره فلم يعن بذلك ، وكان يقول : اصطاد كوثر ثلاث سمكات وما اصطدت إلّا سمكتين!! وهجمت عليه طلائع جيش المأمون فأجهزت عليه ، وحمل رأسه إلى طاهر بن الحسين فنصبه على رمح وتلا قوله تعالى : ﴿اللّهمّ مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممّن تشاء﴾[2].

---

(١) اتجاهات الشعر العربي : ٧٣ .

(٢) عيون التواريخ : ٣، ورقة: ٢١١ / حياة الإمام محمد الجواد : ١٩٣ ـ ١٩٧ .

خلافة إبراهيم الخليع :

سمّي إبراهيم بالخليع لأنه لم يترك لوناً من ألوان المجون إلّا ارتكبه ، وكان مدمناً على الخمر في أكثر أوقاته ، وقد نصّبه العبّاسيون خليفة عليهم ، وذلك لحقدهم على المأمون وكراهيتهم له ، وقد بايعه الغوغاء ، وأهل الطرب من الناس ، ومن الطريف أنّ الغوغاء أرادوا منه المال فجعل يسوّفهم ، وطال عليهم الأمر فأحاطوا بقصره فخرج إليهم رسوله فأخبرهم أنّه لا مال عنده ، فقام بعض ظرفاء بغداد فنادى : « أخرجوا إلينا خليفتنا ليغنّي لأهل هذا الجانب ثلاثة أصوات ، ولأهل هذا الجانب ثلاثة أصوات فتكون عطاءاً لهم... »(١).

وزحف المأمون بجيوشه نحو بغداد للقضاء على تمرّد إبراهيم ، فلمّا علم ذلك هرب ، وهرب من كان يعتمد على نصرته ، وظلّ إبراهيم مختفياً في بغداد يطارده الرعب والخوف ، وقد ظفر به المأمون فعفا عنه لأنّه لم يكن له أي وزن سياسي حتى يخشى منه .

ثورة أبي السرايا :

من أعظم الثورات الشعبية التي حدثت في عصر الإمام أبي جعفر (عليه السلام) ثورة أبي السرايا التي استهدفت القضايا المصيرية لجميع الشعوب الإسلامية ، فقد رفعت شعار الدعوة إلى (الرضا من آل محمّد (صلى الله عليه وآله)) الذين كانوا هم الأمل الكبير للمضطهدين والمحرومين ، وكادت أن تعصف هذه الثورة بالدولة العبّاسية ، فقد استجاب لها معظم الأقطار الإسلامية ، فقد كان قائدها الملهم أبو السرايا ممّن هذّبته الأيام ، وحنكته التجارب ، وقام على تكوينه عقل كبير ، فقد استطاع

---

(١) حياة الإمام محمّد الجواد (عليه السلام) : ١٩٨ .

بمهارته أن يجلب الكثير من أبناء الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) ويجعلهم قادة في جيشه ، ممّا أوجب اندفاع الجماهير بحماس بالغ إلى تأييد ثورته والانضمام إليها إلّا أنّ المأمون قد استطاع بمهارة سياسية فائقة أن يقضي على هذه الحركة ، ويقبرها في مهدها ، فقد جلب الإمام الرضا (عليه السلام) إلى خراسان ، وأرغمه على قبول ولاية العهد ، وأظهر للمجتمع الإسلامي أنّه علوي الرأي ، فقد رفق بالعلويّين ، وأوعز إلى جميع أجهزة حكومته بانتقاص معاوية والحطّ من شأنه ، وتفضيل الإمام أمير المؤمنين على جميع صحابة النبيّ (صلى الله عليه وآله) فاعتقد الجمهور أنّه من الشيعة واستطاع بهذا الأُسلوب الماكر أن يتغلّب على الأحداث ويخمد نار الثورة[١].

لقد عاش الإمام أبو جعفر محمّد الجواد (عليه السلام) معظم حياته في عهد المأمون، ولم يلبث بعده إلّا قليلاً حتى وافاه الأجل المحتوم . . ويرى بعض المؤرّخين أنّ المأمون كان يكنّ له أعظم الودّ وخالص الحبّ ، فزوّجه من ابنته أُمّ الفضل ، ووفّر له العطاء الجزيل ، وكان يحوطه ، ويحميه ويخشى عليه عوادي الدهر ، ويضنّ به على المكروه ، وكان يصرّح أنّه يبغي بذلك الأجر من الله ، وصلة الرحم التي قطعها آباؤه ، وفيما أحسب أنّ ذلك التكريم لم يكن عن إيمان بالإمام أو إخلاص له ، وإنّما كان لدوافع سياسية نعرض لها في المباحث الآتية .

وعلى أيّة حال فلابدّ لنا من وقفة قصيرة لدراسة حياة المأمون ، والوقوف على اتّجاهاته الفكرية والعقائدية ، والنظر فيما صدر منه من تكريم للإمام (عليه السلام) فإنّ ذلك ممّا يرتبط ارتباطاً موضوعياً بالبحث عن حياة الإمام أبي جعفر (عليه السلام).

---

(١) راجع حياة الإمام محمد الجواد (عليه السلام) : ١٩٨ ـ ١٩٩ .

عبدالله المأمون: نزعاته وسياسته

عبدالله المأمون هو أبو العباس بن هارون بن محمد بن عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس ، ولد بالياسرية في ليلة الجمعة منتصف ربيع الأول سنة (١٧٠ هـ) وبويع له بمرو فتوجه الى بغداد وقدمها وعمره اذ ذاك تسع وعشرون سنة وعشرة أشهر وعشرة أيام .

وأُمّه ام ولد تسمّى مراجل .

من أبرز نزعات المأمون وصفاته:

١ ـ **الدهاء:** لم يعرف العصر العبّاسي من هو أذكى من المأمون ، ولا من هو أدرى منه في الشؤون السياسية العامّة فقد كان سياسياً من الطراز الأوّل ، حتى استطاع بحدّة ذكائه ، وقدراته السياسية أن يتغلّب على كثير من الأحداث الرهيبة التي ألمّت به ، وكادت تطوي حياته ، وتقضي على سلطانه ، فقد استطاع أن يقضي على أخيه الأمين الذي كان يتمتّع بتأييد مكثّف من قِبل الأُسرة العبّاسيّة ، والسلطات العسكرية ، كما استطاع أن يقضي على أعظم حركة عسكرية مضادّة له ، تلك ثورة أبي السرايا التي اتّسع نطاقها فشملت الأقاليم الإسلامية حتى سقط بعضها بأيدي الثوار ، وكان شعار تلك الثورة الدعوة إلى الرضىٰ من آل محمّد (صلى الله عليه وآله) فحمل الإمام الرضا(عليه السلام) إلى خراسان ، وكان(عليه السلام) زعيم الأُسرة العلويّة وعميدها ، فأرغمه على قبول ولاية العهد ، وعهد إلى جميع أجهزة حكومته بإذاعة فضائله ومآثره ، كما ضرب السكّة باسمه ، فأوهم بذلك على الثوار والقوى الشعبية المؤيّدة لهم أنّه جادّ فيما فعله، حتى أيقنوا أنّه لا حاجة إلى الثورة وإراقة الدماء بعد أن حصل الإمام(عليه السلام) على ولاية العهد، وقضى بذلك على الثورة ، وطوى معالمها ، وهذا التخطيط كان من أروع المخطّطات السياسية التي عرفها

العالم في جميع مراحل التاريخ .

٢ ـ **القسوة :** وانعدام الرحمة والرأفة من آفاق نفسه هي صفة أُخرىٰ له ، والذي يدعم ذلك فهو قتله لأخيه حينما استولت عليه قوّاته العسكرية ، ولو كان يملك شيئاً من الرحمة لما قتل أخاه .

كما أنّه قابل العلويّين بعد قتله للإمام الرضا (عليه السلام) بمنتهى الشدّة والقسوة ، فعهد إلى جلّاديه بقتلهم والتنكيل بهم أينما وجِدوا .

٣ ـ **الغدر :** فقد بايع للإمام الرضا (عليه السلام) بولاية العهد ، وبعد ما تحققت مآربه السياسية دسّ إليه السمّ فقتله ليتخلّص منه .

٤ ـ **ميله إلى اللهو :** أمّا الميل إلى اللهو فقد أقبل عليه بنهم وفيما يلي بعض ما أثر عنه :

لعبه بالشطرنج :

ولم يكن شيء من الملاهي أحبّ إلى المأمون من الشطرنج[1] فقد هام في هذه اللعبة وقد وصفها بهذه الأبيات :

أرض مـــربعة حـمراء مـن أدم ... ما بين الفين موصوفين بالكرم
تذاكرا الحرب فاحتالا لها شبهاً ... من غير أن يسعيا فيها بسفك دم
هـذا يـغير عـلى هـذا وذاك عـلى ... هذا يغير وعين الحرب لم تنم
فانظر إلى الخيل قد جاشت بمعركة ... في عسكرين بلا طبل ولا علم[2]

وألمّ هذا الشعر بوصف دقيق للشطرنج ، ولعلّه أسبق من نظم فيه الشعر الذي أحاط بأوصافه ، وكان أبوه الرشيد مولعاً بالشطرنج ، وقد أهدى إلى ملك فرنسا أدواته ، وتوجد حالياً في بعض متاحف فرنسا .

---

(١) العقد الفريد : ٣ / ٢٥٤ .

(٢) المستطرف : ٢ / ٣٠٦ .

ولعه بالموسيقى :

وكان المأمون مولعاً بالغناء والموسيقى ، وكان له هوى شديد في ذلك وكان معجباً كأشدّ ما يكون الإعجاب بأبي إسحاق الموصلي ، الذي كان من أعظم العازفين والمغنّين في العالم العربي ، وقد قال فيه : كان لا يغنّي أبداً إلّا وتذهب عنّي وساوسي المتزايدة من الشيطان[1].

وكان يحيي لياليه بالغناء والرقص والعزف على العود ، ولم يمرّ اسم الله ولا ذكره في قصوره ولياليه .

٥ ـ تظاهره بالتشيّع :

لقد تظاهر المأمون بالتشيّع ، حتى اعتقد الكثيرون أنّه من الشيعة ؛ لأنّه قام بما يلي :

أ ـ ردّ فدك للعلويّين : بعد أن صادرتها الحكومات السابقة عليه وكان قصدها إشاعة الفقر بين العلويّين ، وفرض الحصار الاقتصادي عليهم حتى يشغلهم الفقر والبؤس عن مناهضة أُولئك الحكّام ، وقد أنعش المأمون العلويّين ، ورفع عنهم تلك الضائقة الاقتصادية التي كانت آخذة بخناقهم ، واعتبر البعض هذا الإجراء دليلاً على تشيّعه .

ب ـ تفضيل الإمام علي بن أبي طالب(عليه السلام) على الصحابة : وقام المأمون بإجراء خطير فقد أعلن رسمياً فضل الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(عليه السلام) على عموم الصحابة كما أعلن الحطّ من معاوية بن أبي سفيان .

---

(١) الحضارة العربية لجاك س . ريلر : ١٠٨ .

وكان هذا الإجراء من أهمّ المخطّطات التي تُلفت النظر إلى تشيعه ، فقد جرى سلفه على انتقاص الإمام (عليه السلام)، والحطّ من شأنه ، وتقديم سائر الصحابة عليه .

ج ـ **ولاية العهد للإمام الرضا** (عليه السلام) : حيث قيل إنّ معناها أنه قد أخرج بذلك الخلافة من العبّاسيين إلى العلويّين .

ويلاحظ على كل هذه الظواهر أنه إنّما صنع الأُمور المتقدّمة تدعيماً لسياسته وأغراضه ، ويدلّ على ذلك ما يلي :

أوّلاً : إنّه كان مختلفاً كأشدّ ما يكون الاختلاف مع الأسرة العبّاسية الذين كانت ميولهم مع أخيه الأمين لأنّ أمّه زبيدة كانت من أندى الناس كفّاً ، ومن صميم العبّاسيين ، أمّا أمّ المأمون فهي مراجل ، وكانت من إماء القصر العبّاسي ، وكان العبّاسييون ينظرون إليه نظرة احتقار باعتبار أُمّه ، فأراد المأمون بما أظهره من التشيّع ارغام أُسرته الذين كانوا من ألدّ الأعداء لآل رسول الله (صلى الله عليه وآله) وشيعتهم .

ثانياً : إنّه أراد كشف الشيعة ، ومعرفة السلطة بهم بعدما كانوا في الخفاء، ولم تستطع الحكومات العبّاسية معرفتهم والوقوف على أسمائهم وخلاياهم ، فأراد المأمون بما صدر منه من إحسان لهم أن يكشفهم ، وقد دلّت على ذلك بعض الوثائق الرسمية التي صدرت منه .

ثالثاً : إنّه أراد القضاء على الحركة الثورية التي فجّرتها الشيعة بقيادة الزعيم الكبير أبي السرايا ، فرأى المأمون أنّ خير وسيلة للقضاء عليها وشلّ فعّالياتها هو الإحسان إلى الشيعة[1].

(١) راجع حياة الإمام محمد الجواد (عليه السلام) : ٢٢١ ـ ٢٢٥ .

وقفة عند سلوك المأمون ونزعاته :

كانت حياة المأمون ـ قبل توليه الخلافة ـ حياة جد ونشاط وتقشف ، على العكس من أخيه الأمين، الذي كان يميل الى اللعب والبطالة اكثر منه الى الجد والحزم .

ولعل سرّ ذلك يعود الى أن المأمون لم يكن كأخيه ، يشعر بأصالة محتده، ولا كان مطمئناً إلى مستقبله، والى رضا العبّاسيين به ، بل كان يقطع بعدم رضاهم به خليفةً وحاكماً ، ولهذا فقد وجد انه ليس لديه أي رصيد يعتمد عليه غير نفسه، فشمر عن ساعد الجد وبدأ يخطط لمستقبله منذ أن ادرك واقعه ، والمميزات التي كان يتمتع بها أخوه الأمين عليه .

ويُلاحظ انه كان يستفيد من أخطاء أخيه الأمين وان الفضل عندما رأى اشتغال الأمين باللهو واللعب ، أشار على المأمون بإظهار الورع والدين ، وحسن السيرة ، فأظهر المأمون ذلك ... وكان كلما اعتمد الأمين حركة ناقصة اعتمد المأمون حركة شديدة.

ومن هنا يتبيّن السرّ فيما يبدو من رسالته للعبّاسيين، حيث نصب فيها نفسه واعظاً تقيّاً ، وأضفى عليها هالة من الورع والزهد في الدنيا والالتزام بأحكام الشريعة؛ ليروه ويراه الناس نوعية اخرى تفضل على نوعية أخيه الأمين .

وقد برع المأمون في العلوم والفنون حتى فاق أقرانه ، بل فاق جميع خلفاء بني العباس ، فإنه لم يكن في بني العباس أعلم من المأمون[١].

وهو أعلم الخلفاء بالفقه والكلام[٢].

وكل مَن تعرّض من المؤرخين وغيرهم ، لشرح حال المأمون ، قد شهد له

(١) حياة الحيوان : ١ / ٧٢ .

(٢) الفهرست : ١٧٤، ابن النديم .

بالتقدم ، وبأنه رجل خلفاء بني العباس وواحدهم[١].

وما يهمنا هنا ، هو مجرد الاشارة الى حال المأمون ، وما كان عليه من الدهاء والسياسة وحسن التدبير .

وبالرغم من جدارة المأمون فيما اذا قورن الى أخيه الأمين باعتراف أبيه الرشيد بذلك، لكن الرشيد قد اعتذر عن إسناده الأمر إلى الأمين بأن العباسيين لا يرضون بالمأمون خليفة[٢].

ويرى بعض المؤرخين أنّ السرّ في عدم رضا العبّاسيين بالمأمون يرجع الى ان الأمين كان عبّاسياً ، بكل ما لهذه الكلمة من معنى فأبوه : هارون ، وأمه زبيدة حفيدة المنصور... وكان في كنف الفضل بن يحيى البرمكي أخي الرشيد من الرضاعة واعظم رجل نفوذاً في بلاط الرشيد ، وكان يشرف على مصالحه الفضل بن الربيع ، العربي الذي لم يكن ثمّة من شك في ولائه للعبّاسيين .

أمّا المأمون فقد كان في كنف جعفر بن يحيى ، الذي كان اقل نفوذاً من أخيه الفضل . وكان مؤدبه والذي يشرف على مصالحه ذلك الرجل الذي لم يكن العباسيون يرتاحون اليه . . لأنه كان متهماً بالميل الى العلويين . . . أما أم المأمون فخراسانية غير عربية...[٣].

التحدّيات التي واجهت حكم المأمون وموقفه منها

لقد جابه حكم المأمون تحديات خطيرة كانت تهدد كيانه وكادت تعصف به، وكان بقاؤه في السلطة يحتاج الى الكثير من الدهاء.

---

(١) الحياة السياسية للامام الرضا (عليه السلام) : ١٥٤ .

(٢) راجع الحياة السياسية للامام الرضا (عليه السلام) : ١٥٢ .

(٣) راجع الحياة السياسية للامام الرضا (عليه السلام) : ١٥٦ ـ ١٥٧ .

وأهمّ ما كان يواجه المأمون ما يلي:

١ ـ تحرك الشيعة ضده وكان تحركاً عنيفاً، وكانت ثورة أبي السرايا التي عمّت الكثير من الحواضر الاسلامية آنذاك نموذجاً له .

٢ ـ تكتل العائلة العباسية ضد المأمون ووقوفها الى جانب الأمين أولاً ، ثم عزلها له وتعيين عمه ابراهيم بن المهدي بعد ذلك .

٣ ـ تحركات الخوارج والفئات المناوئة الأُخرى .

٤ ـ وجود المخاطر الخارجية من جانب الدول المتربصة بالدولة الاسلامية ، خصوصاً الدولة البيزنطية .

وأمام هذه التحديات قام المأمون بما يلي:

أولاً ـ تصفيته لتحرك أخيه الأمين والقوى المتحركة القوية ضده .

ثانياً ـ القيام بلعبة تولية الإمام الرضا (عليه السلام) لولاية العهد بالإكراه ليصوّر للأُمة انه مع القيادة الشرعية وانه نقل الحكم اليها وهذا من شأنه أن يقلل من الروح الثورية للأُمة باتجاه اقامة الحكم بقيادة أهل البيت (عليهم السلام) .

ثالثاً ـ محاربة وتصفية ثورات العلويين .

رابعاً ـ التصفية الجسدية للإمام الرضا (عليه السلام) بعد انتهائه من تصفية الثورات الخطيرة .

خامساً ـ التوجه الى بغداد للقضاء على معارضة البيت العباسي .

سادساً ـ تصفية مراكز القوى في الدولة باتجاه تعزيز قوته ووضعه .

سابعاً ـ اشاعة فتنة خلق القرآن لإشغال الناس بها عمّا يهمّهم .

ثامناً ـ تصفية قوى المعارضة من قبيل الخوارج .

تاسعاً ـ التوجه لمحاربة الدولة البيزنطية ودفع خطرها .

العلاقة بين الإمام الرضا (عليه السلام) والمأمون

وصلت المسيرة الإسلامية اثناء إمامة الرضا(عليه السلام) الى مرحلة متقدمة نتيجة الجهود العظيمة التي بذلها الأئمة السابقون على الإمام الرضا(عليه السلام) مما جعل السلطة العباسية مضطرة للدخول فيما دخلت فيه من تولية الإمام الرضا (عليه السلام) لولاية العهد والإيحاء بتحويل الخلافة من العباسيين لأهل البيت (عليهم السلام) . ولايضاح هذا الأمر نذكر الأُمور التالية :

أ ـ حالة الأُمة بلحاظ القيادة الشرعية :

يبدو ان الأُمة كانت تؤيد قيادة أهل البيت (عليهم السلام) وتعتقد بها ولكن ضمن ثلاثة مستويات ، هي :

١ ـ عموم الأُمة التي اصبحت مؤمنة بقيادة أهل البيت (عليهم السلام) ، دون ارتباطها بهم برباط عميق واع .

٢ ـ المعارضون للدولة الذين يعتمدون الكفاح المسلّح لاسقاطها واقامة الحكم الإسلامي ، وثورة أبي السرايا نموذج لذلك .

٣ ـ المؤمنون الواعون بالقيادة الشرعية وهم أصحاب الإمام الرضا (عليه السلام) وانصاره.

ب ـ تحرك المأمون على واقع المستويات الثلاثة :

انتهج المأمون سياسة المراحل في احتواء المستويات الثلاثة واجهاضها بحنكة ودهاء وبالشكل التالي :

١ ـ التصدي لمواجهة الثوّار الموالين لأهل البيت(عليهم السلام) وتصفيتهم عسكرياً، ففي أيامه خرج أبو السرايا وقويت شوكته ودعا الى بعض

أهل البيت (عليهم السلام) ، فقاتله الحسن بن سهل ، فكانت الغلبة لجيش المأمون وقتل أبو السرايا .

٢ ـ احتواء التوجه الشعبي لأهل البيت (عليهم السلام) .

لقد ابتكر المأمون وسيلة سياسية بارعة لاحتواء هذا التوجه وذلك ببيعة الإمام الرضا (عليه السلام) ولياً للعهد والتظاهر بموالاة أهل البيت (عليهم السلام) لتشويه هذا التوجه وامتصاصه .

وكان المأمون قد أنفذ إلىٰ جماعة من آل أبي طالب ، فحملهم اليه من المدينة وفيهم الرضا علي بن موسىٰ (عليهما السلام) ، فأخذ بهم على طريق البصرة حتىٰ جاؤوا بهم إليه، وكان المتولي لإشخاصهم المعروف بالجلودي .

فقدم بهم على المأمون فانزلهم داراً ، وانزل الرضا عليّ بن موسىٰ (عليهما السلام) داراً ، وأكرمه وعظّم أمره ، ثم أنفذ اليه :

أني أريد ان اخلع نفسي من الخلافة وأُقلدك اياها فما رأيك في ذلك ؟

فأنكر الرضا (عليه السلام) هذا الأمر وقال له :

« اعيذك بالله يا أمير المؤمنين من هذا الكلام ، وأن يسمع به أحد » .

فرد عليه الرسالة :

فإذا ابيت ما عرضت عليك فلا بد من ولاية العهد من بعدي .

فأبىٰ عليه الرضا إباءً شديداً ، فاستدعاه اليه وخلا به ومعه الفضل بن سهل ذو الرئاستين ، ليس في المجلس غيرهم ، وقال له : اني قد رأيت ان اقلدك أمر المسلمين ، وأفسخ ما في رقبتي وأضعه في رقبتك . فقال له الرضا (عليه السلام) :

«الله الله ـ يا أمير المؤمنين ـ انه لا طاقة لي بذلك ولا قوة لي عليه» قال له : فإني موليك العهد من بعدي فقال له : **أعفني من ذلك يا أمير المؤمنين** .

فقال له المأمون كلاماً فيه كالتهديد له على الامتناع عليه ، وقال له في كلامه: إن عمر بن الخطاب جعل الشورىٰ في ستة أحدهم جدك أمير المؤمنين علي

ابن أبي طالب وشرط فيمن خالف منهم ان تُضرب عنقه ، ولا بد من قبولك ما أُريده منك ، فإنني لا أجد محيصاً عنه ، فقال له الرضا (عليه السلام) :

«فإني اجيبك إلى ما تريد من ولاية العهد ، على انني لا آمر ولا أنهى ولا أُفتي ولا أقضي ولا أُوَلّي ولا اعزل ولا أغيّر شيئاً مما هو قائم» فأجابه المأمون إلى ذلك كله .

وقد كان الإمام (عليه السلام) مرغَماً على قبول ولاية العهد أي أنه لم يكن له الخيار في رفضها فقد كان المأمون جاداً في قتله لو تخلف عن قبول البيعة .

فعن الريان بن الصلت أنه قال :

دخلت على علي بن موسى الرضا (عليه السلام) فقلت له : يا ابن رسول الله ، ان الناس يقولون انك قبلت ولاية العهد مع إظهارك الزهد في الدنيا ؟ فقال (عليه السلام) :

«قد علم الله كراهتي لذلك فلمّا خيّرت بين قبول ذلك وبين القتل اخترت القبول على القتل ، ويحهم أما علموا ان يوسف(عليه السلام) كان نبياً رسولاً فلما دفعته الضرورة إلى تولّي خزائن العزيز قال له : ﴿ اجعلني على خزائن الأرض أني حفيظ عليم ﴾ ودفعتني الضرورة إلى قبول ذلك على اكراه وإجبار بعد الاشراف على الهلاك ، على اني ما دخلت في هذا الأمر إلّا دخول خارج منه ، فإلى الله المشتكى وهو المستعان»[1].

وروي عن أبي الصلت الهروي أنه قال :

«إن المأمون قال للرضا علي بن موسى (عليه السلام) يا ابن رسول الله قد عرفت فضلك وعلمك وزهدك وورعك وعبادتك وأراك احقّ بالخلافة منّي ، فقال الرضا (عليه السلام) : **بالعبودية لله عزّوجل افتخر وبالزهد في الدنيا أرجو النجاة من شرّ الدنيا ، وبالورع عن المحارم أرجو الفوز بالمغانم ، وبالتواضع في الدنيا أرجو الرفعة عند الله عزّوجلّ .**

(١) الحياة السياسية للإمام الرضا (عليه السلام) : ١٤١.

فقال له المأمون : فإني قد رأيت ان اعزل نفسي عن الخلافة ، وأجعلها لك وابايعك ، فقال له الرضا (عليه السلام) : **إن كانت هذه الخلافة لك وجعلها الله لك فلا يجوز ان تخلع لباساً ألبسكه الله وتجعله لغيرك ، وان كانت الخلافة ليست لك فلا يجوز لك ان تجعل لي ما ليس لك.** فقال المأمون : يا ابن رسول الله لا بدّ لك من قبول هذا الأمر ، فقال : «**لست أفعل ذلك طائعاً أبداً**» . فما زال يجهد به أياماً حتى يئس من قبوله ، فقال له : فان لم تقبل الخلافة ولم تحبّ مبايعتي لك فكن وليّ عهدي لتكون لك الخلافة بعدي . فقال الرضا (عليه السلام) : **والله لقد حدّثني أبي عن آبائه عن أمير المؤمنين عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أني أخرج من الدنيا قبلك مقتولاً بالسم ، مظلوماً تبكي عليّ ملائكة السماء وملائكة الأرض ، وأدفن في أرض غربة إلى جنب هارون الرشيد.** فبكى المأمون ثم قال له : يا ابن رسول الله ومن الذي يقتلك أو يقدر على الإساءة اليك وأنا حيّ ؟ فقال الرضا (عليه السلام) : **أما اني لو أشاء أن أقول من الذي يقتلني لقلت .**

فقال المأمون : يا ابن رسول الله إنما تريد بقولك هذا التخفيف عن نفسك . ودفع هذا الأمر عنك ، ليقول الناس إنك زاهد في الدنيا .

فقال الرضا (عليه السلام) : **والله ما كذبت منذ خلقني ربّي عزّوجلّ وما زهدت في الدنيا للدنيا وإني لأعلم ما تريد .**

فقال المأمون : وما أُريد ؟ قال : **الأمان على الصدق ؟** قال : لك الأمان . قال: **تريد بذلك أن يقول الناس : إنّ علي بن موسى لم يزهد في الدنيا بل زهدت الدنيا فيه ، ألا ترون كيف قبل ولاية العهد طمعاً في الخلافة ؟**

فغضب المأمون ثم قال : إنّك تتلقّاني أبداً بما أكرهه . وقد أمنت سطوتي ، فبالله أُقسم لئن قبلت ولاية العهد وإلّا أجبرتك على ذلك فإن فعلت وإلّا ضربت عنقك . فقال الرضا (عليه السلام) : **قد نهاني الله عزّوجلّ ان أُلقي بيدي إلى التهلكة ، فإن كان الأمر على هذا ، فافعل ما بدا لك ، وأنا أقبل ذلك على أنّي لا أُوَلّي أحداً ولا أعزل أحداً ولا أنقض رسماً ولا سُنّة ، وأكون في الأمر من بعيد مشيراً .**

فرضي منه بذلك وجعله وليّ عهد على كراهة منه (عليه السلام) لذلك»[١].

ج ـ مع المؤمنين الواعين

كان المأمون حذراً من الإمام الرضا (عليه السلام) يتحيّن الفرص لاغتياله ، وقد فعل ذلك في أول فرصة مناسبة فأوعز لعملائه باغتياله ، وذلك بعد نحو عامين من ولاية العهد . ففي أول شهر رمضان سنة إحدى ومائتين كانت البيعة للرضا صلوات الله عليه[٢] وقبض الرضا (عليه السلام) بطوس من أرض خراسان في صفر سنة ثلاث ومائتين وله يومئذٍ خمس وخمسون سنة..[٣].

عن أحمد بن علي الانصاري قال : سألت أبا الصلت الهروي فقلت له: كيف طابت نفس المأمون بقتل الرضا (عليه السلام) مع اكرامه ومحبته له وما جعل له من ولاية العهد بعده ؟

فقال : ان المأمون انما كان يكرمه ويحبه لمعرفته بفضله وجعل له ولاية العهد من بعده ليرى الناس انه راغب في الدنيا فيسقط محله من نفوسهم ، فلما لم يظهر منه في ذلك للناس إلّا ما ازداد به فضلاً عندهم ومحلاً في نفوسهم جلب عليه المتكلمين من البلدان طمعاً في ان يقطعه واحد منهم فيسقط محله عند العلماء ، وبسببهم يشتهر نقصه عند العامة فكان لا يكلمه خصم من اليهود والنصارى والمجوس والصابئين والبراهمة والملحدين والدهرية ولا خصم من فرق المسلمين المخالفين إلّا قطعه وألزمه الحجة ، وكان الناس يقولون : والله إنه أولى بالخلافة من المأمون ، وكان أصحاب الاخبار يرفعون ذلك اليه فيغتاظ من ذلك ويشتد حسده له ، وكان الرضا (عليه السلام) لا يحابي المأمون في حق وكان يجيبه بما

(١) الحياة السياسية للإمام الرضا(عليه السلام): ١٤١.
(٢) الحياة السياسية للإمام الرضا(عليه السلام): ١٤١.
(٣) الحياة السياسية للإمام الرضا(عليه السلام): ٦٦.

يكره في أكثر احواله فيغيظه ذلك ويحقده عليه ولا يظهره له ، فلما أعيته الحيلة في أمره اغتاله فقتله بالسم[١].

وعن علي بن ابراهيم ، عن ياسر الخادم قال : «لمّا كان بيننا وبين طوس سبعة منازل اعتلّ أبو الحسن (عليه السلام) فدخلنا طوس وقد اشتدّت به العلّة ، فبقينا بطوس أياماً فكان المأمون يأتيه في كل يوم مرتين فلمّاكان في آخر يومه الذي قبض فيه كان ضعيفاً في ذلك اليوم فقال لي بعدما صلّى الظهر : **يا ياسر أكل الناس شيئاً ؟** قلت : يا سيدي من يأكل ههنا مع ما أنت فيه؟! فانتصب (عليه السلام) ثم قال : **هاتوا المائدة،** ولم يدع من حشمه أحداً إلّا أقعده معه على المائدة يتفقد واحداً واحداً ، فلما اكلوا قال : **ابعثوا إلى النساء بالطعام،** فحمل الطعام إلى النساء فلمّا فرغوا من الأكل أغمي عليه وضعف ، فوقعت الصيحة وجاءت جواري المأمون ونساؤه حافيات حاسرات ، ووقعت الوصية[٢] بطوس وجاء المأمون حافياً وحاسراً يضرب على رأسه ، ويقبض على لحيته ، ويتأسف ويبكي وتسيل الدموع على خديه فوقف على الرضا (عليه السلام) وقد أفاق فقال : يا سيدي والله ما أدري أي المصيبتين أعظم عليّ ، فقدي لك وفراقي إياك؟ أو تهمة الناس لي أنا اغتلتك وقتلتك؟ قال : فرفع طرفه اليه ثم قال : **أحسن يا أمير المؤمنين معاشرة أبي جعفر ، فإنّ عمرك وعمره هكذا** وجمع سبابتيه .

قال : فلماكان من تلك الليلة قضى(عليه السلام) بعد ما ذهب من الليل بعضه ، فلمّا أصبح اجتمع الخلق وقالوا : هذا قتله واغتاله ـ يعني المأمون ـ وقالوا : قتل ابن رسول الله واكثروا القول والجلبة[٣]، وكان محمد بن جعفر بن محمد(عليه السلام) استأمن إلى المأمون وجاء إلى خراسان وكان عمّ أبي الحسن فقال له المأمون : يا أبا جعفر

(١) الحياة السياسية للإمام الرضا (عليه السلام) : ١٠٧ ـ ١٠٨ .

(٢) الوصية: الصوت يكون في الناس وغيرهم. الوصية: الرحمة .

(٣) الجلبة : اختلاط الأصوات والصياح .

أخرج إلى الناس وأعلمهم ان أبا الحسن لا يخرج اليوم، وكره ان يُخرِجه فتقع الفتنة فخرج محمد بن جعفر إلى الناس فقال: ايها الناس تفرقوا فإن أبا الحسن لا يخرج اليوم، فتفرق الناس وغسل أبو الحسن في الليل ودفن»[١].

وقد استطاع المأمون ان يخدع الكثيرين عندما أظهر حزنه وجزعه على استشهاد الإمام الرضا (عليه السلام) وبصورة أثرت على العوام، لكنها لم تنطل على الخواص. حيث إنهم عرفوا دوافع المأمون وأساليبه وأهدافه، كما لاحظنا ذلك في نصّ أبي الصلت، وكما سنلاحظ ذلك في رسالة عبدالله بن موسى التالية.

طبيعة حكم المأمون

لقد شخّص السيد عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب(عليه السلام)، طبيعة حكم المأمون وأساليبه برسالة تسلط مزيداً من الأضواء على العلاقة بين هذا الحاكم وبين الإمام الجواد(عليه السلام)، فقد كان تشخيص هذا السيد دقيقاً وعميقاً، فقد كتب المأمون الى عبد الله بن موسى وهو متوار منه يعطيه الأمان ويضمن له ان يوليه العهد بعده، كما فعل بعلي بن موسى، ويقول: ما ظننت ان أحداً من آل أبي طالب يخافني بعدما عملته بالرضا، وبعث الكتاب اليه.

فكتب عبد الله بن موسى:

وصل كتابك وفهمته، تختلني فيه عن نفسي ختل القانص، وتحتال عليّ حيلة المغتال القاصد لسفك دمي، وعجبت من بَذْلِك العهد وولايته لي بعدك، كأنك تظن أنه لم يبلغني ما فعلته بالرضا؟! ففي أي شيء ظننت أني أرغب من ذلك؟ أفي الملك الذي قد غرتك حلاوته؟! فوالله لأنْ أُقذف ـ وأنا حي ـ في نار تتأجج أحب إليّ من أن ألي أمراً بين المسلمين أو اشرب شربة من غير حلها مع عطش شديد قاتل، أم في العنب المسموم الذي قتلت به الرضا؟ ام ظننت ان

---

(١) الحياة السياسية للإمام الرضا(عليه السلام): ١٠٨، عيون أخبار الرضا(عليه السلام): ٢/٢٦٩، ٢٧٠.

الاستتار قد أملني وضاق به صدري؟ فوالله اني لذلك . ولقد مللت الحياة وأبغضت الدنيا ، ولو وسعني في ديني أن أضع يدي في يدك حتى تبلغ من قبلي مرادك لفعلت ذلك ، ولكن الله قد حظر عليّ المخاطرة بدمي ، وليتك قدرتَ عليَّ من غير أن أبذل نفسي لك فتقتلني ، ولقيت الله عزوجل بدمي ، ولقيتُه قتيلاً مظلوماً، فاسترحت من هذه الدنيا .

واعلم أني رجل طالب النجاة لنفسي ، واجتهدت فيما يرضي الله عزوجل عنّي وفي عمل اتقرب به اليه ، فلم أجد رأياً يهدي الى شيء من ذلك ، فرجعت الى القرآن الذي فيه الهدىٰ والشفاء ، فتصفحته سورة سورة ، وآية آية ، فلم أجد شيئاً أزلف للمرء عند ربه من الشهادة في طلب مرضاته .

ثم تتبعته ثانية اتأمل الجهاد أيه أفضل ، ولأي صنف ، فوجدته جلّ وعلا يقول : ﴿ قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة ﴾ ، فطلبت أي الكفار أضر على الإسلام ، وأقرب من موضعي فلم أجد أضر على الإسلام منك ، لأن الكفار أظهروا كفرهم ، فاستبصر الناس في أمرهم ، وعرفوهم فخافوهم ، وأنت ختلت المسلمين بالاسلام ، وأسررت الكفر ، فقتلت بالظنة ، وعاقبت بالتهمة ، وأخذت المال من غير حِلّه فأنفقته في غير محله ، وشربت الخمر المحرمة صراحاً، وأنفقت مال الله على الملهين وأعطيته المغنين ، ومنعته من حقوق المسلمين ، فغششت بالاسلام ، وأحطت بأقطاره إحاطة أهله ، وحكمت فيه للمشرك ، وخالفت الله ورسوله في ذلك خلافة المضاد المعاند ، فإن يسعدني الدهر، ويعينني الله عليك بأنصار الحق ، أبذل نفسي في جهادك بذلاً يرضيه منّي ، وإن يمهلك ويؤخرك ليجزيك بما تستحقه في منقلبك ، أو تختر مني الايام قبل ذلك ،فحسبي من سعيي ما يعلمه الله عزوجل من نيتي ، والسلام»[1] .

---

(١) نظرية الإمامة : ٣٨١، نقلاً عن الحياة السياسية للإمام الرضا(عليه السلام) : ٤٦٥ .

استشهاد الرضا(عليه السلام) والنصّ على إمامة الجواد(عليه السلام)

الإمام الرضا(عليه السلام) وإمامة ابنه الجواد(عليه السلام)

لقد رسّخ الإمام علي بن موسىٰ الرضا (عليه السلام) إمامة ابنه الجواد(عليه السلام) كما قام بذلك الأئمة (عليهم السلام) الذين سبقوه حيث نوهوا باسم من يأتي من بعدهم من أئمة، وفي هذا المجال سنعرض المواقف التي ثبّت بها الإمام الرضا (عليه السلام) إمامة الجواد (عليه السلام) ودعا شيعته للإعتصام بها ، ومن ذلك :

١ ـ قال الراوي : أخبرني من كان عند أبي الحسن الرضا (عليه السلام) جالساً ، فلمّا نهضوا ، قال لهم : «ألقوا أبا جعفر فسلّموا عليه وأحدثوا به عهداً ، فلمّا نـهض القـوم إلتفت اليّ فقال : يرحم الله المفضّل انه كان ليقنع بدون هذا»[1].

٢ ـ قال الراوي : سمعتُ الرضا (عليه السلام) وذكر شيئاً فقال : «ما حاجتكم الى ذلك ؟ هذا أبو جعفر قد أجلسته مجلسي وصيّرته مكاني ، وقال : إنا أهل بيتٍ يتوارث أصاغرنا عن أكابرنا القُذّة بالقذّة»[2].

٣ ـ قال الراوي : « سمعت علي بن جعفر يُحدّث الحسن بن الحسين بن علي بن الحسين فقال في حديثه : لقد نصر الله أبا الحسن الرضا (عليه السلام) لمّا بغىٰ عليه اخوته وعمومته ، وذكر حديثاً طويلاً حتى انتهىٰ الى قوله : فقمت وقبضت على يد أبي جعفر محمد بن علي الرضا (عليه السلام) وقلت : أشهد أنك إمامي عند الله ، فبكىٰ الرضا (عليه السلام) ثم قال : « يا عمّ ، ألم تسمع أبي وهو يقول : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : بأبي خيرة الإماء النوبية الطيّبة يكون من ولده الطريد الشريد الموتور بأبيه وجده صاحب الغيبة ، يقال: مات او هلك أيّ واد سلك ؟

(١ و ٢) أُصول الكافي: ٢٥٦/١ ـ ٢٥٧ .

فقلت : صدقت جعلت فداك »(١).

٤ ـ قال الراوي : قلت للرضا (عليه السلام) قد كنّا نسألك قبل ان يهب الله لك أبا جعفر فكنت تقول : « **يهب الله لي غلاماً** » فقد وهبه الله لك ، فأقرّ عيوننا ، فلا أرانا الله يومك ، فإن كان كونٌ فإلىٰ من ؟ . فأشار بيده الى أبي جعفر (عليه السلام) وهو قائم بين يديه ، فقلت له : جعلت فداك هذا ابن ثلاث سنين ! ؟ قال : «**وما يضره من ذلك، قد قام عيسىٰ بالحجة وهو ابن أقل من ثلاث سنين** »(٢).

٥ ـ قال الراوي: كنت عند أبي الحسن الرضا (عليه السلام) فجيء بابنه أبي جعفر وهو صغير فقال : « **هذا المولود الذي لم يُولّد مولود أعظم بركة على شيعتنا منه** »(٣).

٦ ـ قال الراوي : « دخلتُ على أبي الحسن الرضا (عليه السلام) وقد ولد له أبو جعفر (عليه السلام) ، فقال : **ان الله قد وهب لي مَن يرثني ويرث آل داود** »(٤).

٧ ـ قال الراوي : «كنت مع أبي الحسن (عليه السلام) جالساً ، فدعا بابنه وهو صغير فأجلسه في حجري فقال لي : **جرّده وانزع قميصه**، فنزعته ، فقال: **انظر بين كتفيه شبيه الخاتم داخل في اللحم**. ثم قال : **اترىٰ هذا ؟ كان مثله في هذا الموضع من أبي** (عليه السلام)»(٥).

٨ ـ قال الراوي : «ماكان (عليه السلام) ـ يعني الرضا ـ يذكر محمداً ابنه (عليه السلام) إلّا بكنيته ، يقول : **كتب اليّ أبو جعفر** ، وكنت اكتب الى أبي جعفر وهو صبي بالمدينة، فيخاطبه بالتعظيم ، وترد كتب أبي جعفر (عليه السلام) في نهاية البلاغة والحسن فسمعته يقول: **أبو جعفر وصييّ وخليفتي في أهلي من بعدي**»(٦).

٩ ـ قال الراوي : سمعت دعبل بن علي الخزاعي يقول: انشدت مولاي علي

(١) إعلام الورىٰ : ٢ / ٩٢ .

(٢) إعلام الورىٰ: ٩٣/٢ .

(٣) إعلام الورىٰ: ٩٥/٢.

(٤) مستدرك عوالم العلوم : ٢٣ / ٦٨ .

(٥) مستدرك عوالم العلوم: ٢٣ / ٦٩ .

(٦) مستدرك عوالم العلوم: ٢٣ / ٧٢ .

ابن موسى الرضا (عليه السلام) قصيدتي ـ الى ان قال ـ : « يا دعبل الإمام بعدي محمد ابني وبعد محمد ابنه عليّ وبعد علي ابنه الحسن وبعد الحسن ابنه الحجة القائم المنتظر»[1].

الإمام الجواد (عليه السلام) عند استشهاد أبيه

عن أبي الصلت الهروي أنه قال :

«بينا أنا واقف بين يدي أبي الحسن عليّ بن موسى الرضا (عليه السلام) إذ قال لي : **ياأبا الصلت ، ادخل هذه القبّة الّتي فيها قبر هارون وآتني بتراب من أربعة جوانبها .**

قال : فمضيت فأتيت به ، فلمّا مثلت بين يديه ، قال لي : **ناولني [من] هذا التراب** ، ـ وهو من عند الباب ـ فناولته فأخذه وشمّه ثم رمى به ، ثمّ قال : **سيحفر لي [قبر] ههنا ، فتظهر صخرة لو جمع عليها كلّ معول بخراسان لم يتهيّأ قلعها** ، ثمّ قال في الذي عند الرّجل والّذي عند الرأس مثل ذلك ، ثمّ قال : **ناولني هذا التراب فهو من تربتي .**

ثمّ قال : **سيحفر لي في هذا الموضع ، فتأمرهم أن يحفروا لي سبع مراقٍ إلى أسفل ، وأن تشقّ لي ضريحه ، فإن أبوا إلّا أن يلحدوا ، فتأمرهم أن يجعلوا اللّحد ذراعين وشبراً فإنّ الله تعالى سيوسّعه ما يشاء ، وإذا فعلوا ذلك فإنّك ترى عند رأسي نداوةً ، فتكلّم بالكلام الّذي أعلّمك ، فإنّه ينبع الماء حتّى يمتلئ اللّحد وترى فيه حيتاناً صغاراً ، فتفتّت لها الخبز الذي أعطيك فإنّها تلتقطه ، فإذا لم يبق منه شيء خرجت منه حوتة كبيرة فالتقطت الحيتان الصغار حتّى لا يبقى منها شيء ، ثمّ تغيب ، فإذا غابت فضع يدك على الماء ، ثمّ تكلّم بالكلام الّذي أُعلّمك ، فإنّه ينضب الماء ولا يبقى منه شيء ، ولا تفعل ذلك إلّا بحضرة المأمون .**

---

(١) مستدرك عوالم العلوم: ٢٣ / ٧٣ و ٧٦.

ثمّ قال (عليه السلام) : **يا أبا الصلت غداً أدخل على هذا الفاجر ، فإن خرجت [وأنا] مكشوف الرأس ، فتكلّم أكلّمك ، وإن خرجت وأنا مغطّى الرأس فلا تكلّمني .**

قال أبو الصلت : فلمّا أصبحنا من الغد لبس ثيابه ، وجلس في محرابه ينتظر ، فبينا هو كذلك ، إذ دخل عليه غلام المأمون ، فقال له : أجب أمير المؤمنين ، فلبس نعله ورداءه ، وقام يمشي وأنا أتبعه ، حتّى دخل على المأمون ، وبين يديه طبق عليه عنب ، وأطباق فاكهة ، وبيده عنقود عنب قد أكل بعضه ، وبقي بعضه .

فلمّا أبصر بالرضا (عليه السلام) وثب إليه فعانقه وقبّل ما بين عينيه وأجلسه معه ثمّ ناوله العنقود ، وقال : يابن رسول الله ما رأيت عنباً أحسن من هذا !

قال له الرضا (عليه السلام) : **ربّما كان عنباً حسناً يكون من الجنّة** . فقال له : كل منه فقال له الرضا (عليه السلام) : **تعفيني منه** . فقال : لا بدّ من ذلك ، وما يمنعك منه لعلّك تتهمنا بشيء . فتناول العنقود فأكل منه ، ثمّ ناوله فأكل منه الرضا (عليه السلام) ثلاث حبّات ، ثمّ رمى به وقام .

فقال المأمون : إلى أين ؟ قال : إلى حيث وجّهتني ، وخرج (عليه السلام) مغطّى الرأس فلم أكلّمه حتّى دخل الدار ، فأمر أن يغلق الباب ، فغلق ثمّ نام (عليه السلام) على فراشه ، ومكثت واقفاً في صحن الدار مهموماً محزوناً .

فبينا أنا كذلك ، إذ دخل عليّ شاب حسن الوجه ، قطط الشعر ، أشبه الناس بالرضا (عليه السلام) ، فبادرت إليه وقلت له : من أين دخلت والباب مغلق ؟ فقال : **الّذي جاء بي من المدينة في هذا الوقت : هو الذي أدخلني الدار والباب مغلق.** فقلت له : ومن أنت ؟

فقال لي : **أنا حجّة الله عليك يا أبا الصلت ، أنا محمّد بن عليّ .**

ثمّ مضى نحو أبيه (عليه السلام) فدخل وأمرني بالدخول معه ، فلمّا نظر إليه

الرضا (عليه السلام) وثب إليه ، فعانقه وضمّه إلى صدره وقبّل ما بين عينيه، ثمّ سحبه سحباً إلى فراشه ، وأكبّ عليه محمّد بن عليّ (عليه السلام) يقبّله ويسارّه بشيء لم أفهمه .

ومضى الرضا (عليه السلام) ، فقال أبو جعفر (عليه السلام) : **ياأبا الصلت قم فأتني بالمغتسل والماء من الخزانة** . فقلت: ما في الخزانة مغتسل ولا ماء . فقال لي : **إئته إلى ما آمرك به**، فدخلت الخزانة ، فإذا فيها مغتسل وماء ، فأخرجته وشمّرت ثيابي لأغسّله معه ، فقال لي : **تنحّ ياأبا الصلت فإنّ لي من يعينني غيرك** . فغسّله .

ثمّ قال لي : **ادخل الخزانة ، فأخرج إليّ السفط الذي فيه كفنه وحنوطه** ، [فدخلت] فإذا أنا بسفط لم أره في تلك الخزانة قطّ ، فحملته إليه فكفّنه وصلّى عليه .

ثمّ قال لي : **ائتني بالتابوت** .

فقلت : أمضي إلى النجّار حتّى يصلح التابوت .

قال : **قم فإنّ في الخزانة تابوتاً** .

فدخلت الخزانة فوجدت تابوتاً لم أره قطّ فأتيته به ، فأخذ الرضا (عليه السلام) بعد ما صلّى عليه فوضعه في التابوت ، وصفّ قدميه ، وصلّى ركعتين لم يفرغ منهما حتّى علا التابوت ، فانشقّ السقف ، فخرج منه التابوت ومضى .

فقلت : يابن رسول الله ، الساعة يجيئنا المأمون ويطالبنا بالرضا(عليه السلام) فما نصنع ؟

فقال لي : **أسكت فإنّه سيعود ياأبا الصلت ، ما من نبيّ يموت بالمشرق ويموت وصيّه بالمغرب إلّا جمع الله تعالى بين أرواحهما وأجسادهما** .

فما أتمّ الحديث ، حتّى انشقّ السقف ونزل التابوت ، فقام (عليه السلام) فاستخرج الرضا (عليه السلام) من التابوت ، ووضعه على فراشه كأنه لم يغسّل ولم يكفّن .

ثمّ قال لي : **ياأبا الصلت قم فافتح الباب للمأمون** ، ففتحت الباب ، فإذا

المأمون والغلمان بالباب ، فدخل باكياً حزيناً قد شقّ جيبه ، ولطم رأسه، وهو يقول :

ياسيّداه فجعت بك ياسيّدي ، ثمّ دخل وجلس عند رأسه وقال : خذوا في تجهيزه .

فأمر بحفر القبر ، فحفرت الموضع فظهر كلّ شيء على ما وصفه الرضا (عليه السلام) فقال له بعض جلسائه : ألست تزعم أنّه إمام ؟ قال : بلى . قال : لا يكون الإمام إلّا مقدّم الناس .

فأمر أن يحفر له في القبلة، فقلت : أمرني أن أحفر له سبع مراق ، وأن أشق له ضريحه فقال : انتهوا إلى ما يأمر به أبو الصلت سوى الضريح ، ولكن يحفر له ويلحد .

فلمّا رأى ما ظهر من النداوة والحيتان وغير ذلك ، قال المأمون :

لم يزل الرضا (عليه السلام) يرينا عجائبه في حياته حتّى أراناها بعد وفاته أيضاً . فقال له وزير كان معه : أتدري ما أخبرك به الرضا ؟ قال : لا .

قال : إنّه أخبرك أنّ ملككم يابني العبّاس مع كثرتكم وطول حذركم مثل هذه الحيتان ، حتى إذا افنيت آجالكم وانقطعت آثاركم وذهبت دولتكم ، سلّط الله تعالى عليكم رجلاً منّا فأفناكم عن آخركم قال له : صدقت .

ثمّ قال لي : ياأبا الصلت علّمني الكلام الّذي تكلّمت به . قلت : والله لقد نسيت الكلام من ساعتي . وقد كنت صدقت ، فأمر بحبسي ، ودفن الرضا (عليه السلام) ، فحبست سنة ، فضاق عليّ الحبس ، وسهرت الليل ، ودعوت الله تعالى بدعاء ذكرت فيه محمّداً وآله (عليهم السلام) ، وسألت الله تعالى بحقّهم أن يفرّج عنّي .

فلم أستتم الدعاء حتّى دخل عليّ أبو جعفر محمّد بن عليّ (عليه السلام) .

فقال [لي] : ياأبا الصلت ضاق صدرك ؟ فقلت : إي والله . قال : قم فاخرج .

ثمّ ضرب يده إلى القيود الّتي كانت [عليّ] ففكّها ، وأخذ بيدي وأخرجني من الدار ، والحرسة والغلمة يرونني ، فلم يستطيعوا أن يكلّموني ، وخرجت من باب الدار .

ثمّ قال لي : إمض في ودائع الله ، فإنّك لن تصل إليه ، ولا يصل إليك أبداً .

قال أبو الصلت : فلم ألتق مع المأمون إلى هذا الوقت»[1].

(١) كذا في الأمالي : ٥٢٦ ح١٧ ، العيون : ٢ / ٢٤٢ / ح١ ، عنهما الوسائل : ٢ / ٨٣٧ / ح٤ ، والبحار : ٤٩ / ٣٠٠ / ح١٠ ، وج : ٨٢ / ٤٦ / ح ٣٥ ، ومدينة المعاجز : ٤٩٨ / ح ١١٤ وص : ٥٢٤ / ح ٣٧ . وأوردها القطب الراوندي في الخرائج : ١ / ٣٥٢ ح ٨ ، عن أبي عبد الله محمّد بن سعيد النيسابوري ، عن أبي الصلت الهروي .

الباب الثالث

فيه فصول :

الفصل الأوّل :

ملامح عصر الإمام الجواد (عليه السلام)

الفصل الثاني :

الإمام الجواد (عليه السلام) وحكّام عصره

الفصل الثالث :

متطلّبات عصر الإمام الجواد (عليه السلام)

الفصل الأول

ملامح عصر الإمام الجواد (عليه السلام)

كان عصر الإمام أبي جعفر الجواد (عليه السلام) من أزهى العصور الاسلامية وأروعها، من حيث تميّزه في نهضته العلمية وحضارته الفكرية، وقد ظل المسلمون وغيرهم أجيالاً وقروناً يقتاتون من موائد الثروات الفكرية والعلمية التي أُسّست في ذلك العصر.

ولا بدّ لنا من الحديث ـ بايجاز ـ عن معالم عصر الإمام (عليه السلام) فقد أصبحت دراسة العصر من المباحث المنهجية التي لا غنى للباحث عنها.

١ ـ الحياة الثقافية:

تعتبر الحياة الثقافية في ذلك العصر من أبرز معالم الحياة في العصور الاسلامية على الاطلاق، فقد ازدهرت الحركة الثقافية، وانتشر العلم انتشاراً واسعاً، وتأسّست المعاهد الدراسية، وشاعت الحلقات العلمية، واقبل الناس بلهفة على طلب العلم، يقول نيكلسون: وكان لانبساط رقعة الدولة العباسية، ووفرة ثروتها، ورواج تجارتها أثر كبير في خلق نهضة ثقافية لم يشهدها الشرق من قبل، حتى لقد بدا أنّ الناس جميعاً من الخليفة إلى أقل أفراد العامة شأناً غدوا فجأة طلّاباً للعلم أو على الأقل أنصاراً للأدب، وفي عهد الدولة العباسية كان الناس

يجوبون ثلاث قارّات سعياً إلى موارد العلم والعرفان ليعودوا إلى بلادهم كالنحل يحملون الشهد إلى جموع التلاميذ المتلهّفين ، ثمّ يصنّفون بفضل ما بذلوه من جهد متصل هذه المصنّفات التي هي أشبه شيء بدوائر المعارف ، والتي كان لها أكبر الفضل في إيصال هذه العلوم الحديثة إلينا بصورة لم تكن متوقعة من قبل[1] .

ونُلمح إلى بعض المعالم الرئيسية من تلك الحياة الثقافية .

المراكز الثقافية :

أمّا المراكز الثقافية في عصر الإمام أبي جعفر (عليه السلام) فهي :

١ ـ **المدينة** : وكانت المدينة من أهم المراكز العلمية في ذلك العصر ، فقد تشكّلت فيها مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) وقد ضمّت عيون الفقهاء والرواة من الذين سهروا على تدوين أحاديث أئمة أهل البيت (عليهم السلام) وقد عنوا بصورة موضوعية بتدوين أحاديثهم الخاصة في الفقه الذي يمثّل روح الإسلام وجوهره، كما تشكّلت في المدينة مدرسة التابعين وهي مدرسة فقهية عنت بأخذ الفقه ممّا روي عن الصحابة ، ويرجع فيما لم يرو فيه عنهم حديث إلى ما يقتضيه الرأي والقياس حسب ما ذكروه .

٢ ـ **الكوفة** : وتأتي الكوفة بعد المدينة في الأهمية ، فقد كان الجامع الأعظم من أهم المعاهد ، والمدارس الاسلامية ، فقد انتشرت فيه الحلقات الدراسية، وكان الطابع العام للدراسة هي العلوم الاسلامية من الفقه والتفسير والحديث وغيرها .

وكانت الكوفة علوية الرأي ، فقد عنت مدرستها بعلوم أهل البيت (عليهم السلام) وقد حدّث الحسن بن علي الوشاء فقال : أدركت في هذا المسجد ـ يعني مسجد

(١) تاريخ الإسلام : ٢ / ٣٢٢ للدكتور حسن إبراهيم حسن .

الكوفة ـ تسعمائة شيخ كلّ يقول : حدّثني جعفر بن محمّد[1] ومن أهم الأسر العلمية التي درست في ذلك الجامع هي آل حيّان التغلبي وآل أعين ، وبنو عطيّة وبيت بني دراج وغيرهم[2] .

ولم يكن الفقه وحده هو السائد في مدرسة الكوفة ، وإنّما كان النحو سائداً أيضاً ، فقد اُنشئت في الكوفة مدرسة النحويين ، وكان من أعلامها البارزين : الكسائي الذي عهد إليه الرشيد بتعليم ابنيه الأمين والمأمون ، ومن الجدير بالذكر انّ هذا العلم الذي يصون اللسان عن الخطأ قد اخترعه الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) فهو الذي وضع قواعده واُصوله .

٣ ـ البصرة : وكانت مركزاً مهمّاً لعلم النحو ، وكان أوّل من وضع أساس مدرسة البصرة أبو الأسود الدؤلي تلميذ الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) ، وكانت هذه المؤسسة تنافس مدرسة الكوفة ، وقد سُمّي نُحاة البصرة (أهل المنطق) تمييزاً عن نُحاة الكوفة وكان من أعلام هذه الصناعة سيبويه الفارسي ، وهو صاحب «كتاب سيبويه»، الذي هو من أنضج الكتب العربية وأكثرها عمقاً وأصالة يقول دي‌بور : «فلو نظرنا إلى كتاب سيبويه لوجدناه عملاً ناضجاً ، ومجهوداً عظيماً ، حتى أنّ المتأخرين قالوا : إنّه لا بدّ أن يكون ثمرة جهود متضافرة لكثير من العلماء ، مثل قانون ابن سيناء»[3] .

وكما كانت البصرة ميداناً لعلم النحو كذلك كانت مدرسة لعلم التفسير الذي كان من علمائه البارزين أبو عمرو بن العلاء ، وكانت مدرسة أيضاً لعلم العروض الذي وضع اُصوله الخليل بن أحمد صاحب كتاب «العين» الذي هو أوّل معجم وضع في اللغة العربية .

---

(١) حياة الإمام موسى بن جعفر : ١ / ٨٢.

(٢) تاريخ الإسلام : ٢ / ٣٣٨ للدكتور حسن ابراهيم حسن .

(٣) تاريخ الفلسفة في الإسلام : ٣٩.

٤ ـ **بغداد :** حيث ازدهرت بالحركات العلمية والثقافية ، وقد انتشرت فيها المدارس والمعاهد ولم يعد هناك شيء أيسر ولا أبذل من العلم. ولم تختص بغداد في علم خاص كما كانت بقية المراكز الاسلامية ، وإنّما شملت جميع أنواع العلوم العقلية والنقلية ، وكذا سائر الفنون ، وقد أصبحت أعظم حاضرة علمية في ذلك العصر ، وتوافد عليها طلّاب العلوم والمعرفة من جميع أقطار الدنيا. يقول غوستاف لوبون : «كان العلماء ورجال الفن والأُدباء من جميع الملل والنحل من يونان وفُرس وأقباط وكلدان يتقاطرون إلى بغداد ، ويجعلون منها مركزاً للثقافة في الدنيا»، قال أبو الفرج عن المأمون : «إنّه كان يخلو بالحكماء ، ويأنس بمناظرتهم ، ويلتذ بمذاكرتهم علماً منه بأنّ أهل العلم هُم صفوة الله من خلقه ونخبته من عباده[1].

هذه بعض المراكز الثقافية في ذلك العصر .

العلوم السائدة :

وكانت العلوم السائدة التي أقبل الناس على تعلّمها ، هي :

١ ـ علوم القرآن :

أ ـ علم القراءات : ويُعنى هذا العلم بالبحث عن قراءة القرآن وقد وجدت سبع طُرق في القراءات ، كل طريقة منها تُنسب إلى قارئ ، ومن أشهرهم في العصر العباسي يحيى بن الحارث الذماري المتوفّى سنة (١٤٥ هـ) وحمزة بن حبيب الزيات المتوفّى سنة (١٥٦ هـ) وأبو عبد الرحمن المقري المتوفّى

---

(١) حضارة العرب : ٢١٨ .

سنة (٢١٣ هـ) وخلف بن هشام البزاز المتوفى سنة (٢٢٩ هـ)[١].

ب ـ التفسير: ويُراد به ايضاح الكتاب العزيز وبيان معناه، وقد اتجه المفسّرون في تفسيره اتجاهين:

الأوّل: التفسير بالمأثور، ونعني به تفسير القرآن بما أثر عن النبي (صلى الله عليه وآله) وأئمّة الهُدى (عليهم السلام) وهذا ما سلكه أغلب مُفسّري الشيعة كتفسير القمّي، والعسكري والبرهان، وحجّتهم في ذلك أنّ أئمّة أهل البيت (عليهم السلام) هم المخصوصون بعلم القرآن على حقيقته وواقعه، وقد أدلى بذلك الإمام أبو جعفر الباقر (عليه السلام) بقوله: «ما يستطيع أحد أن يدّعي انّ عنده جميع القرآن كلّه ظاهره وباطنه غير الأوصياء»[٢] وقد تظافرت الأدلّة على وجوب الرجوع إليهم في تفسير القرآن، يقول الشيخ الطوسي:

«انّ تفسير القرآن لا يجوز إلّا بالأثر الصحيح عن النبي (صلى الله عليه وآله) وعن الأئمة الذين قولهم حجة كقول النبي (صلى الله عليه وآله)»[٣].

الثاني: التفسير بالرأي، ويُراد به الأخذ بالاعتبارات العقلية الراجعة إلى الاستحسان وقد ذهب إلى ذلك المفسرون من المعتزلة، والباطنية فلم يعنوا بما أثر عن أئمّة الهُدى في تفسير القرآن الكريم، وإنّما استندوا في تفسيره إلى ما يرونه من الاستحسانات العقلية[٤].

وعلى أيّة حال فإنّ أوّل مدرسة للتفسير بالمأثور كانت في عهد الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) فهو أوّل مفسّر للقرآن الكريم وعنه أخذ عبد الله بن عباس

(١) المعارف: ٢٣٠ ـ ٢٣١، الفهرست: ٤٢ ـ ٤٥.
(٢) التبيان: ١ / ٤.
(٣) حياة الإمام محمّد الباقر: ١ / ١٨١.
(٤) حياة الإمام محمّد الباقر: ١ / ١٨١.

وغيره ، من أعلام الصحابة ، وكذلك اهتمّ به اهتماماً بالغاً الأئمّة الطاهرون ، فتناولت الكثير من محاضراتهم تفسير القرآن ، وأسباب نزول آياته وفضل قراءته .

٢ ـ علم الحديث :

ونعني به ما أثر عن النبي (صلى الله عليه وآله) أو عن أحد أوصيائه الأئمّة الطاهرين ، من قول أو فعل أو تقرير لشيء ويعبّر عن ذلك كلّه بالسنّة .

وقد سبق الشيعة إلى تدوين الأحاديث ، فقد حثّ الأئمّة الطاهرون أصحابهم على ذلك ، حيث روى أبو بصير فقال : دخلت على أبي عبد الله (عليه السلام) فقال ، « **ما يمنعكم من الكتابة ، إنّكم لن تحفظوا حتى تكتبوا ، أنّه خرج من عندي رهط من أهل البصرة يسألون عن أشياء فكتبوها** » وقد انبرى جماعة من أصحاب الإمام الرضا (عليه السلام) إلى جمع الأحاديث الصحيحة في جوامع كبيرة ، وهي الجوامع الأُولى للإمامية والتي تعدّ الأساس لتدوين الجوامع الأربعة لمشايخ الإسلام الثلاثة [١] .

٣ ـ الفقه :

ومن أبرز العلوم التي ساد انتشارها في ذلك العصر بل في جميع العصور الإسلامية هو علم الفقه الذي يتكفل بيان التكاليف اللازمة على المكلّفين وماهم مسؤولون عنه عند الله ومطالبون بامتثالها وتطبيقها على واقع حياتهم ، ومن ثمّ كان الاهتمام بدراسة علم الفقه أكثر من سائر العلوم ، وقد قام أئمّة أهل البيت (عليهم السلام) بدور فعّال في إنشاء مدرستهم الفقهيّة التي تخرّج منها كبار

---

(١) مقدّمة المقنع والهداية : ١٠ .

الفقهاء والعلماء أمثال زرارة، ومحمّد بن مسلم، وجابر بن يزيد الجعفي وأمثالهم من عيون العلماء، وقد دوّنوا ما سمعوه من الأئمّة الطاهرين في أُصولهم التي بلغت زهاء أربعمائة أصل، ثمّ هذّبت، وجمعت في الكتب الأربعة التي يرجع إليها فقهاء الإمامية في استنباطهم للأحكام الشرعية.

ولم يقتصر هذا النشاط في طلب علم الفقه والإقبال عليه على الشيعة، وإنّما شمل جميع الطوائف الإسلامية.

٤ـ علم أُصول الفقه:

وأسّس هذا العلم الإمام أبو جعفر محمّد الباقر (عليه السلام)، وهذا العلم ممّا يتوقّف عليه الاجتهاد والاستنباط، وكان موضع دراسة في ذلك العصر.

٥ـ علم النحو:

وهو من العلوم التي لعبت دوراً مهمّاً في العصر العبّاسي، فقد كانت بحوثه موضع جدل، وقد عقدت لها الأندية في قصور الخلفاء وجرى في بعض مسائله نزاع حادّ بين علماء هذا الفنّ، وقد تخصّص بهذا العلم جماعة من الأعلام في ذلك العصر في طليعتهم الكسائي والفراء وسيبويه، وقد أسّس هذا العلم الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) رائد العلم والحكمة في الأرض.

٦ـ علم الكلام:

ويقصد به الدفاع عن المعتقدات الدينية بالأدلّة العلميّة، وقد تأسّس هذا الفنّ على أيدي الأئمة من أهل البيت (عليهم السلام) وتخصّص فيه جماعة من تلاميذهم، يعدّ في طليعتهم العالم الكبير هشام بن الحكم، ومن أشهر المتكلّمين عند أهل السنّة واصل بن عطاء، وأبو الهذيل العلّاف، وأبو الحسن الأشعري والغزالي.

٧ ـ علم الطب :

وقد شجّع ملوك بني العبّاس على دراسة الطب ، ومنحوا الجوائز والأموال الطائلة للمتخصّصين فيه أمثال جبريل بن بختشوع الطبيب النصراني .

٨ ـ علم الكيمياء :

وقد تخصّص فيه جابر بن حيان مفخرة الشرق العربي ، وقد تلقّى معلوماته في هذا المجال من الإمام جعفر الصادق العقلية المفكّرة الفريدة في العالم الإنساني والمؤسس لهذا العلم .

٩ ـ علم الهندسة المعمارية والمدنية.

١٠ ـ علم الفلك .

ترجمة الكتب :

وكان من مظاهر الحياة الثقافية في ذلك العصر الاقبال على ترجمة الكتب إلى اللغة العربية ، وقد تناولت كتب الطب ، والرياضة ، والفلك ، وأصناف العلوم السياسية والفلسفة ، ذكر أسماء كثير منها : ابن النديم في الفهرست ، وكان يرأس ديوان الترجمة حنين بن اسحاق ، وقد روى ابن النديم: أنّ المأمون كان بينه وبين ملك الروم مراسلات ، وقد استظهر عليه المأمون فكتب إليه يسأله الإذن في انفاذ من يختار من العلوم القديمة المخزونة ، المدّخرة ببلد الروم فأجابه إلى ذلك بعد إمتناع ، فأخرج المأمون لذلك جماعة منهم الحجّاج بن مطر وابن البطريق ومسلم صاحب بيت الحكمة وغيرهم ، فأخذوا ممّا وجدوا ، فلمّا حملوه إليه أمرهم بنقله فنقل..(١) .

(١) الفهرست : ٣٣٩.

المعاهد والمكتبات :

وأنشأت الحكومة في هذا العصر الكثير من المدارس والمعاهد في بغداد لتدريس العلوم الاسلامية وغيرها ، فقد أنشئت فيها حوالي ثلاثون مدرسة ، وما فيها من مدرسة إلّا ويقصر القصر البديع عنها .

كما أُسست فيها المكتبات العامة التي كان منها مكتبة بيت الحكمة ، فقد نقل إليها الرشيد مكتبته الخاصة ، وأضاف إليها من الكتب ما جمعه جدّه المنصور وأبوه المهدي ، وفي عهد المأمون طلب من أمير صقلية بعض الكتب العلمية والفلسفية ، فلمّا وصلت إليه نقلها إلى مكتبة بيت الحكمة ، كما جلب إليها من خراسان الكثير من الكتب ، وكان حيث ما سمع بكتاب جلبه لها ، وظلّت هذه الخزانة التي هي من أثمن ما في العالم قائمة يرجع إليها البحّاث وأهل العلم فلمّا استولى السفّاك المغول على بغداد سنة (٦٥٦ هـ) عمدوا إلى إتلافها ، وبذلك خسر العالم الاسلامي أعظم تراث علمي له[1].

الخرائط والمراصد :

أمر المأمون بوضع خريطة للعالم سُمّيت (الصورة المأمونية) وهي أوّل خريطة صُنعت للعالم في العصر العباسي ، كما أمر بإنشاء مرصد فلكي فأُنشئ بالشماسية وهي إحدى محلّات بغداد[2] .

في هذا الجو العلمي الزاهر كان الإمام أبو جعفر الجواد (عليه السلام) الرائد الأعلى للحركة الثقافية ، فقد التفّ حوله العلماء أثناء اقامته في بغداد وهم ينهلون من

(١) تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي: ٤/١٦٠ـ ١٦٢ .

(٢) عصر المأمون : ١ / ٣٧٥.

نمير علومه ، وقد سألوه عن أدقّ المسائل الفلسفية والكلامية فكان يجيبهم عليها ويتحدّىٰ الزمن مما منّ الله به عليه من معارف وعلوم[1] .

٢ ـ الحياة السياسية :

لقد كانت الحياة السياسية في عصر الإمام أبي جعفر(عليه السلام) سيئة وكانت الظروف حرجة للغاية لا للإمام فحسب وإنّما كانت كذلك لعموم المسلمين وذلك لما وقع فيها من الأحداث الجسام ، فقد مُنيت الأمّة بموجات عارمة من الفتن والاضطرابات ، وقبل أن نتحدّث عنها نرىٰ من اللازم أن نعرض لمنهج الحكم في العصر العباسي وغيره ممّا يتصل بالموضوع وفيما يلي ذلك :

منهج الحكم : فقد كان على غرار الحكم الأموي، في الأهداف والأساليب وقد وصفه (نكلسون) بأنّه نظام استبدادي ، وانّ العباسيين حكموا البلد حكماً مطلقاً على النحو الذي كان يحكم به ملوك آل ساسان قبلهم [2] .

لقد كان الحكم خاضعاً لرغبات ملوك العباسيين وأُمرائهم ، ولم يكن له أي إلتقاء مع معايير الدين الإسلامي ، فقد شذّت تصرّفاتهم الادارية والاقتصادية والسياسية عمّا قنّنه الإسلام في هذه المجالات .

واستبدّ ملوك بني العباس بشؤون المسلمين وأقاموا فيهم حكماً ارهابياً لا يعرف الرحمة والرأفة ، وهو بعيد كلّ البعد عمّا شرّعه الإسلام من الأنظمة والقوانين الهادفة إلى بسط العدل ، ونشر المساواة والحق بين الناس .

(١) راجع : حياة الإمام محمد الجواد (عليه السلام) : ١٧٩ ـ ١٨٨ .
(٢) اتجاهات الشعر العربي : ٤٩ .

الخلافة والوراثة : لم تخضع الخلافة الاسلامية حسب قيمها الأصلية لقانون الوراثة ولا لأي لون من ألوان المحاباة أو الاندفاع وراء الأهواء والعصبيات ، فقد حارب الإسلام جميع هذه المظاهر واعتبرها من عوامل الانحطاط والتأخر الفكري والاجتماعي ، وأناط الخلافة بالقيم الكريمة ، والمُثل العُليا ، والقدرة على ادارة شؤون الأُمّة ، فمن يتصف بها فهو المرشّح لهذا المنصب الخطير الذي تدور عليه سلامة الأُمّة وسعادتها .

وأمّا الشيعة فقد خصّصت الخلافة بالأئمة الطاهرين من أهل البيت (عليهم السلام) لا لقرابتهم من الرسول الأعظم(صلى الله عليه وآله) وكونهم ألصق الناس به وأقربهم إليه ، وإنّما لمواهبهم الربّانية ، وما اتصفوا به من الفضائل التي لم يتصف بها أحد غيرهم فضلاً عن النصّ عليهم، بما لا يدع مجالاً للاختيار.

وأمّا الذين تمسكوا بعنصر الوراثة فهم العباسيّون ، على غرار الأُمويين فاعتبروها القاعدة الصلبة لاستحقاقهم للخلافة بحجة أنّهم أبناء عم الرسول(صلى الله عليه وآله) وقد بذلوا الأموال الطائلة لأجهزة الاعلام لنشر ذلك واذاعته بين الناس .

وقد هبّت إلى تأييد ودعم الوسط العباسي الأوساط المرتزقة من خلال انتقاص العلويين فتتقرب اليهم بذلك وتشهد بأنّ ذئاب بني العباس أولى بالنبي(صلى الله عليه وآله) من السادة الأطهار من آل الرسول(صلى الله عليه وآله)[1].

تصرّفات شاذّة : ولمّا التزم العباسيّون بقانون الوراثة ، قاموا بتصرفات شاذّة تسئ الى مصلحة الأُمّة وكان من بينها :

١ ـ اسناد الخلافة إلى من لم يبلغ الرشد ، فقد عهد الرشيد بالخلافة إلى ابنه الأمين ، وكان له من العمر خمس سنين ، وإلى ابنه المأمون وكان عمره ثلاث

(١) راجع حياة الإمام محمّد الجواد : ١٩٠ بتصرف بسيط .

عشرة سنة، من دون أن يكونا قد حازا العلم والحكمة والحنكة الادارية والسياسية، حتى كان يسيّرهما مَن سواهما من أصحاب البلاط.

علماً بأن الإمامة والخلافة للرسول(صلى الله عليه وآله) منصب ربّاني وعهد إلهي لا يرتقي إليه إلّا من اعتدلت فطرته وسلمت سيرته من الخطل والخطأ والانحراف في كل مجالات حياته، ليكون قادراً على قيادة الأمة الى طرق الرشاد.

وهكذا انحرف العبّاسيون بذلك عمّا قرّره الإسلام من انّ منصب الخلافة إنّما يُسند إلى من يتمتع بالحكمة والصيانة والمعرفة بالشؤون الاجتماعية والدراية التامة بما تحتاج إليه الأُمّة في جميع شؤونها.

٢ ـ اسناد ولاية العهد الى أكثر من واحد فانّ في ذلك تمزيقاً لشمل الأُمّة وتصديعاً لوحدتها وقد شذّ الرشيد عن ذلك فقد أسند الخلافة من بعده إلى الأمين والمأمون، وقد ألقى الصراع بينهما، وعرّض الأُمّة إلى الأزمات الحادّة، والفتن الخطيرة، وسنعرض لها في البحوث الآتية.

الوزارة: من الأجهزة الحساسة في الدولة العباسية هي الوزارة، فكانت ـ على الأكثر ـ وزارة تفويض، فكان الخليفة يعهد إلى الوزير بالتصرف في جميع شؤون دولته ويتفرغ هو للّهو والعبث والمجون، فقد استوزر المهدي العباسي يعقوب بن داود، وفوّض إليه جميع شؤون رعيّته وانصرف إلى ملذّاته.

واستوزر الرشيد يحيى بن خالد البرمكي ومنحه جميع الصلاحيات واتجه

نحو ملاذّه وشهواته فكانت لياليه الحمراء في بغداد شاهدة على ذلك.

وتصرّف يحيى في شؤون الدولة الواسعة الأطراف حسب رغباته، فقد أنفق الأموال الطائلة على الشعراء المادحين له، واتخذ من العمارات والضياع التي كانت تدرّ عليه بالملايين، الكثير الكثير وهي التي سببت قيام هارون الرشيد باعتقاله، وقتل ابنه جعفر ومصادرة جميع أموالهم.

وفي عهد المأمون أطلق يد وزيره الفضل بن سهل في أُمور الدولة فتصرّف فيها كيفما شاء، وكان الوزير يكتسب الثراء الفاحش بما يقترفه من النهب والرشوات، وقد عانت الأُمّة من ضروب المحن والبلاء في عهدهم مما لا يوصف فكانوا الأداة الضاربة للشعب، فقد استخدمتهم الملوك لنهب ثروات الناس واذلالهم وارغامهم على ما يكرهون.

وكان الوزراء معرّضين للسخط والانتقام وذلك لما يقترفونه من الظلم والجور، وقد نصح دعبل الخزاعي الفضل بن مروان أحد وزراء العباسيين فأوصاه باسداء المعروف والاحسان إلى الناس، وقد ضرب له مثلاً بثلاثة وزراء ممّن شاركوه في الاسم وسبقوه إلى كرسي الحكم، وهم الفضل بن يحيى، والفضل بن الربيع، والفضل بن سهل، فانّهم لمّا جاروا في الحكم تعرّضوا إلى النقمة والسخط.

ومن غرائب ما اقترفه الوزراء من الخيانة انّ الخاقاني وزير المقتدر بالله العباسي ولّى في يوم واحد تسعة عشر ناظراً للكوفة وأخذ من كلّ واحد رشوة [1] الى غير ذلك من هذه الفضائح والمنكرات الكثيرة عند بعض وزراء العباسيين.[2]

---

(١) تاريخ التمدّن الإسلامي: ٤ / ١٨٢.

(٢) راجع حياة الإمام محمد الجواد (عليه السلام): ١٨٨ ـ ١٩٢.

اضطهاد العلويّين: اضطهدت أكثر الحكومات العبّاسيّة رسمياً العلويّين ، وقابلتهم بمنتهى القسوة والشدّة ، وقد رأوا من العذاب ما لم يروه في العهد الأُموي وأوّل من فتح باب الشر والتنكيل بهم الطاغية فرعون هذه الأُمّة المنصور الدوانيقي [١] وهو القائل : «قتلت من ذرية فاطمة ألفاً أو يزيدون وتركت سيّدهم ومولاهم جعفر بن محمّد»[٢] وهو صاحب خزانة رؤوس العلويّين التي تركها لابنه المهدي تثبيتاً لملكه وسلطانه وقد ضمّت تلك الخزانة رؤوس الأطفال والشباب والشيوخ من العلويّين [٣] !!

وهو الذي وضع أعلام العلويّين وأعيانهم في سجونه الرهيبة حتى قتلتهم الروائح الكريهة وردم على بعضهم السجون حتى توفّوا دفناً تحت أطنان الأتربة والأحجار!!

لقد اقترف هذا الطاغية السفّاك جميع ألوان التصفية الجسدية مع العلويّين ، وعانوا في ظلال حكمه من صنوف الارهاب والتنكيل ما لا يوصف لفضاعته وقسوته .

أمّا موسى الهادي فقد زاد على سلفه المنصور ، وهو صاحب واقعة فخ التي لا تقل في مشاهدها الحزينة عن واقعة كربلاء ، وقد ارتكب فيها هذا السفاك من الجرائم ما لم يُشاهد مثله ، فقد أوعز بقتل الأطفال واعدام الأسرى ، وظلّ يطارد العلويّين ، ويلحّ في طلبهم فمن ظفر به قتله ، ولكن لم تطل أيام هذا الجلّاد حتى

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي : ٢٦١ .
(٢) الأدب في ظلّ التشيّع : ٦٨ .
(٣) تاريخ الطبري ١٠ / ٤٤٦ .

قصم الله ظهره .

أمّا هارون الرشيد فهو لم يقلّ عن أسلافه في عدائه لأهل البيت (عليهم السلام) والتنكيل بهم وهو القائل : «حتام اصبر على آل بني أبي طالب ، والله لأقتلنّهم ولأقتلنّ شيعتهم ، ولأفعلنّ وأفعلنّ»[1] وهو الذي سجن الإمام الاعظم موسى بن جعفر (عليه السلام) عدة سنين ، ودسّ إليه السمّ حتى توفّي في سجنه ، لقد جهد الرشيد في ظلم العلويّين وإرهاقهم ، فعانوا في عهده من الارهاب ما لا يقلّ فضاعة عمّا عانوه في أيام المنصور .

ولما آلت الخلافة إلى المأمون رفع عنهم المراقبة ، وأجرى لهم الأرزاق وشملهم برعايته وعنايته ، ولكن لم يدم ذلك طويلاً إذ انّه بعد ما اغتال الإمام الرضا (عليه السلام) بالسمّ ، أخذ في مطاردة العلويّين والتنكيل بهم كما فعل معهم أسلافه .

وعلى أيّة حال فإنّ من أعظم المشاكل السياسية التي اُمتحن بها المسلمون امتحاناً عسيراً هي التنكيل بعترة النبيّ (صلى الله عليه وآله) وذرّيته وقتلهم بيد الزمرة العبّاسية الغاشمة والتي فاقت في قسوتها وشرورها أعمال بني اُميّة ، حتى انتهى الأمر بأبناء النبيّ العظيم(صلى الله عليه وآله) أنّهم كانوا يتضورون جوعاً وسغباً، سوى المآسي الاُخرى التي حلّت بهم ، وكان من الطبيعي أنْ تؤلم هذه الحالة قلب الإمام أبي جعفر الجواد (عليه السلام) ، وتصيبه بالأسى والحزن [2].

مشكلة خلق القرآن: لعلّ من أعقد المشاكل السياسية التي اُبتلي بها المسلمون في ذلك العصر هي محنة خلق القرآن التي أوجدت الفتن والخطوب في البلاد .

(١) حياة الإمام موسى بن جعفر : ٢ / ٤٧ .

(٢) الحدائق الوردية : ٢ / ٢٢٠ .

فقد أظهر المأمون هذه المسألة في سنة (٢١٢ هـ) . وأُمتحن بها العلماء امتحاناً شديداً، وارهقوا إلى حدّ بعيد فمن لا يقول بمقالة المأمون سجنه أو نفاه أو قتله وقد حمل الناس على ما يذهب إليه بالقوّة والقهر .

إنّ هذه المسألة تعتبر من أهمّ الأحداث الخطيرة التي حدثت في ذلك العصر ، وقد تعرّض الفلاسفة والمتكلّمون إلى بسطها وإيضاح غوامضها .[(١)]

٣ ـ الحياة الاقتصادية :

اهتم الإسلام بالحالة الاقتصادية وازدهارها ، واعتبر الفقر كارثة مدمّرة يجب القضاء عليه بكافة الطرق والوسائل ، وألزم ولاة الأُمور والمسؤولين أن يعملوا جاهدين على تنمية الاقتصاد العام ، وزيادة دخل الفرد ، وبسط الرخاء والرفاهية بين الناس ليسلم المسلمون من الشذوذ والانحراف الذي هو ـ على الأكثر ـ وليد الفقر والحرمان ، وكان من بين ما عنى به أنّه حرّم على ولاة الأُمور إنفاق أموال الدولة في غير صالح المسلمين ، ومنعهم أن يصطفوا منها لأنفسهم وأقربائهم ، ومن يمتّ إليهم ، ولكن ملوك بني العبّاس تجاهلوا ما أمر به الإسلام في هذا المجال فاتّخذوا مال الله دولاً وعباد الله خولاً ، وأنفقوا أموال المسلمين على شهواتهم وملاذهم من دون تحرج!! ، وقد أدّت هذه السياسة المنحرفة إلى أزمات حادّة في الاقتصاد العام ، حيث انقسم المجتمع إلى طبقتين : الأُولى وهي الطبقة الراقية في الثراء التي لا عمل لها إلّا اللهو واللعب ، والأُخرى الطبقة الكادحة التي تزرع الأرض ، وتعمل في الصناعة ، وتشقى في سبيل أُولئك السادة ولا تحصل بجهدها إلّا على ما يسدّ رمقها ، وترتّب على فقدان التوازن في الحياة

(١) راجع : حياة الإمام محمد الجواد (عليه السلام) : ٢٠٣ ـ ٢٠٥ .

الاقتصادية انعدام الاستقرار في الحياة السياسية والاجتماعية على السواء [١] وفيما يلي نتحدث ـ بإيجاز ـ عن الحياة الاقتصادية في ذلك العصر :

واردات الدولة : كانت واردات الدولة الإسلامية في العصر العبّاسي الذي عاش فيه الإمام أبو جعفر الجواد(عليه السلام) ضخمة للغاية، فقد أحصى ابن خلدون الخراج في عهد المأمون فكان مجموعه ما يزيد على (٤٠٠) مليون درهم [٢] ، وقد بلغ من كثرة المال ووفرته أنّه كان لا يُعدّ ، وإنّما كان يوزن ، فكانوا يقولون : إنّه بلغ ستة أو سبعة آلاف قنطار من الذهب [٣] ، وقد حسب عامل المعتصم على الروم خراجها فكان اقلّ من ثلاثة آلاف ألف ، فكتب إليه المعتصم يعاتبه ، وممّا جاء في عتابه : «إنّ أخسّ ناحية عليها أخسّ عبيدي خراجها أكثر من خراج أرضك[٤]» . ومن المؤسف أنّ هذه الأموال الوفيرة لم تنفق على تحسين أوضاع المسلمين وتطوير حياتهم ، وإنّما كان الكثير منها يصرف على الشهوات والملذّات ، وقد عكست تلك الانفاقات الهائلة ترف بغداد في ذلك العصر ذلك الترف الذي تحكيه قصص (ألف ليلة وليلة) التي مثّلت حياة اللهو في ذلك العصر .

التهالك على جمع المال : وتهالك الناس في ذلك العصر على جمع المال بكلّ وسيلة كانت، مشروعة أم غير مشروعة ، فقد أصبح المال هو المقياس في قيم الرجال ، وأخذ يتردّد في الأمثلة الجارية في بغداد « المال مال ، وما سواه محال »

---

(١) الإدارة الإسلامية في عزّ العرب : ٨٢.

(٢) المقدّمة : ١٧٩ ـ ١٨٠ .

(٣) المقدّمة : ١٧٩ ـ ١٨٠ .

(٤) أحسن التقاسيم للمقدسي : ٦٤ (طبع ليدن) .

وتوسّل الناس إلى جمعه بكلّ طريق لا يعفون عن محرم، ولا يتورّعون عن خبيث، وأصبح الخداع والغشّ هو الوسيلة في جمعه (١).

تضخّم الثروات: وتضخّمت الثروات الهائلة عند بعض الناس خصوصاً في بغداد عاصمة العالم الإسلامي آنذاك، فقد وجدت فيها طبقة رأسمالية كانت تملك الملايين، وكذلك البصرة فقد ضمّت طبقة كبيرة من أهل الثراء العريض وكانت البصرة ثغر العراق والمركز التجاري الخطير الذي يصل بين الشرق والغرب، وتستقبل متاجر الهند، وجزر البحار الشرقية، ومن أجل ذلك سمّيت البصرة أرض الهند وأُمّ العراق (٢).

نفقات المأمون في زواجه: وكان من مظاهر ذلك الاسراف والبذخ والتصرف الظالم في أموال المسلمين ما انفقه المأمون من الأموال الطائلة المذهلة في زواجه بالسيّدة بوران فقد أمهرها ألف ألف دينار، وشرط عليه أبوها الحسن بن سهل أن يبني بها في قريته الواقعة بفم الصلح فأجابه إلى ذلك، ولمّا أراد الزواج سافر إلى فم الصلح ونثر على العسكر الذي كان معه ألف ألف دينار وكان معه في سفره ثلاثون ألفاً من الغلمان الصغار والخدم الصغار والكبار وسبعة آلاف جارية... وعرض العسكر الذي كان معه فكان اربعمائة ألف فارس، وثلثمائة ألف راجل.. وكان الحسن بن سهل يذبح لضيوفه ثلاثين ألف رأس من الغنم، ومثليها من الدجاج، واربعمائة بقرة، وأربعمائة جمل وسمّى الناس هذه الدعوة «دعوة الإسلام» وهو ليس من الإسلام في شيء، فإنّ الإسلام احتاط كأشدّ ما يكون الاحتياط في بيت مال المسلمين فحرم انفاق أي شيء في غير صالحهم.

---

(١) مقدّمة البخلاء: ٢٤.

(٢) مقدّمة البخلاء: ٢٤.

وحينما بنى المأمون ببوران نثروا من سطح دار الحسن بن سهل بنادق عنبر فاستخفّ بها الناس ، وزهدوا فيها ، ونادى شخص من السطح قائلاً : كلّ من وقعت بيده بندقة فليكسرها فإنّه يجد فيها رقعة ، وما فيها له وكسر الناس البنادق فوجدوا فيها رقاعاً في بعضها تحويل بألف دينار وفي أُخرى خمسمائة دينار إلى أن تصل إلى المائة دينار ، وفي بعضها عشرة أثواب من الديباج ، وفي بعضها خمسة أثواب ، وفي بعضهاغلام ، وفي بعضها جارية ، وحمل كلّ من وقعت بيده رقعة إلى الديوان واستلم ما فيها [1] كما أنفق على قادة الجيش فقط خمسين ألف ألف درهم [2].

وفي ساعة الزفاف أُجلست بوران على حصير منسوج من الذهب ودخل عليها المأمون ومعه عمّاته وجمهرة من العبّاسيّات فنثر الحسن بن سهل على المأمون وزوجته ثلثمائة لؤلؤة وزن كلّ واحدة مثقال ، وما مدّ أحد يده لالتقاطها ، وأمر المأمون عمّاته بالتقاطها ، ومدّ يده فأخذ واحدة منها « فالتقطتها العبّاسيّات » .

لقد أنفق الحسن والمأمون هذه الأموال الطائلة على هذا الزواج من بيت مال المسلمين ، وقد أمر الله بانفاقه على مكافحة الفقر ومطاردة البؤس والحرمان .

هبات وعطايا : ووهب ملوك بني العبّاس أموال المسلمين بسخاء إلى المغنّين والمغنّيات والخدم والعملاء ، فقد غنّى إبراهيم بن المهدي العبّاسي محمّد الأمين صوتاً فأعطاه ثلاثمائة ألف ألف درهم فاستكثرها إبراهيم ، وقال له : يا سيّدي لو قد أمرت لي بعشرين ألف ألف درهم فقال له الخليفة : هل هي إلّا

(١) تاريخ الطبري : ٧ / ١٤٩ ، وابن الأثير : ٤ / ٢٠٦ .
(٢) تزيين الأسواق للأنطاكي ٣ / ١١٧ .

خراج بعض الكور [١] ، وغنّى ابن محرز عند الرشيد بأبيات مطلعها « واذكر أيام الحمى ثمّ انثن » فاستخفّ به الطرب فأمر له بمائة ألف درهم ، وأعطى مثل ذلك للمغنّي دحمان الأشقر [٢] ولمّا تقلّد المهدي العبّاسي الخلافة وزّع محتويات إحدى خزانات بيت المال بين مواليه وخدمه [٣] إلى غير ذلك من الهبات والهدايا التي كانت من الخزينة المركزية التي كان ملزماً شرعاً بإنفاقها على المشاريع الحيوية التي تزدهر بها البلاد .

اقتناء الجواري : وبدل أن يتّجه ملوك بني العبّاس إلى إصلاح البلاد وتنميتها الاقتصادية فقد اتّجهوا بنهم وجشع إلى اقتناء الجواري ، والمغالاة في شرائها ، فقد جلبت إلى بغداد الجواري الملاح من جميع أطراف الدنيا ، فكان فيهنّ الحبشيات ، والروميّات ، والجرجيات ، والشركسيات ، والعربيات من مولدات المدينة والطائف واليمامة ومصر من ذوات الألسنة العذبة ، والجواب الحاضر ، وكان بينهنّ الغانيات اللاتي يعزفن مع ما عليهن من اللباس الفاخر وما يتّخذن من العصائب التي ينظمنها بالدرّ والجواهر ، ويكتبن عليهنّ بصفائح الذهب [٤] وقد كان عند الرشيد زهاء ألفي جارية ، وعند المتوكّل أربعة آلاف جارية [٥] وقد زار الرشيد في يوم فراغه البرامكة فلمّا أراد الانصراف خرجت جواريهم فاصطففن مثل العساكر صفّين صفّين ، وغنين وضربن بالعود ونقرن على الدفوف إلى أن طلع مقاصير القصر [٦] وكان عند والدة جعفر البرمكي مائة وصيفة لباس كلّ

(١) الإسلام والحضارة العربية ٢ / ٢٣٦ .
(٢) المستطرف : ١٨٢ ـ ١٨٤ .
(٣) تاريخ بغداد: ٥ / ٣٩٣ .
(٤) حضارة الإسلام : ٩٨ .
(٥) الأغاني : ٩ / ٨٨ .
(٦) حضارة الإسلام في دار السلام : ٩٦ .

واحدة منهنّ وحليّها غير لبوس الأُخرى وحليّها [1] لقد كان اقتناء الجواري بهذه الكثرةمن نتائج وفرة المال وكثرته عند هذه الطبقة الرأسمالية التي حارت في كيفيّة صرف ما عندها من الأموال .

التفنّن في البناء : وتفنّن ملوك بني العبّاس في بناء قصورهم ، فأشادوا أضخم القصور التي لم يشيّد مثلها في البلاد وقد بنوا في بغداد قصر الخلد تشبيهاً له بجنّة الخلد التي وعد الله بها المتّقين ، وكان من أعظم الأبنية الأيوان الذي بناه الأمين ، وقد وصفه المؤرّخون بأنّه جعله كالبيضة بياضاًثمّ ذهب بالابريز المخالف بينه باللازورد ، وكان ذا أبواب عظام ومصاريع غلاظ تتلألأ فيه مسامير الذهب التي قمعت رؤوسها بالجوهر النفيس وقد فرش بفرش كأنّه صبغ بالدم وقد نقش بتصاوير من الذهب ، وتماثيل العقيان ، ونضّد فيه العنبر الأشهب والكافور المصعد [2] وقد أنفق جعفر البرمكي على بناء داره نحواً من عشرين مليون درهم [3] .

وبلغ البذخ والترف في ذلك العصر أنّ كثيراً من أبواب الدور في بغداد كانت من الذهب في حين أنّ الأكثرية الساحقة من أفراد الأُمة كانت تشكو الجوع والحرمان .

أثاث البيوت : وحفلت قصور العبّاسيّين بأنواع الأثاث وأفخرها في العالم ، ويقول المؤرّخون : إنّ السيّدة زبيدة قد اصطفت بساطاً من الديباج جمع صورة كلّ حيوان من جميع الأجناس ، وصورة كلّ طائر من الذهب ، وأعينها اليواقيت

---

(١) الجهشياري : ٢٤٦ .

(٢) طبقات الشعراء لابن المعتز : ٢٠٩ .

(٣) تاريخ الطبري : ١٠ / ٩٢ .

والجواهر يقال إنها أنفقت على صنعه مليون دينار [١]، كما اتخذت الآلة من الذهب المرصّع بالجوهر، والآبنوس، والصندل عليها الكلاليب من الذهب الملبس بالوشي والديباج، والسمور، وأنواع الحرير، كمثل اتخاذها شمع العنبر، واصطناعها الخفّ مرصّعاً بالجوهر واتخاذها الشاكرية [٢].

أمّا مجالس البرامكة فكانت مذهلة، فكان الرشيد إذا حضر مجالس البرامكة وهو بين الآنية المرصّعة والخزائن المجزعة، والمطارح من الوشي والديباج والجواري يرفلن في الحرير والجوهر، ويستقبلنه بالروائح التي لا يدري لطيبها ما هي، خيّل إليه أنّه في الجنّة بين الجمال والجوهر والطيب [٣].

الثياب: وكان من نتائج بذخ العبّاسيين وترفهم ما ذكره ابن خلدون أنّه كانت دور في قصورهم لنسج الثياب تسمّى دور الطراز، وكان القائم عليها ينظر في أُمور الصنّاع وتسهيل آلاتهم وإجراء أرزاقهم [٤].

ألوان الطعام: وتعدّدت ألوان الطعام بسبب تقدّم الحضارة فقد روى طيفور عن جعفر بن محمّد الأنماطي أنّه تغذّى عند المأمون فوضع على المائدة ثلاثمائة لون من الطعام [٥] ونظراً لتعدّد ألوان الطعام فقد فسدت أسنانهم ممّا اضطرّهم إلى شدّها بالذهب للعلاج [٦].

---

(١) حضارة الإسلام: ٩٥، نقلاً عن المستطرف: ٩٦.

(٢) حضارة الإسلام: ٩٥.

(٣) حضارة الإسلام: ٩٦.

(٤) المقدّمة: ٢٦٧.

(٥) تاريخ بغداد لطيفور: ٣٦.

(٦) التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية لصالح أحمد: ١٧٧.

مخلّفات العبّاسيّين من الأموال :

وخلّف ملوك بني العبّاس ووزراؤهم من الأموال ما لا يحصى ، وفيما يلي بعض ما تركوه :

١ ـ ترك الطاغية البخيل المنصور الدوانيقي من الأموال التي سرقها من المسلمين ما يقرب من ستمائة مليون درهم و أربعة عشر مليون دينار(١) وقد كدّس هذه الأموال الهائلة في خزائنه وترك الفقر والبؤس يهيمنان على جميع أنحاء البلاد الإسلامية .

٢ ـ خلّف الرشيد من المال ما يقدّر بنحو تسعمائة مليون درهم (٢) .

٣ ـ توفّيت الخيزران أمّ الرشيد ، فكانت غلّتها ألف ألف وستين ألف درهم (٣) .

٤ ـ ترك عمرو بن سعدة أحد وزراء المأمون ما يقرب من ثمانية ملايين دينار فأخبروا المأمون بذلك في رقعة فكتب عليها « هذا قليل لمن اتّصل بنا ، وطالت خدمته لنا فبارك الله لولده فيه » (٤) .

حياة اللهو والطرب: وعاش أكثر خلفاء بني العبّاس عيشة اللهو والطرب والمجون ، عيشة ليس فيها ذكر لله ولا لليوم الآخر ، وقضوا أيامهم في هذه الحياة التافهة التي تمثّل السقوط والانحطاط .

---

(١) أمراء الشعر العربي : ٤٥ .

(٢) أمراء الشعر العربي : ٤٥ .

(٣) الإسلام والحضارة العربية : ٢ / ٢٣٠ .

(٤) الإسلام والحضارة العربية : ٢ / ٢٣١ .

وقد روى أحمد بن صدقة قال: دخلت على المأمون في يوم السعانين [(١)] وبين يديه عشرون وصيفة جلباً روميات مزنرات قد تزيّنّ بالديباج الرومي وعلّقن في أعناقهنّ صلبان الذهب، وفي أيديهنّ الخوص والزيتون.

وكان من مظاهر الحياة اللاهية لعبهم بالنرد والشطرنج، والعناية بتربية الحمام والمغالاة في أثمانه [(٢)] كما تهارشوا بالديوك والكلاب [(٣)] ولعبوا بالميسر وقد انتشر ذلك حتى في حانات الفقراء [(٤)].

ومن المؤسف أنّ الطرب والمجون قد سرى إلى بعض المحدّثين الذين يجب أن يتّصفوا بالإيمان والاستقامة فقد ذكر الخطيب البغدادي عن المحدّث محمّد بن الضوء إنّه ليس بمحلّ لأن يؤخذ عنه العلم؛ لأنّه كان من المتهتّكين بشرب الخمر والمجاهرة بالفجور، وكان أبو نؤاس يزوره في الكوفة في بيت خمّار يقال له جابر [(٥)].

التقشّف والزهد: وبجانب حياة اللهو والطرب التي عاشها الناس في عصر الإمام أبي جعفر (عليه السلام) فقد كانت هناك طائفة من الناس قد اتّجهت إلى الزهد والتقشّف ونظرت إلى مباهج الحياة نظرة زهد واحتقار، فكان من بينهم إبراهيم بن الأدهم وهو ممّن ترك الحياة الناعمة وأقبل على طاعة الله

---

(١) يوم السعانين: عيد للنصارى.
(٢) حياة الحيوان: ٣ / ٩١.
(٣) الأغاني: ٦ / ٧٤ ـ ٧٥.
(٤) حياة الحيوان: ٥ / ١١٥.
(٥) الأوراق: ٦١.

وكان يردّد هذا البيت :

اتّخذ الله صاحباً   ودع الناس جانبا

وكان يلبس في الشتاء فروا ليس تحته قميص [١] مبالغة منه في الزهد وكان ممّن عُرِف بالتقشّف معروف الكرخي فكان يبكي وينشد في السحر :

أي شيء تريد منّي الذنوب   شغفت بي فليس عنّي تغيب
ما يضرّ الذنوب لو اعتقتني   رحمةً بي فقد علاني المشيب [٢]

وكان من زهّاد ذلك العصر بشر بن الحارث وهو القائل :

قطع الليالي مع الأيام في خلق   والقوم تحت رواق الهمّ والقلق
أحرى وأعذر لي من أن يقال غداً   إنّي التمست الغنى من كفّ مختلق
قالوا: قنعت بذا ؟ قلت: القنوع غنى   ليس الغنى كثرة الأموال والورق
رضيت بالله في عسري وفي يسري   فلست أسلك إلّا أوضح الطرق [٣]

ومن الطبيعي أنّ هذه الدعوة إلى الزهد إنّما جاءت كرد فعل لإفراط ملوك العباسيّين والطبقة الرأسماليّة في الدعارة والمجون وعدم عفافهم عمّا حرّمه الله من الملاهي .وبهذا ينتهي بنا الحديث عن عصر الإمام الجواد(عليه السلام) .[٤]

الى هنا نكون قد وقفنا على ملامح هذا العصر وخصائصه الثقافية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية، وسوف نردفها ببيان طبيعة علاقة حكّام عصر الإمام مع الإمام(عليه السلام) من جهة، ثم ندرس متطلبات هذا العصر على ضوء هذه الملامح وعلى ضوء رسالة الإمام الجواد(عليه السلام) في تلك الظروف التي أحاطت به آخذين

---

(١) حلية الأولياء : ٧ / ٣٦٧ـ ٣٧٣.

(٢) حلية الأولياء : ٢ / ١٨١ .

(٣) صفة الصفوة : ٢ / ١٨٩ .

(٤) راجع حياة الإمام محمد الجواد (عليه السلام) : ٢٠٦ ـ ٢١٦ .

بنظر الاعتبار مجمل أهداف الإمام(عليه السلام) باعتباره أحد عناصر أهل بيت الرسالة الذين أُوكلت اليهم مهمة الحفاظ على الرسالة والأُمة المسلمة لإيصالهما الى شاطئ الأمن والسلام الذي نادى به الإسلام ووعد به المؤمنين بل المسلمين فضلاً عن العالَمين.

الفصل الثاني

الإمام الجواد (عليه السلام) وحكّام عصره

١ ـ المأمون العبّاسي

استمرّ المأمون على منهجه السابق في التظاهر بالإحسان لأهل البيت (عليهم السلام) وقد تظاهر بإكرام الإمام الجواد (عليه السلام) فزوّجه ابنته وحاول التقرّب اليه كثيراً لكنه في الوقت ذاته كان يكيد للإمام من خلال تحجيم دوره وتشديد الرقابة عليه، بالرغم من تظاهره بالولاء لأهل البيت(عليهم السلام) والرعاية له بشكل خاص. وذلك لما عرفناه من موقف المأمون من أبيه الرضا(عليه السلام) فيما سبق من بحوث، وبه نفسّر كل ما صدر من المأمون تجاه الإمام الجواد(عليه السلام).

وسنتطرق الى الثغرات الرئيسية في العلاقة بين الإمام (عليه السلام) والمأمون فيما بعد.

تزويج المأمون ابنته من الإمام الجواد (عليه السلام):

قال المؤرخون : «لمّا أراد المأمون ان يزوج ابنته ام الفضل أبا جعفر محمد بن علي (عليه السلام) بلغ ذلك العباسيين فغلظ عليهم، واستنكروه وخافوا ان ينتهي الأمر معه الى ما انتهى مع الرّضا (عليه السلام) فخاضوا في ذلك واجتمع منهم أهل بيته

الادنون منه . فقالوا : ننشدك الله يا أمير المؤمنين ان تقيم على هذا الأمر الذي عزمت عليه من تزويج ابن الرضا فإنّا نخاف ان يخرج به عنا أمر قد ملكناه الله عزوجل ، وينزع منّا عزّاً قد ألبسناه الله ، وقد عرفت ما بيننا وبين هؤلاء القوم قديماً وحديثاً ، وماكان عليه الخلفاء الراشدون قبلك ، من تبعيدهم والتصغير بهم ، وقدكنّا في وهلة من عملك مع الرضا (عليه السلام) ما عملت فكفانا الله المهم من ذلك .

فالله الله ان تردّنا الى غمّ قد انحسر عنّا ، واصرف رأيك عن ابن الرضا واعدل الى مَن تراه من اهل بيتك يصلح لذلك دون غيره.

فقال لهم المأمون : أما ما بينكم وبين آل أبي طالب فأنتم السبب فيه ، ولو انصفتم القوم لكانوا اولى بكم ، واما ما كان يفعله من قبلي بهم ، فقد كان قاطعاً للرّحم ، واعوذ بالله من ذلك ، والله ما ندمت على ما كان منّي من استخلاف الرضا (عليه السلام) ولقد سألته ان يقوم بالأمر وأنزعه من نفسي فأبى ، وكان أمر الله قدراً مقدوراً .

واما أبو جعفر محمد بن علي فقد اخترته لتبريزه على كافة أهل الفضل في العلم والفضل ، مع صغر سنه ، والاعجوبة فيه بذلك ، وانا أرجو ان يظهر للناس ما قد عرفته منه ، فيعلمون ان الرأي ما رأيت فيه .

فقالوا له : ان هذا الفتى وإن راقك منه هديه فانه صبي لا معرفة له ولا فقه ، فأمهله ليتأدب ثم اصنع ما تراه بعد ذلك .

فقال لهم : ويحكم اني اعرف بهذا الفتى منكم وان اهل هذا البيت علمهم من الله تعالى ومواده والهامه ، ولم يزل آباؤه أغنياء في علم الدين والأدب عن الرعايا الناقصة عن حدّ الكمال ، فان شئتم فامتحنوا أبا جعفر بما يتبين لكم به ما وصفت من حاله .

قالوا : قد رضينا لك يا أمير المؤمنين ولأنفسنا بامتحانه ، فخلّ بيننا وبينه لننصب من يسأله بحضرتك عن شيء من فقه الشريعة ، فان أصاب في الجواب عنه لم يكن لنا اعتراض في أمره وظهر للخاصة والعامة سديد رأي أمير المؤمنين فيه ، وإن عجز عن ذلك فقد كفينا الخطب في معناه . فقال لهم المأمون : شأنكم وذلك متى أردتم .

فخرجوا من عنده واجتمع رأيهم على مسألة يحيى بن أكثم ، وهو يومئذٍ قاضي الزمان على ان يسأله مسألة لا يعرف الجواب فيها ، ووعدوه بأموال نفيسة على ذلك ، وعادوا الى المأمون وسألوه ان يختار لهم يوماً للاجتماع فأجابهم الى ذلك .

فاجتمعوا في اليوم الذي اتفقوا عليه وحضر معهم يحيى بن اكثم وأمر المأمون ان يفرش لابي جعفر دست [1] ويجعل له فيه مسورتان ففعل ذلك وخرج أبو جعفر وهو يومئذٍ ابن تسع سنين وأشهر فجلس بين المسورتين وجلس يحيى بن اكثم بين يديه وقام الناس في مراتبهم والمأمون جالس في دست متصل بدست أبي جعفر (عليه السلام).

فقال يحيى بن اكثم للمأمون : يأذن لي أمير المؤمنين أن اسأل أبا جعفر عن مسألة ؟ فقال له المأمون : استأذنه في ذلك فأقبل عليه يحيى بن اكثم ، فقال : أتأذن لي جعلت فداك في مسألة ؟

فقال أبو جعفر (عليه السلام) : **«سل إن شئت»** .

قال يحيى : ما تقول جعلت فداك في محرم قتل صيداً ؟

(١) الدست هنا صدر البيت وهو معرب .

فقال أبو جعفر (عليه السلام) : «قتله في حلّ أو في حرم ، عالماً كان المحرم أو جاهلاً ، قتله عمداً أو خطأ ، حرّاً كان المحرم أو عبداً ، صغيراً كان او كبيراً ، مبتدئاً بالقتل او معيداً ، من ذوات الطير كان الصيد ام من غيرها ، من صغار الصيد ام من كبارها ، مصرّاً على ما فعل او نادماً ، في الليل كان قتله للصيد ام في النهار ، محرماً كان بالعمرة اذ قتله او بالحج كان محرماً ؟»

فتحيّر يحيىٰ بن اكثم وبان في وجهه العجز والانقطاع ولجلج حتىٰ عرف جماعة اهل المجلس أمره . فقال المأمون : الحمد لله على هذه النعمة والتوفيق لي في الرأي ثم نظر الى أهل بيته فقال لهم : اعرفتم الآن ما كنتم تنكرونه ؟ ثم اقبل على أبي جعفر (عليه السلام) فقال له : اتخطب يا أبا جعفر ؟

فقال : نعم ياأمير المؤمنين . فقال له المأمون : اخطب لنفسك جعلت فداك قد رضيتك لنفسي وانا مزوّجك ام الفضل ابنتي وان رغم قوم ذلك .

فقال أبو جعفر (عليه السلام) : الحمد لله إقراراً بالنعمة ، ولا اله إلّا الله إخلاصاً لوحدانيته وصلى الله على محمد سيد بريّته ، والأصفياء من عترته .

اما بعد فقد كان من فضل الله على الأنام ، ان أغناهم بالحلال عن الحرام ، فقال سبحانه : ﴿ وانكحوا الأيامىٰ منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم ﴾ .

ثم ان محمد بن علي بن موسى يخطب أمّ الفضل بنت عبد الله المأمون ، وقد بذل لها من الصّداق مهر جدّته فاطمة بنت محمد(صلى الله عليه وآله) وهو خمسمائة درهم جياداً فهل زوّجته ياأمير المؤمنين بها على هذا الصداق المذكور ؟

فقال المأمون : نعم قد زوّجتك ياأبا جعفر ام الفضل ابنتي على الصداق المذكور ، فهل قبلت النكاح ؟

قال أبو جعفر (عليه السلام) : **قد قبلت ذلك ورضيت به .**

فأمر المأمون ان يقعد الناس على مراتبهم في الخاصة والعامة .

قال الريّان : ولم نلبث ان سمعنا أصواتاً تشبه اصوات الملاحين في محاوراتهم ، فاذا الخدم يجرّون سفينة مصنوعة من فضة مشدودة بالحبال من الابريسم ، على عجلة مملوّة من الغالية ، ثم أمر المأمون ان تخضب لحاء الخاصة من تلك الغالية ، ثم مدّت الى دار العامّة فتطيبوا منها ووضعت الموائد فأكل الناس وخرجت الجوائز الى كلّ قوم على قدرهم .

فلما تفرق الناس وبقي من الخاصة من بقي ، قال المأمون لأبي جعفر (عليه السلام) : ان رأيت جعلت فداك ان تذكر الفقه الذي فصّلته من وجوه من قتل المحرم لنعلمه ونستفيده .

فقال أبو جعفر (عليه السلام) : **نعم ان المحرم اذا قتل صيداً في الحلّ وكان الصيد من ذوات الطير ، وكان من كبارها ، فعليه شاة ، فان أصابه في الحرم فعليه الجزاء مضاعفاً ، واذا قتل فرخاً في الحلّ فعليه حمل قد فطم من اللبن واذا قتله في الحرم فعليه الحمل وقيمة الفرخ ، فاذا كان من الوحش وكان حمار وحش فعليه بقرة ، وإن كان نعامة فعليه بدنة وان كان ظبياً فعليه شاة وان كان قتل شيئاً من ذلك في الحرم فعليه الجزاء مضاعفاً هدياً بالغ الكعبة .**

واذا أصاب المحرم ما يجب عليه الهدي فيه ، وكان إحرامه بالحجّ نحره بمنى ، وان كان إحرامه بالعمرة نحره بمكة ، وجزاء الصيد على العالم والجاهل سواء ، وفي العمد عليه المأثم وهو موضوع عنه في الخطأ ، والكفّارة على الحرّ في نفسه ، وعلى السيّد في عبده ، والصغير لاكفّارة عليه ، وهي على الكبير واجبة والنادم يسقط ندمه عنه عقاب الآخرة ، والمصرّ يجب عليه العقاب في الآخرة .

فقال المأمون : أحسنت يا أبا جعفر احسن الله اليك فان رأيت ان تسأل يحيى عن مسألة كما سألك .

فقال أبو جعفر (عليه السلام) ليحيى : **أسألك** ؟ قال : ذلك اليك جعلت فداك ، فإن عرفت جواب ما تسألني والا استفدته منك .

فقال له أبو جعفر (عليه السلام) : **اخبرني عن رجل نظر الى امرأة في اول النهار فكان نظره اليها حراماً عليه ، فلما ارتفع النهار حلّت له ، فلما زالت الشمس حرمت عليه ، فلما كان وقت العصر حلّت له ، فلما غربت الشمس حرمت عليه ، فلما دخل وقت العشاء الآخرة حلّت له ، فلما كان وقت انتصاف الليل حرمت عليه ، فلما طلع الفجر حلّت له ، ما حال هذه المرأة وبماذا حلّت له وحرمت عليه ؟**

فقال له يحيى بن اكثم : **لا والله لا اهتدي الى جواب هذا السؤال ولا اعرف** الوجه فيه ، فان رأيت ان تفيدناه .

فقال أبو جعفر (عليه السلام) : **هذه أمة لرجل من الناس ، نظر اليها أجنبي في اول النهار فكان نظره اليها حراماً عليه ، فلما ارتفع النهار ابتاعها من مولاها فحلّت له ، فلما كان عند الظهر أعتقها فحرمت عليه ، فلما كان وقت العصر تزوّجها فحلت له ، فلما كان وقت المغرب ظاهر منها فحرمت عليه ، فلما كان وقت العشاء الآخرة كفّر عن الظهار فحلّت له ، فلما كان نصف الليل طلّقها واحدة ، فحرمت عليه ، فلمّا كان عند الفجر راجعها فحلّت له .**

قال : فأقبل المأمون على من حضره من اهل بيته فقال لهم : هل فيكم من يجيب هذه المسألة بمثل هذا الجواب ، او يعرف القول فيما تقدم من السؤال ؟ قالوا : لا والله ان أمير المؤمنين اعلم وما رأى .

فقال : ويحكم! ان أهل هذا البيت خصّوا من الخلق بما ترون من الفضل ،

وان صغر السنّ فيهم لا يمنعهم من الكمال. اما علمتم ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) افتتح دعوته بدعاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) وهو ابن عشر سنين ، وقبل منه الإسلام وحكم له به ، ولم يدع أحداً في سنه غيره ، وبايع الحسن والحسين(عليهما السلام) وهما ابنا دون الست سنين ، ولم يبايع صبياً غيرهما ، أو لا تعلمون ما اختص الله به هؤلاء القوم؟! وانهم ذرية بعضها من بعض يجري لآخرهم ما يجري لاولهم . فقالوا : صدقت ياأمير المؤمنين ثم نهض القوم .

فلما كان من الغد أُحضر الناس وحضر أبو جعفر (عليه السلام) وسار القوّاد والحجّاب والخاصة والعمّال لتهنئة المأمون وأبي جعفر (عليه السلام) فاخرجت ثلاثة أطباق من الفضة ، فيها بنادق مسك وزعفران ، معجون في أجواف تلك البنادق رقاع مكتوبة بأموال جزيلة ، وعطايا سنية ، واقطاعات ، فأمر المأمون بنثرها على القوم من خاصته فكان كل من وقع في يده بندقة أخرج الرقعة التي فيها والتمسه فأطلق يده له ، ووضعت البدر ، فنثر ما فيها على القوّاد وغيرهم ، وانصرف الناس وهم أغنياء بالجوائز والعطايا . وتقدم المأمون بالصدقة على كافة المساكين ، ولم يزل مكرماً لابي جعفر (عليه السلام) معظماً لقدره مدة حياته ، يؤثره على ولده وجماعة أهل بيته» (١) .

---

(١) بحار الانوار : ٥٠ / ٧٤ ـ ٧٩.

حقيقة العلاقة بين الإمام (عليه السلام) والمأمون

بعد استعراضنا لقضية زواج الإمام (عليه السلام) من بنت المأمون وبيان ملابساتها وما دار خلالها من نقاش وسجال وحوار ، نسجل الملاحظات الآتية لبيان الثغرة في علاقة المأمون العباسي بالإمام الجواد (عليه السلام) .

١ ـ كان المأمون يدرك جيداً ان الجواد (عليه السلام) هو الوارث الحقيقي لخط الإمامة وهو القائد الشرعي لأُمة جده رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، لذلك تعامل في تخطيطه السياسي معه تعاملاً جاداً بصفة ان الإمام (عليه السلام) كان قطباً مهماً من اقطاب الساحة السياسية الإسلامية وقائداً مطاعاً من قبل الطليعة الواعية في الأُمة مع ما يمتلكه من مكانة واحترام في نفوس قطّاعات واسعة من الأُمة .

وقد اعلن المأمون تصوره هذا أمام العباسيين عندما قالوا له :

يا امير المؤمنين أتزوج ابنتك وقرة عينك صبياً لم يتفقه في دين الله ؟ ولا يعرف حلاله من حرامه؟ ولا فرضاً من سنة ؟ ولابي جعفر (عليه السلام) اذ ذاك تسع سنين، فلو صبرت له حتى يتأدب ويقرأ القرآن ويعرف الحلال من الحرام .

فقال المأمون : «انه لأفقه منكم واعلم بالله ورسوله وسنته واحكامه ، وأقرأ لكتاب الله منكم وأعلم بمحكمه ومتشابهه وناسخه ومنسوخه وظاهره وباطنه وخاصه وعامه وتنزيله وتأويله ، منكم». لذلك لابدّ أن يكون المأمون مع الإمام الجواد(عليه السلام) مخططاً له بعناية وحنكة . وهذا يفسر البعد الضخم الذي اكتسبه زواج الجواد(عليه السلام) من بنت المأمون ومدى اهتمام المأمون به من قبل القوّاد والحجّاب والخاصّة .

٢ ـ على أساس النقطة السابقة فقد تظاهر المأمون بحبه وتقديره للإمام

الجواد (عليه السلام) طالباً بذلك :

أ ـ كسب الجماهير المسلمة الموالية لأهل البيت (عليهم السلام) بصفته من الموالين والمكرمين لآل الرسول ، وهو نظير ما يقوم به السياسيون المعاصرون من رفعهم للشعارات التي تطمح الأُمة الى تحقيقها .

ب ـ التغطية على جريمة قتله للإمام الرضا (عليه السلام) ، وذلك باظهار الحب والشفقة والاحترام لولده الجواد (عليه السلام) وبهذا التصرف استطاع المأمون ان يخدع الرأي العام .

٣ ـ كانت علاقة المأمون بالجواد (عليه السلام) كعلاقته السابقة مع أبيه الإمام الرضا (عليه السلام) ، تنطوي على اغراض سياسية أي انه كان ظاهرها حسناً جميلاً وباطنها يتضمّن النيّة الشريرة والمكر السيئ !!

لقد كاد المأمون للإمام الجواد (عليه السلام) ، ولكنه لم يستطع تحقيق أغراضه في الانتقاص منه واسقاطه ، فكانت آخر محاولة له مع الجواد هي تزويجه لبنته ، فقد روي في الكافي :

عن محمد بن الريّان أنّه قال : «احتال المأمون على أبي جعفر (عليه السلام) بكل حيلة ، فلم يمكنه فيه شيء فلما اعتلّ وأراد ان يبني عليه ابنته دفع الى مائتي وصيفة من أجمل ما يكون الى كل واحدة منهن جاماً فيه جوهر يستقبلن أبا جعفر (عليه السلام) اذا قعد في موضع الأخيار فلم يلتفت اليهن وكان رجل يقال له مخارق صاحب صوت وعود وضرب ، طويل اللحية فدعاه المأمون ، فقال : يا امير المؤمنين ان كان في شيء من امر الدنيا فأنا اكفيك أمره ، فقعد بين يدي أبي جعفر (عليه السلام) فشهق مخارق شهقة اجتمع عليه اهل الدار ، وجعل يضرب بعوده ويغنّي ، فلما فعل ساعة واذا أبو جعفر لا يلتفت اليه يميناً ولا شمالاً ، ثم رفع اليه

رأسه وقال : اتق الله يا ذا العثنون . قال : فسقط المضراب من يده والعود ، فلم ينتفع بيديه الى ان مات ، قال : فسأله المأمون عن حاله فقال : لما صاح بي أبو جعفر فزعت فزعة لا أُفيق منها أبداً»[١].

يتجلّى لنا من هذه الرواية انّ المأمون احتال بكل حيلة لاظهار عدم صلاحية الإمام الجواد(عليه السلام) للإمامة والقيادة أمام الناس وأنه أولى منه بالخلافة والقيادة ، لكنه فشل في ذلك مما اضطرّه لتجريب اسلوبٍ آخر يحتوي به حركة الإمام، وذلك بتزويجه إبنته. على أنّ هذا الزواج كان تحديداً للإمام وليس إكراماً له،كما أنه قد كشف عن واقعه مآله وعاقبته التي تجلّت في اغتيال أُم الفضل للإمام الجواد(عليه السلام)، كما سيأتي تفصيله.

أمّا توجّهات قاضي القضاة ابن اكثم في التصدي لإحراج الإمام بالأسئلة الصعبة فما كانت إلّا بدافع من المأمون، والرواية الآتية تدل على ذلك :

قال المأمون ليحيى بن اكثم : اطرح على أبي جعفر محمد بن علي الرضا(عليه السلام) مسألة تقطعه فيها . فقال : يا أبا جعفر ، ما تقول في رجلٍ نكح امرأة على زنا ايحل ان يتزوجها ؟ فقال(عليه السلام): « **يدعها حتى يستبرئها من نطفته ونطفة غيره ، اذ لا يؤمَن منها ان تكون قد احدثت مع غيره حدثاً كما احدثت معه . ثم يتزوج بها إن اراد ، فانما مثلها مثل نخلة اكل رجل منها حراماً ثم اشتراها فأكل منها حلالاً**». فانقطع يحيى[٢].

ولكن دهاء المأمون وحنكته السياسية جعلاه يظهر الفرح عندما يجيب الإمام الجواد (عليه السلام) على المشكلات من المسائل فتظهر توجهات ابن اكثم وكأنها توجهات فردية . وهذا لون من ألوان السياسة المتبعة حتى الآن وهي ان القائد

(١) أصول الكافي : ١ / ٤٩٤ ـ ٤٩٥، نقلاً عن حياة الإمام محمد الجواد : ص ٢٢٨ ـ ٢٢٩ .
(٢) تحف العقول : ٤٥٤ .

يُظهر الودّ لجهة ما ، لكنه يأمر اتباعه وأذنابه بمحاربة تلك الجهة .

وإذا انطلت هذه الاحابيل على البسطاء فإنها لم تنطل على الموالين للامام (عليه السلام) ففي رواية نقلها الكليني تفيد ان بعض الاوساط السياسية آنذاك كانت غير منخدعة بتزويج المأمون ابنته للامام الجواد (عليه السلام) بل كانت تحتمل وجود مكيدة سياسية خلف العملية . فعن محمد بن علي الهاشمي قال :

«دخلت على أبي جعفر (عليه السلام) صبيحة عرسه حيث بنى بابنة المأمون ـ وكنت تناولت من الليل دواء ـ فأول من دخل عليه في صبيحته أنا وقد أصابني العطش وكرهت ان ادعو بالماء ، فنظر أبو جعفر (عليه السلام) في وجهي وقال : «**اظنك عطشان ؟**» فقلت : أجل .

فقال : **ياغلام ـ او ياجارية ـ اسقنا ماءً** . فقلت في نفسي : الساعة يأتونه بماء يسمّونه به ، فاغتممت لذلك ، فأقبل الغلام ومعه الماء ، فتبسم في وجهي ، ثم قال : **ياغلام ناولني الماء** ، فتناول الماء فشرب ، ثم ناولني فشربت ، ثم عطشت أيضاً وكرهت ان ادعو بالماء ، ففعل ما فعل في الاولى ، فلمّا جاء الغلام ومعه القدح قلت في نفسي مثل ما قلت في الاولى ، فتناول القدح ثم شرب ، فناولني وتبسم»[(١)].

فلقد كان هذا الهاشمي يتوقّع اغتيال الإمام (عليه السلام) في ظلّ العداء الذي يكنّه المأمون وجهازه الحاكم للامام (عليه السلام) ، لذلك اغتمّ عندما طلب الإمام (عليه السلام) الماء .

السبب في تزويج المأمون ابنته للإمام الجواد (عليه السلام)

انّ هذا الزواج اضافة لما سيحققه من دعاية للمأمون تُظهر حبّه وولاءه لأهل البيت (عليهم السلام) ، فإنّ ثمة سبباً آخر نرجّحه على غيره ونراه السبب الأساس

---

(١) مستدرك عوالم العلوم : ٢٣ / ٨١.

وهو وضع الجاسوس والرقيب الخاص على الإمام (عليه السلام) يلازمه في بيته، يحصي عليه سكناته وحركاته ويرفعها الى الجهة التي زرعته وهكذا كانت أُمّ الفضل ابنة المأمون العبّاسي مع الإمام الجواد (عليه السلام).

موقف العباسيين:

اتّسم موقف العباسيين بالحقد والتعصب والسذاجة. فقد استاؤوا مما تصوروه من تساهل المأمون مع الإمام (عليه السلام) فقد كانت المظاهر تؤثر عليهم كثيراً، دون ادراكهم البعد العميق والحقيقي الذي كان يقصده المأمون وقد استفاد المأمون من وضعهم هذا عندما راح يفنّد مزاعمهم فيظهر وكأنه موالٍ حقيقةً لأهل البيت (عليهم السلام).

موقف الإمام الجواد (عليه السلام) من ابن الأكثم:

لقد تصدىٰ الإمام (عليه السلام) للرد على ابن الأكثم واظهار عجزه أمام الناس للأسباب الآتية.

أ ـ اثبات إمامته وعلمه أمام الناس في وقت راحت الجهات المعادية تشن حملة إعلامية شديدة على الإمام بادعائها انه(عليه السلام) لا يفقه من الدين شيئاً وذلك لصغر سنه.

ب ـ ان تفنيده وإفحامه لابن الأكثم كان يعتبر تفنيداً وإفحاماً للنظام الحاكم باعتبار أنّ ابن الأكثم عالم المأمون وقاضي قضاته.

ج ـ تثقيف الناس وكشف العلم الصحيح لهم من خلال الاجابات على اسئلته.

مدة إمامة الجواد(عليه السلام) في عهد المأمون :

استلم الإمام الجواد (عليه السلام) منصب الامامة ونهض بأعباء قيادة الأُمة سنة (٢٠٣ هـ) بعد شهادة أبيه الإمام الرضا (عليه السلام)، وكان المأمون قد تسنّم منبر الخلافة وقتذاك . وتوفي المأمون سنة (٢١٨ هـ) بالبدندون من اقصى الروم ونقل إلى طوس فدفن فيها(١).

وبذلك يكون الإمام الجواد (عليه السلام) قد قضى خمس عشرة سنة من إمامته التي استمرت سبع عشرة سنة في خلافة المأمون، وهذا يعني أنّ أغلب سنوات إمامته كانت في فترة حكم المأمون .

٢ ـ المعتصم العباسي

المعتصم هو أبو اسحاق محمد بن هارون الرشيد ولد سنة ثمانين ومائة ،كذا قال الذهبي . وقال الصولي : في شعبان سنة ثمان وسبعين .

وأُمه أُم ولد من مولدات الكوفة اسمها ماردة وكانت أحظى الناس عند الرشيد . وكان ذا شجاعة وقوة وهمّة وكان عرياً من العلم ، لقب بالمعتصم وهو ابعد ما يكون من الاعتصام بالله عزوجل .

وكان فاسد الاخلاق له غلام يقال له عجيب وكان مشغوفاً به .

وقد استمر على نهج أخيه في اثارة فتنة خلق القرآن . فسلك ما كان المأمون عليه وختم به عمره من امتحان الناس بخلق القرآن ، فكتب الى البلاد وأمر المعلمين ان يعلّموا الصبيان ذلك وقاسى الناس منه مشقة في ذلك وقتل عليه

---

(١) تاريخ الخلفاء : ٣٣٣ ـ ٣٣٤.

خلقاً من العلماء ، وضرب الإمام أحمد بن حنبل وكان ضربه في سنة عشرين . قيل فجلده حتى غاب عقله وتقطع جلده وقيده وحبسه[١] .

لقد كان المعتصم محدود التفكير ميالاً للقسوة في تعامله مع خصومه السياسيين وغيرهم ، وكان يفتقد كثيراً من مقومات الحنكة السياسية في ادارة شؤون الدولة ، وقد تعرّض حكمه لكثير من صور الاضطرابات السياسية في اقاليم عديدة من الدولة العباسية .[٢]

وقد هيمن الجيش على الحكم في عصره بعد ان مال المعتصم الى اخواله الاتراك وكوّن منهم جيشاً خاصاً ، واغدق عليهم الاموال الطائلة مما اثار حفيظة العسكريين العرب ، واثار النزعة القومية في المجتمع .

وتعتبر سياسة المعتصم هذه اخطر ما واجهته الدولة العباسية في مسيرتها . وقد ساءت الاحوال بعد المعتصم ، واستشرى خطر العسكريين في الدولة وقاموا بالانقلابات العسكرية على الخلفاء الذين حاولوا تقليص سلطاتهم .

المعتصم والطليعة الاسلامية الواعية :

على خلفية الخلاف العقائدي الشديد بين ائمة أهل البيت(عليهم السلام) وشيعتهم المؤمنين من جهة والخلافة العباسية واتباعها من جهة اخرى ، استمر العداء بين الخطين وان اتخذ في كل فترة لوناً أو درجة من الشدة ، ولم يكن المعتصم بمنفصل عن سياسة أسلافه المعادين لأهل البيت(عليهم السلام) وحزبهم .

---

(١) مجلة دراسات وبحوث : ص ٩٤.

(٢) راجع الكامل لابن الاثير : ٥ / ٢٣٢ ـ ٢٦٥ : ثورة الطالقان بقيادة محمد بن القاسم العلوي ، وثورة الزط في البصرة ، وثورة بابك الخرمي ، وتحرك الروم الى زبطرة وغيرها من بلاد الاسلام ، وثورة المبرقع في فلسطين وغيرها .

لقد كاد للاسلام وخطه الصحيح فواجه معارضة شديدة من أهل البيت (عليهم السلام) وشيعتهم وسنتناول الانتفاضات التي انطلقت في عصره خلال فصل قادم.

الإمام الجواد (عليه السلام) والمعتصم:

لم تكن المدة التي قضاها الإمام الجواد (عليه السلام) في خلافة المعتصم طويلة فهي لم تتجاوز السنتين، كان ختامها شهادة الإمام (عليه السلام) على يد النظام المنحرف، وفيما يلي استعراض للعلاقة بين الإمام الجواد (عليه السلام) والمعتصم.

أ ـ استقدام الإمام (عليه السلام) الى بغداد:

لقد خشي المعتصم من بقاء الإمام الجواد (عليه السلام) بعيداً عنه في المدينة، لذلك قرر استدعاءه الى بغداد، حتى يكون على مقربة منه يحصي عليه انفاسه ويراقب حركاته، ولذلك جلبه من المدينة، فورد بغداد لليلتين بقيتا من المحرم سنة عشرين ومائتين، وتوفي بها (عليه السلام) في ذي القعدة من هذه السنة.[1]

لقد كان هذا الاستقدام بمثابة الاقامة الجبرية تتبعه عملية اكبر وهي التصفية الجسدية.

ب ـ اغتيال الإمام الجواد (عليه السلام):

كان وجود الإمام الجواد (عليه السلام) يمثل خطراً على النظام الحاكم لما كان يملكه هذا الإمام من دور فاعل وقيادي للأُمة، لذلك قررت السلطة أن تتخلّص منه مع عدم استبعادها وجود العلاقة بين الإمام القائد والتحركات النهضوية في الأُمة.

---

(١) كشف الغمة: ٢ / ٣٦١.

فقد روى المؤرخون عن زرقان صاحب ابن أبي دؤاد قاضي المعتصم قوله: « رجع ابن أبي دؤاد ذات يوم من عند المعتصم وهو مغتمّ فقلت له في ذلك، فقال وددت اليوم اني قدمت منذ عشرين سنة، قال قلت له: ولم ذاك؟ قال: لما كان من هذا الاسود أبي جعفر محمد بن علي بن موسى اليوم بين يدي أمير المؤمنين، قال: قلت له: وكيف كان ذلك؟ قال: إن سارقاً اقرّ على نفسه بالسرقة، وسأل الخليفة تطهيره بإقامة الحدّ عليه، فجمع لذلك الفقهاء في مجلسه وقد أحضر محمد بن علي فسألناه عن القطع في اي موضع يجب أن يقطع؟ قال: فقلت: من الكرسوع.

قال: وما الحجة في ذلك؟ قال: قلت: لأن اليد هي الاصابع والكفّ الى الكرسوع[1]، لقول الله في التيمم ﴿ فامسحوا بوجوهكم وايديكم ﴾ [2] واتفق معي ذلك قوم.

وقال آخرون: بل يجب القطع من المرفق، قال: وما الدليل على ذلك؟ قالوا: لأن الله لمّا قال: ﴿ وايديكم الى المرافق ﴾ في الغسل دلّ ذلك على ان حدّ اليد هو المرفق.

قال: فالتفت الى محمد بن علي (عليه السلام) فقال: ما تقول في هذا ياأبا جعفر؟ فقال: قد تكلم القوم فيه ياأمير المؤمنين، قال: دعني ممّا تكلموا به! اي شيء عندك؟ قال: اعفني عن هذا ياأمير المؤمنين، قال: اقسمت عليك بالله لمّا اخبرت بما عندك فيه.

فقال: أمّا اذا أقسمت عليّ بالله اني اقول انهم اخطأوا فيه السنّة، فإن القطع يجب ان يكون من مفصل أُصول الاصابع، فيترك الكفّ، قال: وما الحجة

---

(١) الكرسوع: كعصفور: طرف الزند الذي يلي الخنصر الناتئ عند الرسغ.

(٢) المائدة (٥): ٥.

في ذلك ؟ قال : قول رسول الله : **السجود على سبعة أعضاء : الوجه واليدين والركبتين والرجلين ، فإذا قطعت يده من الكرسوع أو المرفق لم يبق له يد يسجد عليها وقال الله تبارك وتعالى : ﴿ وان المساجد لله ﴾[1] يعني بهذه الأعضاء السبعة التي يسجد عليها ﴿ فلا تدعوا مع الله أحداً ﴾ وما كان لله لم يقطع .**

قال : فأعجب المعتصم ذلك وأمر بقطع يد السارق من مفصل الأصابع دون الكف .

قال ابن أبي دؤاد : قامت قيامتي وتمنّيت أني لم أك حيّاً .

قال زرقان : قال ابن أبي دؤاد : صرت الى المعتصم بعد ثالثة ، فقلت : ان نصيحة أمير المؤمنين عليّ واجبة وانا أكلّمه بما أعلم أني ادخل به النار ، قال : وما هو ؟ قلت : اذا جمع أمير المؤمنين في مجلسه فقهاء رعيته وعلماءهم لأمر واقع من اُمور الدين ، فسألهم عن الحكم فيه فأخبروه بما عندهم من الحكم في ذلك ، وقد حضر مجلسه أهل بيته وقوّاده ووزراؤه وكتّابه ، وقد تسامع الناس بذلك من وراء بابه ، ثمّ يترك أقاويلهم كلهم لقول رجل شطر هذه الأمة بامامته ، ويدّعون أنّه أولى منه بمقامه ثم يحكم بحكمه دون حكم الفقهاء ؟

قال : فتغير لونه وانتبه لما نبّهته له ، وقال : جزاك الله عن نصيحتك خيراً .

قال : فأمر اليوم الرابع فلاناً من وزرائه بأن يدعوه [اي الجواد(عليه السلام)] الى منزله فدعاه فأبى ان يجيبه وقال(عليه السلام): **قد علمت اني لا أحضر مجالسكم** ، فقال : إني انما ادعوك الى الطعام واحبّ ان تطأ ثيابي ، وتدخل منزلي فأتبرّك بذلك ، فقد احبّ فلان بن فلان من وزراء الخليفة لقاءك، فصار اليه، فلمّا طعم منها أحس السمّ فدعا بدابته فسأله رب المنزل ان يقيم . قال(عليه السلام) : **خروجي من دارك خير لك** ، فلم يزل

(١) الجن (٧٢): ١٨ .

يومه ذلك وليله في خلفة حتى قبض (عليه السلام) »[1].

لقد كان الإمام الجواد (عليه السلام) يتوقع استشهاده بعد هذا الاستدعاء فقد روي عن اسماعيل بن مهران قوله : «لمّا أُخرج أبو جعفر (عليه السلام) من المدينة إلى بغداد في الدفعة الاولى من خرجتيه قلت له عند خروجه : جُعلت فداك ، إني أخاف عليك من هذا الوجه ، فإلىٰ من الأمر بعدك ؟ قال : فكرّ بوجهه اليّ ضاحكاً وقال : **ليس حيث ظننت في هذه السنة** .

فلمّا استدعي به الى المعتصم صرتُ اليه فقلتُ له : جُعلتُ فداك ، أنت خارجٌ ، فإلىٰ من هذا الأمرُ من بعدك ؟ فبكىٰ حتى اخضلّت لحيته ثم التفتَ اليّ فقال : **عند هذه يُخاف عليّ ، الأمرُ من بعدي الى ابني علي**»[2].

لقد درس المعتصم اكثر السبل التي يستطيع بها ان يصفي الإمام، فاعلية وأقلها ضرراً ، فلم يجد افضل من أم الفضل بنت أخيه المأمون للقيام بهذه المهمّة فهي التي تستطيع ان تقتله بصورة اكيدة دون ان تثير ضجة في الأمة ، مستغلاً نقطتين في شخصيتها، هما :

١ ـ كونها تنتمي للخط الحاكم انتماءً حقيقياً ، فهي بنت المأمون وعمّها المعتصم ، وليست بالمستوىٰ الايماني الذي يجعلها تنفك عن انتمائها النسبي هذا ، لذلك كانت تخضع لتأثيراته وتنفذ ما يريده ضد الإمام .

٢ ـ غيرتها وحقدها على الإمام بسبب تسريه وتزوّجه من نساء أُخريات خصوصاً وانها لم تلد للامام وإنما رزق الإمام من غيرها ولده الهادي (عليه السلام) .

ولقد كان أمر غيرتها شائعاً بين الناس لذلك قال المؤرخون : «وقد روىٰ الناس ان أُم الفضل كتبت الى أبيها من المدينة تشكو أبا جعفر وتقول : انه يتسرى

(١) بحار الانوار : ٥٠ / ٥ ـ ٧.

(٢) الارشاد : ٢ / ٢٩٨ .

علي ويغيرني . فكتب اليها المأمون: يابنيّة انا لم نزوجك أبا جعفر لنحرّم عليه حلالاً ، فلا تعاودي لذكر ما ذكرت بعدها»[١].

ولم تخل هذه الفترة من الاعتداءات الظاهرية على الإمام (عليه السلام) من أذناب السلطة ، ومن ذلك ما فعله عمر بن فرج الرخجي الرجل المعادي لأهل البيت (عليهم السلام) والعامل عند السلطة العباسية . فمثلاً روى المؤرخون عن محمد بن سنان قوله : دخلت على أبي الحسن الهادي(عليه السلام) فقال : **يامحمد حدث بآل فرج حدث ؟** فقلت : مات عمر . فقال: **الحمد لله على ذلك،** أحصيت أربعاً وعشرين مرة، ثم قال: **أو لا تدري ما قال ـ لعنه الله ـ لمحمد بن علي أبي؟** قال: قلت: لا، قال: **خاطبه في شيء، فقال: أظنك سكران، فقال أبي: اللهمّ إن كنت تعلم أني أمسيت لك صائماً فأذقه طعم الحرب وذلّ الأسر. فوالله إن ذهبت الأيام حتى حُرب ماله، وما كان له، ثم أُخذ أسيراً فهو ذا مات»**[٢] .

استشهاد الإمام الجواد (عليه السلام)

تحدثنا عن دوافع المعتصم في اغتيال الإمام الجواد (عليه السلام) وعن اختياره أُم الفضل لتنفيذ الجريمة .

ومما يشير الى أسباب استغلال المعتصم لأُمّ الفضل وكيفية تحريضها على الاقدام على قتل الإمام (عليه السلام) ما روي من شدة غيرتها أيام أبيها وتوريطها لأبيها على ارتكاب جريمة قتل الإمام من قبل المأمون نفسه .[٣]

قال أبو نصر الهمداني: «حدثتني حكيمة بنت محمّد بن عليّ بن موسى بن

---

(١) كشف الغمة : ٢ / ٣٥٨ .

(٢) بحار الأنوار: ٥٠/٦٢ ـ ٦٣ .

(٣) حياة الإمام محمد الجواد (عليه السلام) : ٢٦٤ .

جعفر عمّة أبي محمد الحسن بن علي (عليهما السلام).

قالت : لمّا مات محمّد بن عليّ الرّضا (عليه السلام) أتيت زوجته أُم عيسى[1] بنت المأمون فعزّيتها فوجدتها شديدة الحزن والجزع عليه تقتل نفسها بالبكاء والعويل ، فخفت عليها ان تتصدّع مرارتها فبينما نحن في حديثه وكرمه ووصف خُلقه وما اعطاه الله تعالى من الشّرف والاخلاص ومَنَحَهُ من العزّ والكرامة ، اذ قالت امّ عيسى : الا اخبرك عنه بشيء عجيب وأمر جليل فوق الوصف والمقدار ؟ قلت : وما ذاك ؟

قالت : كنت أغار عليه كثيراً وأراقبه ابداً وربما يسمعني الكلام فاشكو ذلك الى أبي فيقول يابنيّة احتمليه فانّه بضعة من رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، فبينما انا جالسة ذات يوم اذ دخلت عليّ جارية فسلّمت ، فقلت : من انت ؟ فقالت : انا جارية من ولد عمّار بن ياسر وانا زوجة أبي جعفر محمّد بن عليّ الرضا (عليه السلام) زوجك .

فدخلني من الغيرة ما لا اقدر على احتمال ذلك هممت ان اخرج واسيح في البلاد وكاد الشيطان ان يحملني على الإساءة اليها، فكظمت غيظي واحسنت رفدها وكسوتها ، فلمّا خرجت من عندي المرأة نهضت ودخلت على أبي وأخبرته بالخبر وكان سكراناً لا يعقل . فقال : ياغلام عليّ بالسّيف ، فاتى به ، فركب وقال : والله لاقتلنّه فلمّا رايت ذلك قلت : انّا لله وانّا اليه راجعون ، ما صنعت بنفسي وبزوجي وجعلت ألطم حرّ وجهي ، فدخل عليه والدي وما زال يضربه بالسيف حتى قطعه .

ثم خرج من عنده وخرجت هاربة من خلفه فلم ارقد ليلتي فلمّا ارتفع النّهار اتيت أبي فقلت : اتدري ما صنعت البارحة ؟ قال : وما صنعتُ ؟ قلت : قتلتَ ابن

---

(١) أُم عيسى هي كنية أخرى لأم الفضل، واسمها زينب، كما في بعض النصوص .

الرّضا (عليه السلام)، فبرق عينه وغشي عليه ثم افاق بعد حين وقال : ويلك ما تقولين ؟ قلت : نعم والله يا ابه دخلت عليه ولم تزل تضربه بالسّيف حتى قتلته ، فاضطرب من ذلك اضطراباً شديداً وقال : عليّ بياسر الخادم فجاء ياسر .

فنظر اليه المأمون وقال : ويلك ما هذا الّذي تقول هذه ابنتي قال : صدقَتْ ياامير المؤمنين فضرب بيده على صدره وخدّه ، وقال : انّا لله وانّا اليه راجعون هلكنا بالله وعطبنا وافتضحنا الى آخر الابد ويلك ياياسر فانظر ما الخبر والقصة عنه(عليه السلام) ؟ وعجّل عليّ بالخبر فان نفسي تكاد ان تخرج الساعة فخرج ياسر وانا ألطم حرّ وجهي، فماكان ياسر من ان رجع ، فقال : البشرى ياامير المؤمنين . قال : لك البشرى فما عندك ؟

قال ياسر : دخلت عليه فاذا هو جالس وعليه قميص ودواج وهو يستاك فسلّمت عليه وقلت : يابن رسول الله أُحبّ أن تهب لي قميصك هذا اصلّي فيه واتبرك به ، وانما اردت ان انظر اليه والى جسده هل به اثر السّيف فوالله كأنّه العاج الّذي مسّه صفرة ما به اثر . فبكى المأمون طويلاً وقال : ما بقى مع هذا شيء إنّ هذا لعبرة للأوّلين والآخرين .

وقال : ياياسر امّا ركوبي اليه واخذي السّيف ودخولي عليه فاني ذاكر له وخروجي عنه فلست اذكر شيئاً غيره ولا اذكر ايضاً انصرافي الى مجلسي فكيف كان امري وذهابي اليه ، لعن الله هذه الابنة لعناً وبيلاً، تقدّم اليها وقل لها يقول لك ابوك والله لئن جئتني بعد هذا اليوم شكوت او خرجت بغير اذنه لانتقمنّ له منك .

ثم سر الى ابن الرّضا وابلغه عني السّلام واحمل اليه عشرين الف دينار وقدّم اليه الشهري الّذي ركبته البارحة ، ثم أمر بعد ذلك الهاشميّين ان يدخلوا عليه بالسّلام ويسلّموا عليه . قال ياسر : فأمرت لهم بذلك ودخلت انا ايضاً معهم وسلّمت عليه وابلغت التّسليم ووضعت المال بين يديه وعرضت الشّهري عليه فنظر اليه ساعة ثم تبسّم .

فقال(عليه السلام) : ياياسر هكذا كان العهد بيننا وبينه حتّى يهجم علي ، اما علم ان لي ناصراً وحاجزاً يحجز بيني وبينه . فقلت : ياسيّدي يابن رسول الله دع عنك هذا العتاب واصفح ، والله وحق جدّك رسول الله (صلى الله عليه وآله) ماكان يعقل شيئاً من امره وما علم اين هو من ارض الله وقد نذر لله نذراً صادقاً وحلف ان لا يسكر بعد ذلك ابداً ، فان ذلك من حبائل الشيطان ، فاذا انت يابن رسول الله اتيته فلا تذكر له شيئاً ولا تعاتبه على ماكان منه .

فقال (عليه السلام) : هكذا كان عزمي ورأيي والله ، ثم دعا بثيابه ولبس ونهض وقام معه الناس اجمعون حتى دخل على المأمون فلمّا رآه قام اليه وضمّه الى صدره ورحّب به ولم يأذن لأحد في الدخول عليه ولم يزل يحدّثه ويستأمره ، فلمّا انقضى ذلك قال أبو جعفر محمّد بن علي الرّضا (عليه السلام) : «يا أمير المؤمنين» ، قال : لبيّك وسعديك . قال : «لك عندي نصيحة فاقبلها» .

قال المأمون : بالحمد والشكر فما ذاك يابن رسول الله؟

قال(عليه السلام): احبّ لك ان لا تخرج باللّيل فاني لا آمن عليك من هذا الخلق المنكوس وعندي عقد تحصّن به نفسك وتحرّز به من الشرور والبلايا والمكاره والآفات والعاهات ، كما انقذني الله منك البارحة ولو لقيت به جيوش الرّوم والتّرك واجتمع عليك وعلى غلبتك اهل الأرض جميعاً ماتهيّأ لهم منك شيء بإذن الله الجبّار . وان احببت بعثت به اليك لتحترز به من جميع ما ذكرت لك . قال : نعم ، فاكتب ذلك بخطّك وابعثه اليّ ، قال : نعم .

قال ياسر : فلمّا اصبح أبو جعفر (عليه السلام) بعث اليّ فدعاني فلمّا صرت اليه وجلست بين يديه دعا برقّ ظبي من ارض تهامة ثم كتب بخطّه هذا العقد .

ثم قال(عليه السلام) : ياياسر احمل هذا الى امير المومنين وقل له : حتى يصاغ له قصبة من فضّة منقوش عليها ما اذكره بعده فإذا اراد شدّه على عضده فليشدّه على عضده الأيمن وليتوضّأ وضوءاً حسناً سابغاً وليصل اربع ركعات يقرأ في كلّ ركعة: فاتحة الكتاب مرّة وسبع مرّات: آية الكرسي وسبع مرات: شهد الله وسبع مرّات والشمس وضحاها وسبع

مرّات: والليل اذا يغشى وسبع مرّات: قل هو الله احد.

فاذا فرغ منها فليشدّه على عضده الايمن عند الشدائد والنوائب يسلم بحول الله وقوته من كلّ شيء يخافه ويحذره وينبغي ان لا يكون طلوع القمر في برج العقرب ولو انه غزى اهل الرّوم وملكهم لغلبهم باذن الله وبركة هذا الحرز.

وروي انه لمّا سمع المأمون من أبي جعفر في أمر هذا الحرز هذه الصفات كلّها غزا اهل الرّوم فنصره الله تعالى عليهم ومنح منهم من المغنم ما شاء الله ولم يفارق هذا الحرز عند كلّ غزاة ومحاربة وكان ينصره الله عزوجلّ بفضله ويرزقه الفتح بمشيّته انّه وليّ ذلك بحوله وقوته ».[1]

ويقول المؤرخون إن أُم الفضل ارتكبت جريمتها بحقّ الإمام الجواد (عليه السلام) عندما سقته السمّ.

فقد روي: « أنّ المعتصم جعل يعمل الحيلة في قتل أبي جعفر (عليه السلام) وأشار على ابنة المأمون زوجته بأن تسمّه لأنّه وقف على انحرافها عن أبي جعفر (عليه السلام) وشدّة غيرتها عليه... فأجابته الى ذلك وجعلت سمّاً في عنب رازقي ووضعته بين يديه، فلمّا أكل منه ندمت وجعلت تبكي فقال: **ما بكاؤك؟ والله ليضربنّك الله بفقر لا ينجبر، وبلاء لا ينستر**، فماتت بعلّة في اغمض المواضع من جوارحها، صارت ناصوراً فانفقت مالها وجميع ما ملكته على تلك العلّة، حتى احتاجت الى الاسترفاد»[2].

وأثّر السمّ في الإمام تأثيراً شديداً حتى لفظ انفاسه الاخيرة ولسانه يلهج بذكر الله تعالى، وقد انطفأت باستشهاده شعلة مشرقة من الامامة والقيادة المعصومة في الاسلام.

لقد استشهد الإمام الجواد (عليه السلام) على يد طاغية زمانه المعتصم العباسي وقد

---

(١) بحار الأنوار: ٥٠ / ٦٢ ـ ٦٣.

(٢) بحار الانوار: ٥٠ / ١٧.

انطوت بموته صفحة من صفحات الرسالة الاسلامية التي اضاءت الفكر ورفعت منار العلم والفضيلة في الأرض.

تجهيزه ودفنه :

وجُهّز بدن الإمام (عليه السلام) فغسّل وأُدرج في اكفانه، وبادر الواثق والمعتصم فصليا عليه [1]، وحمل الجثمان العظيم الى مقابر قريش، وقد احتفت به الجماهير الحاشدة، فكان يوماً لم تشهد بغداد مثله فقد ازدحمت عشرات الآلاف في مواكب حزينة وهي تردد فضل الإمام وتندبه، وتذكر الخسارة العظمى التي مني بها المسلمون في فقدهم للامام الجواد (عليه السلام) وحفر للجثمان الطاهر قبر ملاصق لقبر جده العظيم الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) فواروه فيه وقد واروا معه القيم الانسانية، وكل ما يعتز به الانسان من المثل الكريمة[2].

عن أبي جعفر المشهدي باسناده عن محمد بن رضيّة عن مؤدّب لأبي الحسن[الهادي(عليه السلام)]، قال: «انه كان بين يدي يوماً يقرأ في اللوح اذ رمى اللوح من يده وقام فزعاً وهو يقول: **انا لله وانا اليه راجعون مضى والله أبي (عليه السلام) فقلت**: من اين علمت هذا؟ فقال(عليه السلام): **من اجلال الله وعظمته شيء لا أعهده**.

فقلت: وقد مضى، قال: **دع عنك هذا ائذن لي ان ادخل البيت واخرج اليك واستعرضني بآي القرآن ان شئت اقل لك بحفظ**، فدخل البيت فقمت ودخلت في طلبه اشفاقاً مني عليه وسألت عنه فقيل دخل هذا البيت وردّ الباب دونه وقال لي: لا تؤذن عليّ أحداً حتى أخرج عليكم.

---

(١) ان الصلاة من قبل المعتصم والواثق على الإمام (عليه السلام) إنما هو للتعتيم الإعلامي على قتل الإمام (عليه السلام) والمعروف ان المعصوم (عليه السلام) يقوم بتجهيز المعصوم والصلاة عليه. فلا مانع من حضور الإمام الهادي(عليه السلام) عند تجهيز أبيه الجواد (عليه السلام). راجع النص من الإمام الهادي على حضوره تغسيل وصلاة ودفن أبيه في مسند الإمام محمد الجواد (عليه السلام): ١٢٥ـ ١٢٦.

(٢) حياة الإمام محمد الجواد (عليه السلام): ٢٦٣.

فخرج(عليه السلام) الي متغيّراً وهو يقول : انا لله وانا اليه راجعون مضى والله أبي، فقلت : جعلت فداك، قد مضى فقال : نعم وتوليت غسله وتكفينه وماكان ذلك ليلي منه غيري ثم قال لي: دع عنك واستعرضني آي القرآن ان شئت أفسر لك تحفظه» فقلت : الاعراف . فاستعاذ بالله من الشيطان الرجيم ثم قرأ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم * واذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلّة وظنوا انه واقع بهم ﴾[1].

عمره وتاريخ استشهاده

اما عمر الإمام الجواد(عليه السلام) حين قضى نحبه مسموماً فكان خمساً وعشرين سنة [2] على ما هو المعروف، وهو أصغر الائمة الطاهرين الاثني عشر(عليهم السلام) سناً ، وقد أمضى حياته في سبيل عزة الاسلام والمسلمين ودعوة الناس الى رحاب التوحيد والايمان والتقوى .

واستشهد الإمام الجواد (عليه السلام) سنة (٢٢٠ هـ) يوم الثلاثاء لخمس خلون من ذي القعدة ، وقيل: لخمس ليال بقين من ذي الحجة وقيل: لست ليال خلون من ذي الحجة، وقيل: في آخر ذي القعدة [3] .

فسلام عليه يوم ولد ويوم تقلّد الإمامة وجاهد في سبيل ربّه صابراً محتسباً ويوم استشهد ويوم يبعث حيّاً.

---

(١) الثاقب : ٢٠٤ .

(٢) حياة الإمام محمد الجواد (عليه السلام): ٢٦٤ .

(٣) الكافي : ١ / ٤٩٧ / ١٢ ، اعلام الورى عن ابن عياش ، التهذيب : ٦ / ٩٠ .

الفصل الثالث

متطلّبات عصر الإمام الجواد (عليه السلام)

بعد أن وقفنا في الفصلين السابقين على ملامح عصر الإمام الجواد (عليه السلام) وطبيعة تعامل الحكّام مع الإمام (عليه السلام) وخطّه الرسالي والجماعة الصالحة التي تقف الى جانب الإمام الحق الذي تمثّل مسيرته خطّ الهداية الربّانية للبشرية.. لابدّ أن نقف في هذا الفصل على مجمل متطلّبات عصر الإمام الجواد (عليه السلام) الخاص بظروفه ومستجداته الثقافية والسياسية والاجتماعية من خلال مجموعة المهام الرسالية التي جُعلت في الشريعة الإسلامية على عاتق أهل البيت (عليهم السلام) بشكل عام وعلى عاتق (التاسع منهم) الإمام الجواد بشكل خاص.

وذلك لأن أهل البيت (عليهم السلام) هم أهل بيت النبوّة والرسالة الذين ربّاهم الرسول (صلى الله عليه وآله) بيديه الكريمتين وجعلهم الدرع الحصينة التي تقي الرسالة من أن يتلاعب بها الحكّام ووعّاظ السلاطين بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله)، كما أنها تقي الأُمة الإسلامية من السقوط والتردّي الى المهوى السحيق، بعد أن أصبحت الأُمة الإسلامية هي الأُمة الحية التي لابدّ لها أن تحمل مشعل الحضارة الإسلامية والربّانية الى العالم أجمع، وقد مُنيت بصدمة كبيرة تمثّلت في الانحراف الذي طال القيادة السياسية والذي أخذ يستشري في سائر مجالات الحياة الإسلامية.

والإمام الجواد(عليه السلام) في عصره الخاص أمام مجموعة من الإنجازات التي حققها آباؤه الطاهرون في هذين الحقلين المهمّين، كما أنّه أمام مستجدات ومتغيّرات في الوضع السياسي والاجتماعي والديني بعد أن سمحت الدولة الإسلامية للتيارات المنحرفة لتعمل بحرّية في الساحة الإسلامية وذلك لأن الحكام المنحرفين قد استهدفوا إضعاف جبهة أهل البيت الرسالية دون مواجهة علنية سافرة.

والإمام الجواد(عليه السلام) لابدّ أن يوازن ويوائم بين المهامّ والمسؤوليات الرسالية من جهة، والامكانات وما يمكن تحقيقه في هذا الظرف الخاص من جهة اُخرى للاقتراب من الأهداف الكبرى والنهائية التي رسمتها له الشريعة وصاحبها وجعلت منه قيّماً رسالياً وقائداً ربّانياً قد نذر نفسه لله تعالى ولرسالته الخالدة.

من هنا يتّضح لنا ما يتطلبه العصر الخاص بالإمام الجواد(عليه السلام) وما ينبغي أن يقوم به من دور فاعل في الساحة الإسلامية وما يحققه من انجازات خاصة بالجماعة الصالحة.

إذاً نقسّم البحث عن هذه المتطلّبات الى بحثين أساسيّين:

الأوّل: متطلّبات الساحة الإسلامية العامة.

الثاني: متطلّبات الجماعة الصالحة.

أما متطلّبات الساحة الإسلامية العامّة فتتلخّص فيما يلي:

١ ـ إثبات جدارة خط أهل البيت(عليهم السلام) للقيادة الرسالية لجمهور المسلمين وجدارة الإمام الجواد(عليه السلام) بشكل خاص لمنصب القيادة الربّانية.

٢ ـ الردّ على محاولات التسقيط والاستفزاز التي كان يقوم بها الخطّ الحاكم ضد أهل البيت(عليهم السلام) وأتباعهم.

٣ ـ التمهيد العام لدولة الحق المرتقبة رغم محاولات السلطة للقضاء على قضية الإمام المهدي(عليه السلام) بأشكال شتى.

٤ ـ مواجهة الانحرافات والبدع والتيارات المنحرفة في الساحة الإسلامية.

٥ ـ التوجّه الى هموم أبناء الأُمة الإسلامية .

وأما متطلّبات الخط الرسالي والجماعة الصالحة فهي كما يلي:

١ ـ تجسيد ظاهرة الإمامة المبكّرة، من خلال تخطي القوانين الطبيعية .

٢ ـ تعميق البناء الثقافي والروحي والتربوي للجماعة الصالحة .

٣ ـ إحكام تنظيم الجماعة الصالحة واعدادها لدور الغيبة الطويلة.

٤ ـ التمهيد لإمامة الهادي المبكّرة رغم الظروف الحرجة.

٥ ـ التمهيد للإمام الغائب المنتظر بما يتناسب مع حراجة الظرف والاعداد الفكري والروحي لعصر الغيبة المرتقب إعداداً يتناسب مع صعوبات الظرف الخاص.

وسوف نقدم البحث عن متطلّبات الساحة الإسلامية العامة في هذا الفصل، ونرجئ البحث عن متطلبات الجماعة الصالحة الى فصول لاحقة ان شاء الله تعالى.

الباب الرابع

فيه فصول:

الفصل الأول:

الإمام الجواد (عليه السلام) ومتطلبات الساحة الإسلامية العامة

الفصل الثاني:

الإمام الجواد (عليه السلام) ومتطلبات الجماعة الصالحة

الفصل الثالث:

مدرسة الإمام محمّد الجواد (عليه السلام) وتراثه

الفصل الأول

الإمام الجواد (عليه السلام) و متطلّبات الساحة الإسلامية العامّة

١ ـ أهل البيت (عليهم السلام) والقيادة الرسالية

لم يستطع المأمون العبّاسي أن يحقق نواياه الخفية في تسقيط شخصية الإمام الرضا (عليه السلام) واخراجها من القلوب العامرة بحب أهل البيت (عليهم السلام)، لأنّ الإمام الرضا (عليه السلام) استطاع أن يخترق العقول والنفوس على مستوى اجتماعي عام، فتلألأت شخصيته العملية وتجلّت ذاته السامية للقريب والبعيد.

ولم يجد المأمون لنفسه طريقاً إلّا أن يتخلّص من تواجد الإمام وحضوره الفاعل في الساحة الإسلامية من خلال تصفيته الجسديّة؛ لأن ترك الإمام ليرجع الى المدينة بعدما طار صيته وتلألأت شخصيته سوف يطيح بعرش المأمون والعباسيين بسرعة، وبقاؤه في عاصمة الخلافة لم يكن بأقل تأثيراً من إبعاده الى المدينة من حيث الآثار السلبية على عرش المأمون والآثار الايجابية لصالح خط الإمام الرسالي.

والنقطة الثانية التي جدّ فيها العباسيون بشكل عام وتجلّت في سلوك المأمون السياسي بشكل خاص هي قلقهم من قضية الإمام المهدي الموعود والمنتظر الذي قد وعد الله به الأُمم ليرأب به الصدع ويلمّ به الشعث ويقضي به على أعمدة الجور والطغيان، فالخطر الذي قد أنذر به الرسول (صلى الله عليه وآله) الحكّام الطغاة

وبشّر به المؤمنين والمستضعفين بدأ يقترب منهم، لما أفصح به النبي(صلى الله عليه وآله) من بيان نسب الإمام المهدي(عليه السلام) وموقعه القيادي حين نصّ على أنه التاسع من ولد الحسين(عليه السلام) حتى ذكر اسمه واسم أبيه ومجموعة من صفاته وخصائصه وعلائمه.

ومثل هذا الإخبار من النبي(صلى الله عليه وآله) لا يدع الظالمين في راحة واطمئنان؛ لأن الرسول(صلى الله عليه وآله) مرتبط بالوحي ومسدّد من السماء، ولا تكون إخباراته سُدىً.

ومثل هذا الإخبار من منجّم عادي أومحترف يكفي لزعزعة الاستقرار النفسي الذي يبحث عنه الحكّام الظالمون فكيف وهم يسمعون هذا الإخبار من نبي مرسل يدّعون الانتساب إليه؟!

ولا سيّما وهم يبحثون عن كلّ شيء لإحكام ملكهم ويحسبون لما يزعزعه ألف حساب، فكيف لا يتهيؤون لدرء الخطر الداهم ؟

والعدد الذي ذكره النبي(صلى الله عليه وآله) لأهل بيته الطاهرين المسؤولين عن حمل مشعل الرسالة عدد مضبوط محدود، فهم اثنا عشر خليفة كلّهم من قريش ومن بني هاشم وهم علي بن أبي طالب(عليه السلام) وأحد عشر من ولده الأبرار الأطهار.

وهاهو الرضا(عليه السلام) كان الثامن من الاثني عشر المنصوص علهيم من قبل الرسول(صلى الله عليه وآله) وهو الخامس من ولد الحسين(عليه السلام) فضلاً عن النصوص عليهم من سائر الأئمة الطاهرين.

ولا نستبعد وجود عناصر مرتبطة بالجهاز الحاكم كانت تحاول اختراق الجماعة الصالحة الّتي حرصت على حفظ تراث أهل البيت(عليهم السلام) وعلومهم الربّانية والّتي استودعوها اسرارهم، وهي الأسرار التي لا يتحملها إلّا مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان.

والحكّام العباسيّون إن لم يستطيعوا السيطرة على الجماعة الصالحة فلا أقل من اختراقها والحصول على المعلومات التي تخدمهم للتعرّف على الخط المناوئ لهم.

ومع شعورهم بقرب ولادة المهدي(عليه السلام) مع جهلهم بزمان ولادته وظهوره، لابد وأنهم يحاولون صد أهل البيت(عليهم السلام) من انجاب الإمام المهدي(عليه السلام) قبل كل شيء كما حدث لفرعون مع موسى النبي(عليه السلام).

ومن أجل تحقيق هذه المهمة والحيلولة دون ولادة من يقلقهم ذكره ووجوده شدّدوا المراقبة على أهل البيت(عليهم السلام) ودخلوا الى أعماق حياتهم الشخصية فجعلوا الرقيب الخاص على تصرّفاتهم كما يبدو من إصرار المأمون لتزويج ابنته أُم الفضل من الإمام الجواد(عليه السلام) بل حدّدوهم حتى من حيث الزواج والانجاب ، ويشهد لذلك قلّة عدد أبناء الأئمة(عليهم السلام) بعد الإمام الرضا(عليه السلام) بشكل ملفت للنظر ،إذا ما قسناهم مع من سبق الإمام الرضا(عليه السلام) من الأئمة من حيث الأبناء والأزواج.

كما حاولوا طرح البديل عن الإمام المهدي المنتظر للأُمة الإسلامية بتسمية بعض أبنائهم بالمهدي والمهتدي تمويهاً وتغريراً لعامّة الناس بأنهم هم المقصودون بهذه النصوص النبوية. ولكنّ حبل الكذب قصير والحقيقة لابدّ أن تنجلي والطغاة لا يستطيعون أن يتظاهروا بمظهر الحق على مدى طويل فلا يطول التظاهر منهم ماداموا غير متلبسين حقيقةً بلباس الحق ومادامت شخصيتهم لم تنشأ في بيئة طاهرة تتّسم بالحق وبالقيم الربّانية الفريدة.

ومن هنا نجد أن هذا التمويه لم يستطيع أن يحقق الغرض الذي من أجله ارتكبوه وهو التغطية على حقيقة المهدي المنتظر(عليه السلام) .

وتبقى الخطوة الأخيرة الممكنة لهم وهي أنهم إن لم يستطيعوا أن يحولوا بين أهل البيت(عليهم السلام) وبين انجاب الإمام المهدي(عليه السلام) ولا التمويه على جمهور المسلمين فعليهم أن يكتشفوه، أي أنّ عليهم أن يترصّدوا ولادته ليقضوا عليه ويريحوا أنفسهم من هذا الكابوس الذي يُخيّم عليهم وهو كابوس المهدي المنتقم الذي يزعزع عروش الطغاة لا محالة.

نعم لا ضرورة للاعتقاد البات من قبل الخلفاء بهذه الحقيقة بل يكفي لديهم احتمالها ليبادروا لاتخاذ الاجراءات الصارمة أمام الخطر الداهم أو المحتمل الذي قد يحدق بهم عن قريب .

وهكذا كانت الساحة السياسية العامّة من جهة والحاجة العامة للمسلمين تتطلب بقاء الأمل كبيراً بانجلاء غياهب الجور والطغيان على يدي الإمام القائم بالسيف من أهل بيت النبوّة والذي بشّر به الرسول(صلى الله عليه وآله) وأهل بيته الطاهرون.

وكان من الضروري استمرار شعلة هذا الأمل والحيلولة دون انطفائها لأنها تهزّ عروش الظالمين والمستكبرين وتسلب الأمان والحياة الرغيدة منهم إن هذه المفردة حاجة واقعية للأمّة ومهمّة رسالية لأهل البيت(عليهم السلام) الذين لم تسمح لهم الظروف بالقيام بدور الإمام المهدي(عليه السلام) المرتقب، غير أنهم يستطيعون التمهيد لولادته ومن ثم بقائه حيّاً ليدبّر شؤون المسلمين من وراء ستار كيما تتهيأ له ظروف الثورة المباركة التي بشّر بها القرآن الكريم وأيّدتها نصوص الرسول العظيم.

وفي مقابل هذه الحاجة العامّة نجد محاولات العباسيين للحيلولة دون ولادة القائم المهدي من آل محمد(صلى الله عليه وآله) أصبحت جادّة وقوية وسريعة، لأن الخطر بدأ يقترب منهم. فالإمام الجواد ومن سيأتي بعده من الأئمة(عليهم السلام) بين مهمّتين: مهمّة حفظ الأمل الكبير واستمرار شعلته، ومهمّة التعتيم على السلطة تجاه ولادة المهدي(عليه السلام) والحيلولة بينهم وبين الاقتراب من المهدي(عليه السلام) لئلا تناله أيديهم الأثيمة ولئلا يصادروا آخر قيادة ربّانية قد نذرت نفسها لله لتحمل لواء الحق وراية الإسلام المحمدي وتحقق كل آمال الأنبياء على مدى القرون والأعصار، كما صادروا قيادة آبائه من قبل وأحكموا الحصار على من تبقّى منهم.

وقد استطاع الأئمة من أهل البيت(عليهم السلام) فضح الحكّام المنحرفين من خلال سيرتهم المباركة التي شكّلت تحدّياً عملياً و علمياً وأخلاقياً صارخاً فاتّضحت

للأُمة جملة من الفواصل الكبيرة بين الخط الحاكم والخط الذي ينبغي له أن يتولّى شؤون الحكم والزعامة الإسلامية.

والأُمة لازالت بحاجة للتعرّف على مزيد من الفواصل المعنوية بين الخطّين، كما أنها لابدّ أن تقف على حقيقة الأقنعة الزائفة التي يقبع تحتها الحكّام الظالمون.

واستطاع المأمون أن يقترب من الإمام الجواد(عليه السلام) ويتقرّب منه شيئاً ما بتقريبه له وتزويجه لابنته لترصد تحركات الإمام ولتستطيع أن تمنعه من الانجاب منها[1] وممّن سواها، إذا كان ذلك مقصوداً للمأمون تحقيقاً لجملة من الأهداف التي لاحظناها في هذا البحث.

واستمرّ الحكّام من بعده على نفس هذا المنهج الدقيق لأنّهم لا يرون بديلاً له بعد ما فضح المأمون نفسه باغتيال الإمام الرضا(عليه السلام) حيث تخلّص من رقيب كبير كان يهدد ملكه ولكنه قد أُبتلي برقيب جديد يفوقه في التحدي وارغام أُنوف الظالمين.

ومن هنا كانت ظروف الإمام الجواد(عليه السلام) لا سيما وهو في التاسعة من سني عمره، تشكل سؤالاً أسياسياً للمأمون أوّلاً ولعامة الناس ثانياً، ولبعض شيعة أهل البيت ثالثاً، والسؤال هو مدى جدارة هذا الصبي للقيام بمهمة الإمامة والقيادة الربانية المفترضة الطاعة التي لابد لها أن تخترق كل الحجب السياسية والاجتماعية الموجودة.

وهكذا كان الإمام الجواد(عليه السلام) حين تسلّمه زمام القيادة الرسالية أمام تساؤل كبير قد طرح نفسه لأوّل مرة على مستويات ثلاثة، ولابدّ للإمام الجواد(عليه السلام) من

---

(١) إذا كان الإنجاب مقصوداً للمأمون فاحتواء ابن الإمام من قبل العباسيين يكون أمراً ممكناً بل متوقعاً وإذا لم يكن الانجاب مطلوباً لهم فسوف تكون مهمة أبنة المأمون الحيلولة دون إنجاب الإمام(عليه السلام) من طرفها وممّن سواها كما تلاحظ ذلك في غيرتها وشكايتها لأبيها من الإمام الجواد الذي كان من الطبيعي في ذلك المجتمع أن يتزوج من أمة من الإماء بالرغم من وجود زوجة عنده مثل ابنة المأمون.

أن يثبت جدارته للجميع، وإن كان ذلك يكلّفه حياته فيما بعد؛ لأن بقاء هذا الخط الربّاني وإثبات حقّانية خط أهل البيت ورسالته الربانية هما فوق كل شيء. ومن هنا كان لابدّ للإمام الجواد(عليه السلام) أن يتصدّى للردّ على كل هذه الأسئلة ويتحدّى كل القوى السياسية والعلمية التي تنطوي عليها الساحة الإسلامية ليتسنى له القيام بسائر مهامّه الرسالية الأُخرى في الحقلين العام والخاص معاً.

إذاً فقد كان إثبات الإمامة على المستويين العام والخاص أُولى مهام الإمام الرسالية في مرحلته التي عاشها بعد استشهاد أبيه الإمام الرضا (عليه السلام) الذي كان قد نصّ عليه وعرّفه لأصحابه واتباعه ؛ لأنّ الإمام الرضا(عليه السلام) كان قد عاصر خطط المأمون وعرف عن كثب اهدافه الخفية من أُطروحة ولاية العهد الخبيثة والتي استطاع الإمام أن يستثمرها لصالح الإسلام رغم قصر الفترة الزمنية ورغم ما كلّفته من حياته الغالية والتي قدمها رخيصة في ذات الله تعالى.

وتأتي إجابات الإمام الجواد(عليه السلام) في المجالس العامة للخلفاء على الأسئلة الموجّهة اليه خطوة موفّقة لإثبات أحقيّة خط أهل البيت(عليهم السلام) الرسالي وإثبات امامة محمد الجواد(عليه السلام) وجدارته العلمية وشخصيته القيادية لعامّة المسلمين إتماماً للحجة عليهم وعلى الخلفاء والعلماء المحيطين بهم.

وهي في نفس الوقت تشكّل تحدّياً عملياً للخلفاء وعلمائهم الذين كانوا يشكّلون الرصيد العلمي والخلفية الثقافية والشرعية في منظار مجموعة من أبناء المجتمع الذين نشأوا في مجتمع منحرف عن خط الرسالة المحمدية الأصيلة ممّن اغترّوا بالمظاهر والشعارات ولم ينفذوا بعقولهم الى عمق الأحداث والتيارات المتحكّمة في المجتمع الإسلامي آنذاك.

كما أنها كانت ردّاً على محاولات التسقيط والاستفزاز التي كان يستهدفها الحكّام بالنسبة لأهل البيت(عليهم السلام) الذين كانوا يشكّلون المعارضة الصامتة والخطّ المخالف للخلفاء المستبدين بالأمر والمتربّعين على كرسيّ الحكم دون إذن ونصّ الهي، كما هي عقيدة أهل البيت(عليهم السلام) بالنسبة للإمامة حيث إن الإمام(عليه السلام) لابد أن يكون معصوماً ومنصوصاً عليه من الله تعالى ورسوله .

٢ ـ الساحة الإسلامية وظاهرة الإمامة المبكّرة في مدرسة أهل البيت(عليهم السلام)

يشكّل وجود الإمام الجواد (عليه السلام) ـ كما أشرنا ـ برهاناً على صحة عقيدة أهل البيت (عليهم السلام) في الإمامة.

وذلك لأن ظاهرة تولّي شخص في سنّ الطفولة لمنصب الإمامة وما رافقها من شؤون تستطيع أن تقدم لنا دليلاً قاطعاً على سلامة هذه العقيدة التي يتميز بها مذهب أهل البيت (عليهم السلام) عمّا سواه من المذاهب في قضية الإمامة باعتبارها منصباً ربّانياً لا يكون على اساس الانتخاب والترشيح البشري وإنما يكون على أساس التعيين والنصب الإلهي لشخص تجتمع في وجوده كل عناصر الكفاءة والقدرة الحقيقية لإدارة هذا المنصب الربّاني من قيادة فكرية علمية ودينية وعملية للمؤمنين بإمامته بل للمسلمين جميعاً.

لقد أجمع المؤرخون على أن الإمام الجواد (عليه السلام) قد توفي أبوه (عليه السلام) وعمره لا يزيد على سبع سنين، وتولّى منصب الإمامة بعد أبيه وهو في هذه السن من سنيّ الطفولة بحسب ظاهر الحال.

وهذه الظاهرة هي أوّل ظاهرة من نوعها في حياة أئمة أهل البيت (عليهم السلام).

ولو درسنا هذه الظاهرة على اساس المعايير الإلهية من جانب والوقائع التاريخية، لوجدناها كافية لوحدها للاقتناع بحقّانية مدرسة الإمام الجواد وخط أهل البيت (عليهم السلام) الذي كان يمثّله الإمام الجواد (عليه السلام).

إذ كيف يمكن أن نفترض فرضاً آخر غير فرض الإمامة الواقعية الربّانية في شخص لا يزيد عمره عن سبع سنين ويقوم فعلاً بقيادة وهداية هذه الطائفة في كل المجالات الروحية والفكرية والدينية الفقهية وغير الفقهية.

والفروض الأُخرىٰ التي لا يمكن افتراضها وقبولها هنا هي كما يلي:

الفرض الأول : أن الطائفة الشيعية التي آمنت بإمامة هذا الشخص لم ينكشف لديها بوضوح أن هذا المدعي للإمامة هو صبي .

وهذا الفرض غير صحيح لأن زعامة الإمام من أهل البيت (عليهم السلام) لم تكن زعامة محاطة بالشرطة والجيش وابّهة الملك والسلطان بحيث يحجب الزعيم عن رعيّته .

ولم تكن زعامة دعوة سرّية من قبيل الدعوات الصوفية وغيرها من الدعوات الباطنية كالفاطمية التي تحجب بين القمة والقاعدة بها .

إن الإمام الجواد مثل غيره من أئمة أهل البيت (عليهم السلام) كان مكشوفاً أمام الطائفة وكانت الطائفة بكل طبقاتها تتفاعل معه مباشرة في مسائلها الدينية وفي قضاياها الروحية والأخلاقية .

إن الإمام الجواد (عليه السلام) نفسه كان قد أصرّ على المأمون حينما استقدمه إلى بغداد في أن يسمح له بالرجوع إلى المدينة وسمح له بالرجوع الى المدينة فرجع وقضى بقية عمره أو اكثر عمره فيها .

وهكذا بقي الإمام الجواد (عليه السلام) مكشوفاً أمام مختلف طبقات المسلمين بما فيهم الشيعة المؤمنون بزعامته وإمامته .

فافتراض أنه لم يكن مكشوفاً أمام شيعته بالخصوص خلاف طبيعة العلاقة التي اُنشئت منذ البداية بين أئمة أهل البيت (عليهم السلام) وقواعدهم الشعبية هذا أوّلاً .

وثانياً أن الإمام الجواد (عليه السلام) كان قد سُلّطت عليه أضواء خاصة من قبل الخليفة العباسي كما لاحظنا في القصة المعروفة عن تزويجه بأمّ الفضل، وهكذا رصد العباسيين له(عليه السلام) للرد على موقف المأمون منه، وهو شاهد آخر على بطلان احتمال عدم انكشافه أمام المسلمين .

الفرض الثاني : ان المستوى الفكري والعلمي للطائفة الشيعية التي آمنت بالإمام (عليه السلام) وقتئذٍ لم يكن بالمستوى المطلوب الذي تستطيع من خلاله أن تميّز الخطأ من الصواب في مجال الإيمان بإمامة طفل يدّعي الإمامة وهو ليس بإمام.

وهذا الافتراض أيضاً مما يكذّبه الواقع التأريخي لهذه الطائفة مع ما وصلت إليه من مستوى علميّ وفقهيّ.

فإنّ هذه الطائفة قد تربت على أيدي الإمام الباقر والصادق (عليهما السلام) وكان فيها اكبر مدرسة للفكر الاسلامي في العالم الإسلامي على الإطلاق وهذه المدرسة تتكوّن من جيلين متعاقبين: جيل تلامذة الإمام الصادق والكاظم (عليهما السلام)، وجيل تلامذة تلامذتهم.

وكان هذان الجيلان على رأس هذه الطائفة متميزين في ميادين الفقه والتفسير والكلام والحديث والأخلاق بل كل جوانب المعرفة الإسلامية.

إذاً فالمستوى الفكري والعلمي لهذه الطائفة ما كان ليمكن أن يُمرّر عليه مثل هذا الاعتقاد ما لم يكن له رصيد واقعي ودليل منطقي ومعقول ومُلزم لمعتنقيه بالايمان بهذه الإمامة المبكّرة التي تشكل تحدّياً لكل الظروف والواقع المعاش الذي لا يستفيد معتنقيه من الايمان به غير التحديد والضغط والمطاردة والقتل والتهديد.

وإن أمكن لشخصٍ أن يتصوّر أنّ رجلاً عالماً كبيراً مُحيطاً مطّلعاً بلغ الخمسين أو الستّين يستطيع أن يقنع مجموعة من الناس بإمامته وهو ليس بإمام لمجرد أنه يتصف بدرجة كبيرة من العلم والمعرفة والذكاء والاطلاع فليس بالإمكان أن نفترض ذلك في شخص لم يبلغ العاشرة من عمره، إذ كيف يستطيع أن يقنع طائفة كبرى بإمامته كذباً وهو مكشوف أمامها وهذه الطائفة ذات مدرسة فكرية من أضخم المدارس الفكرية التي وجدت في العالم الإسلامي يومئذٍ. وهي

مدرسة بعض عناصرها في الكوفة وبعضها في قم وبعضها في المدينة ، فهي مدرسة موزّعة في حواضر العالم الإسلامي وكانت على صلة مباشرة بالإمام الجواد(عليه السلام) تستفتيه وتسأله وتنقل إليه الأموال من مختلف الأطراف من شيعته .

فمثل هذه المدرسة لا يمكن أن نتصوّر أنها تغفل عن حقيقة طفل لا يكون إماماً .

الفرض الثالث : إن مفهوم الإمام والإمامة لم يكن واضحاً عند الطائفة الشيعية بل إنها كانت تتصوّر أن الإمامة مجرد تسلسل نسبي ووراثي ولم تكن تعرف ما هو الإمام وما هي قيمة الإمام وما هي شروط الإمام .

وهذا الافتراض يكذّبه واقع التراث المتواتر من أمير المؤمنين (عليه السلام) الى الإمام الرضا (عليه السلام) عن شروط الإمامة وحقيقتها وعلامات الإمام عند هذه الطائفة بنحوٍ يميّزها عما سواها من الطوائف والمذاهب التي تجعل الامامة منصباً بشرياً لا يصعب لكثير من الناس التسلق إليه وانتحالها وادعائها.

بينما قام التشيّع على المفهوم الإلهي المعمّق للإمامة وهو من المفاهيم الأُولى والبديهية للتشيّع ، فإنّ الامام في المفهوم الشيعي إنسان فذّ فريد في معارفه وأخلاقه وأقواله وأعماله . وهذا المفهوم قد بشّرت به مجموعة كبيرة من عهد أمير المؤمنين(عليه السلام) الى عهد الإمام الرضا (عليه السلام) . [1]

وقد أصبحت كل التفاصيل والخصوصيات بالتدريج واضحة ومرتكزة عند الطائفة الشيعية .

يقول الراوي : دخلت المدينة بعد وفاة الإمام الرضا (عليه السلام) أسأل عن الخليفة بعد الإمام الرضا (عليه السلام) . فقيل : إن الخليفة في قرية قريبة من المدينة فخرجت الى

---

(١) راجع في هذا الجانب بالخصوص الحديث التفصيلي الذي ورد عن الإمام الرضا (عليه السلام) حول الإمام والامامة في تحف العقول .

تلك القرية ودخلت القرية وكان فيها بيت للامام موسى بن جعفر انتقل الى أولاده . فرأيت البيت غاصّاً بالناس ورأيت أحد إخوة الإمام الرضا (عليه السلام) كان جالساً يتصدّر المجلس إلّا أن الناس يقولون إن هذا ليس هو الإمام بعد الرضا (عليه السلام) لأننا سمعنا من الأئمة أن الإمامة لا تكون في أخوين بعد الحسن والحسين .

نعم كل هذه التفاصيل والخصوصيات النسبية والمعنوية كانت واضحة ومحدّدة عند الطائفة .

إذاً فهذا الافتراض الثالث أيضاً يكذّبه واقع التراث الثابت والمتواتر عن الأئمة السابقين على الإمام الجواد (عليه السلام) .

الفرض الرابع : أن يكون هناك بين أبناء الطائفة الشيعية نوع من التواطؤ على الزور والباطل .

وهذا الافتراض أيضاً يكذّبه الواقع . لا لإيماننا الشخصي فقط بورع هذه الطائفة وقدسيّتها ، بل لأن الظرف الموضوعي لهذه الطائفة هو الذي يكذب هذا الافتراض .

فإن التشيع لم يكن في يوم من الأيام في حياة هذه الطائفة طريقاً إلى الأمجاد والى المال والجاه والسلطان والمقامات العالية ، بل التشيع طيلة هذه المدّة كان طريقاً الى التعرض للتعذيب والسجون والحرمان والويل والدمار .

لقد كان التشيع طريقاً شائكاً مزروعاً بالألغام، فالخوف والتقية والذل كانت هي مظاهر وثمار هذا الطريق فما الفائدة المادية في التواطؤ على هذا الزور والباطل في الإمامة ما دام التشيع ليس سبيلاً لتحقيق أي مطمع مادي أو مطمع دنيوي آنئذٍ .

فلماذا يتواطأ عقلاء الطائفة الشيعية ووجهاؤها وعلماؤها على إمامة باطلة مع

أن ثباتهم عليها يكلفهم كثيراً من ألوان الحرمان والعذاب ، وأيّ عقل يستسيغ مثل هذه التبعات إذا كان مجرّد تباني على أمر باطل .

انّ هذه الظروف الموضوعية ألا تكون شاهداً ودليلاً على أن هذا الاعتقاد إنما كان ناشئاً عن حقيقة ثابتة وملزمة لأبناء الطائفة قد وعوها وآمنوا بها واستسلموا للوازمها وآثارها بالرغم من أنها كانت تكلّفهم حياتهم المادية على طول الخط .

اذن لا يبقى إلّا القبول بالافتراض الأخير وهو أن الإمام الجواد (عليه السلام) بدعواه الإمامة المبكرة وتحدّيه لكل من وقف أمامه ، وصموده أمام كل الإثارات والتساؤلات والاختبارات شكّل دليلاً تاريخياً علمياً قاطعاً على حقّانية دعواه ومذهبه وخطّه وهو خط أهل البيت (عليهم السلام) الذي كان يمثّله الإمام الجواد(عليه السلام) في مجال إمامة المسلمين وزعامة الأُمة الإسلامية التي بدأت بالقيادة النبوية تلك الأُمة التي خلّفها الرسول (صلى الله عليه وآله) لتتكامل وتؤسّس الحضارة الإسلامية على أسس الهية وقيم ربّانية .

وإن التراث القيّم الذي تركه لنا هذا الإمام العظيم لدليل قاطع على عظمة الدور الذي قام به هذا الإمام في تبلور العقيدة الشيعية في مجال القيادة الاسلامية التي أكّدتها الآيات القرآنية والنصوص النبوية الشريفة .(١)

(١) اعتمدنا في هذا البحث على محاضرة للشهيد السعيد آية الله السيد محمد باقر الصدر (قدس سره) حول الإمام الجواد (عليه السلام) وعرضناها بتصرّف .

٣ ـ الإمام الجواد(عليه السلام) والمفاهيم المنحرفة عند الأمة

لم يتخذ الغلو لوناً واحداً بل كانت ثمة الوان متعددة، منها الغلو بالصحابة، وفي حوار مفتوح للامام الجواد (عليه السلام) مع يحيى بن الأكثم أمام جماعة كبيرة من الناس منهم المأمون العباسي فنّد الإمام الجواد(عليه السلام) التوجهات المغالية في شأن الصحابة، وإليك نص الحديث:

«روي ان المأمون بعد ما زوّج ابنته أمّ الفضل أبا جعفر (عليه السلام) كان في مجلس وعنده أبو جعفر (عليه السلام) ويحيى بن الأكثم وجماعة كثيرة.

فقال له يحيى بن الأكثم: ما تقول يابن رسول الله في الخبر الذي روي: أنه نزل جبرئيل (عليه السلام) على رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقال: يامحمد! ان الله عزوجل يُقرئك السلام ويقول لك: سل أبا بكر هل هو عنّي راضٍ فإني عنه راض.

فقال أبو جعفر (عليه السلام): «لست بمنكر فضل أبي بكر ولكن يجب على صاحب هذا الخبر أن يأخذ مثال الخبر الذي قاله رسول الله(صلى الله عليه وآله) في حجّة الوداع: قد كثرت عليّ الكذابة وستكثر بعدي فمن كذب عليّ متعمّداً فليتبوأ مقعده من النار فاذا أتاكم الحديث عني فاعرضوه على كتاب الله عزوجل وسنتي، فما وافق كتاب الله وسنتي فخذوا به، وما خالف كتاب الله وسنتي فلا تأخذوا به وليس يوافق هذا الخبر كتاب الله، قال الله تعالى: ﴿ ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد ﴾[١].

فالله عزوجل خفي عليه رضاء أبي بكر من سخطه حتى يسأل عن مكنون سره، هذا مستحيل في العقول».

---

(١) سورة ق (٥٠): ١٦.

ثم قال يحيى بن الأكثم : وقد روي : أن مثل أبي بكر وعمر في الارض كمثل جبرئيل وميكائيل في السماء .

فقال (عليه السلام) : «وهذا أيضاً يجب أن ينظر فيه؛ لأن جبرئيل وميكائيل ملكان لله مقرّبان لم يعصيا الله قط ، ولم يفارقا طاعته لحظة واحدة ، وهما قد أشركا بالله عزّوجلّ وإن أسلما بعد الشرك . فكان أكثر أيّامهما الشرك بالله فمحال أن يشبّههما بهما».

قال يحيى : وقد روي أيضاً : أنهما سيدا كهول أهل الجنة. فما تقول فيه ؟

فقال (عليه السلام) : وهذا الخبر محال أيضاً ، لان أهل الجنة كلهم يكونون شبّاناً ولا يكون فيهم كهل وهذا الخبر وضعه بنو أمية لمضادة الخبر الذي قاله رسول الله (صلى الله عليه وآله) في الحسن والحسين (عليهما السلام) بأنهما « سيدا شباب اهل الجنة » .

فقال يحيى بن الأكثم : وروي ان عمر بن الخطاب سراج اهل الجنة .

فقال (عليه السلام) : وهذا أيضا محال ، لأن في الجنة ملائكة الله المقربين ، وآدم ومحمد(صلى الله عليه وآله) ، وجميع الانبياء والمرسلين. لا تضيء بأنوارهم حتى تضيء بنور عمر ؟!

فقال يحيى بن الأكثم : وقد روي : أن السكينة تنطق على لسان عمر .

فقال (عليه السلام) : لست بمنكر فضل عمر ، ولكن أبا بكر أفضل من عمر .

فقال ـ على رأس المنبر ـ : إن لي شيطاناً يعتريني ، فإذا ملت فسدّدوني .

فقال يحيى : قد روي ان النبي (صلى الله عليه وآله) قال : لو لم أُبعث لبُعث عمر .

فقال (عليه السلام) : كتاب الله أصدق من هذا الحديث ، يقول الله في كتابه : ﴿ واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح ﴾ (١) ، فقد أخذ الله ميثاق النبيين فكيف يمكن أن يبدل ميثاقه ، وكان الأنبياء (عليهم السلام) لم يشركوا بالله طرفة عين؟ فكيف يبعث بالنبوة من أشرك

(١) الأحزاب (٣٣): ٧.

وكان اكثر أيامه مع الشرك بالله؟! وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): « نبئت وآدم بين الروح والجسد . »

فقال يحيى بن الأكثم : وقد روي أيضاً أن النبي (صلى الله عليه وآله) قال : ما احتبس عنّي الوحي قط الا ظننته قد نزل على آل الخطاب .

فقال (عليه السلام) : وهذا محال أيضاً ، لأنه لا يجوز ان يشك النبي(صلى الله عليه وآله) في نبوّته ، قال الله تعالى : ﴿ الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس ﴾ [1] فكيف يمكن ان تنتقل النبوة ممن اصطفاه الله تعالى الى من أشرك به؟!

قال يحيى : روي ان النبي (صلى الله عليه وآله) قال : لو نزل العذاب لما نجى منه إلّا عمر.

فقال (عليه السلام) : وهذا محال أيضاً ، لأن الله تعالى يقول : ﴿ وماكان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ﴾ [2] ، فأخبر سبحانه انه لا يعذب أحداً ما دام فيهم رسول الله(صلى الله عليه وآله) وما داموا يستغفرون الله» [3].

وفي هذا النص شواهد كافية لمدى التحريف الذي سيطر على مجال الحديث والبدع التي اُدخلت على السنّة النبوية الشريفة في عصر الخلافة الاُموية والعباسية، ومدى نفوذها الى واقع الأُمة بالرغم من كونها تخالف النصوص الصريحة للقرآن الكريم. وهذا كاشف عن مدى هبوط مستوى الوعي والثقافة العامة عند علماء البلاط فضلاً عن عامة أتباعهم.

وهذا الحوار يكشف لنا عن مدى شجاعة الإمام(عليه السلام) وقوّة منطقه، ودوره الكبير في تصحيح هذه الانحرافات الخطيرة التي تشوّه حقائق الدين من أجل تصحيح أخطاء شخصيات استغلّت شرف الصحبة والصحابة، وقبع الحكام المنحرفون تحت هذه الأقنعة التي نسجت منهم شخصيات وهميّة على مدى التاريخ في أذهان عوامّ علماء المسلمين فضلاً عن أتباعهم.

---

(١) الحج : (٢٢): ٧٥.

(٢) الأنفال (٨) : ٣٣ .

(٣) الاحتجاج : ٢ / ٤٧٧ ـ ٤٨٠ .

٤ ـ الإمام الجواد(عليه السلام) والتوجّه الى هموم أبناء الأمّة الإسلامية

اهتمّ الإمام الجواد (عليه السلام) بخدمة الناس وبدعوتهم الى الاسلام المحمدي الاصيل وكسبهم الى اهل البيت (عليهم السلام)، ومن امثلة ذلك:

١ ـ لمّا انصرف أبو جعفر (عليه السلام) من عند المأمون ببغداد ومعه أم الفضل إلى المدينة، صار إلى شارع باب الكوفة والناس يشيّعونه فانتهى الى دار المسيّب عند مغيب الشمس، فنزل ودخل المسجد، وكان في صحنه نبقة لم تحمل بعد، فدعا بكوز فيه ماء فتوضأ في أصل النبقة وقام وصلّى بالناس صلاة المغرب، فقرأ في الأولى «الحمد» و «اذا جاء نصر الله» وفي الثانية «الحمد» و «قل هو الله أحد» وقنت قبل الركوع، وجلس بعد التسليم هنيئة يذكر الله تعالى، وقام من غير تعقيب فصلّى النوافل أربع ركعات، وعقّب بعدها، وسجد سجدتي الشكر ثم خرج، فلمّا انتهى الى النبقة رآها الناس وقد حملت حملاً كثيراً حسناً، فتعجبوا من ذلك، فأكلوا منها فوجدوه نبقاً حلواً لا عجم له، ومضى (عليه السلام) الى المدينة [1].

لقد قدّم الإمام الجواد (عليه السلام) للناس الدليل على إمامته (عليه السلام) بالأمور المحسوسة.

علاوة على ذلك فإنّ اهتمام الإمام (عليه السلام) بخدمة الناس يعكس أهميّة هذا الأمر وفضله في الإسلام كما يكشف عن توجّهه (عليه السلام) لكسبهم بطريقة عملية وهدايتهم لاختيار منهج أهل البيت (عليهم السلام)، ونقتصر على بعض الأمثلة في هذا الصدد.

---

(١) إعلام الورى بأعلام الهدى: ٢ / ١٠٥ ـ ١٠٦.

٢ ـ روي عن الشيخ أبي بكر بن اسماعيل أنه قال: «قلت لابي جعفر ابن الرضا(ع): ان لي جارية تشتكي من ريح بها، فقال: ائتني بها فأتيت بها فقال: **ما تشتكين ياجارية**؟ قالت: ريحاً في ركبتي، فمسح يده على ركبتها من وراء الثياب فخرجت الجارية من عنده ولم تشتك وجعاً بعد ذلك»(١).

٣ ـ وروي عن محمد بن عمير بن واقد الرازي أنه قال: «دخلت على أبي جعفر ابن الرضا (ع) ومعي أخي به بهر شديد فشكى اليه ذلك البهر (٢)، فقال (ع): **عافاك الله ممّا تشكو**، فخرجنا من عنده وقد عوفي فما عاد إليه ذلك البهر إلى أن مات.

٤ ـ قال محمد بن عمير: «وكان يصيبني وجع في خاصرتي في كل اسبوع فيشتد ذلك الوجع بي أياماً وسألته ان يدعو لي بزواله عني، فقال: **وأنت فعافاك الله** فما عاد الى هذه الغاية». (٣)

٥ ـ وروي عن علي بن جرير قال: «كنت عند أبي جعفر ابن الرضا (ع) جالساً وقد ذهبت شاة لمولاة له فأخذوا بعض الجيران يجرّونهم اليه ويقولون: انتم سرقتم الشاة.

فقال أبو جعفر (ع): **ويلكم خلّوا عن جيراننا فلم يسرقوا شاتكم، الشاة في دار فلان»، فاذهبوا فأخرجوها من داره**، فخرجوا فوجدوها في داره، واخذوا الرجل وضربوه وخرقوا ثيابه، وهو يحلف انه لم يسرق هذه الشاة، الى ان صاروا الى أبي جعفر (ع) فقال: «**ويحكم ظلمتم الرجل فانّ الشاة دخلت داره وهو لا يعلم بها**،

(١) بحار الانوار: ٥٠ / ٤٦ ـ ٤٧.
(٢) البُهرة بالضم تتابع النفس.
(٣) مستدرك عوالم العلوم: ٥٠ / ٤٧.

فدعاه فوهب له شيئاً بدل ما خرق من ثيابه وضربه»(١).

٦ ـ وروي عن القاسم بن الحسن ، أنّه قال : «كنت فيما بين مكة والمدينة فمرّ بي أعرابي ضعيف الحال فسألني شيئاً فرحمته ، فأخرجت له رغيفاً فناولته إيّاه فلمّا مضىٰ عنّي هبّت ريح زوبعة ، فذهبت بعمامتي من رأسي فلم أرها كيف ذهبت ولا أين مرّت ، فلمّا دخلت المدينة صرت الى أبي جعفر ابن الرضا (عليه السلام) فقال لي : «ياأبا القاسم ذهبت عمامتك في الطريق ؟ قلت : نعم ، فقال : ياغلام أخرج اليه عمامته، فأخرج اليّ عمامتي بعينها ، قلت : يا ابن رسول الله كيف صارت اليك ؟ قال : تصدّقت على أعرابي فشكره الله لك ، فردّ إليك عمامتك ، وانّ الله لا يضيع أجر المحسنين»(٢) .

إنّ هذه الأعمال تدلّ على الأهمية الكبيرة التي كان يمنحها أهل البيت (عليهم السلام) لخدمة الناس . ولا يخفىٰ على الناظر المتأمل ما تتركه مثل هذه الأعمال من أثر كبير على الناس باعتبار أنّ لغة العمل هي اللغة الاوضح عند الناس والأشد تأثيراً عليهم كما ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) في كلمته المعروفة عنه : «كونوا دعاة الناس بغير ألسنتكم» .

(١) مستدرك عوالم العلوم : ٥٠ / ٤٧ .

(٢) مستدرك عوالم العلوم : ٤٧ ـ ٤٨ .

الفصل الثاني

الإمام الجواد (عليه السلام) ومتطلّبات الجماعة الصالحة

١ ـ الإمام الجواد (عليه السلام) يعالج ظاهرة التشكيك بإمامته

نهض الإمام الجواد (عليه السلام) بأعباء الإمامة الشرعية للمسلمين وهو لما يبلغ الحلم على نحو ما حدث لعيسى بن مريم(عليه السلام) حيث أُوتي النبوّة في المهد، وقد أوجدت هذه الظاهرة حالة من التساؤل والتشكيك لدى البعض من الموالين لأهل البيت(عليهم السلام) والمعتقدين بإمامتهم بعد رسول الله(صلى الله عليه وآله) ، لكن الإمام(عليه السلام) استطاع أن يدحض هذه التشكيكات ويجيب على التساؤلات المعلنة والخفيّة بما اوتي من فضل وعلم وحكمة وحنكة .

إن حالة الصبا التي تزامنت مع اضطلاع الإمام (عليه السلام) بأعباء الخلافة لرسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وتصديه لامامة المسلمين في ذلك الوقت المبكّر دفعت ببعض أتباع أهل البيت(عليهم السلام) الى التساؤل والتشكيك .

وأما التساؤلات فقد تمّ حسمها بدرجةٍ ما، من خلال الأحاديث والتوجيهات والإشارات التي صدرت عن والده الإمام عليّ الرضا(عليه السلام) وانتشرت بين مقرّبيه ورؤساء القوى الموالية لأهل البيت (عليهم السلام) في البلدان كمصر والحجاز والعراق وبلاد فارس.

على أنّ الإمام الجواد(عليه السلام) نفسه قد قام بنشاط واسع لتبديد تلك الشكوك

التي أُثيرت بشكل أو بآخر بعد وفاة الإمام الرضا (عليه السلام) وهو ما نفهمه من خلال بعض الروايات الواردة بهذا الشأن، ومنها ما يلي:

أ ـ أورد السيد المرتضى (رحمه الله) في عيون المعجزات أنّه : لما قبض الرضا (عليه السلام) كان سن أبي جعفر (عليه السلام) نحو سبع سنين ، فاختلفت الكلمة بين الناس ببغداد وفي الأمصار ، واجتمع الريّان بن الصلت ، وصفوان بن يحيىٰ ، ومحمد بن حكيم ، وعبد الرحمن بن الحجّاج ، ويونس بن عبد الرحمن ، وجماعة من وجوه الشيعة وثقاتهم في دار عبد الرحمن بن الحجاج في بركة زلول ، يبكون ويتوجّعون من المصيبة ، فقال لهم يونس بن عبد الرحمن : دعوا البكاء ! مَن لهذا الأمر والى من نقصد بالمسائل إلى أن يكبر هذا ؟ يعني أبا جعفر (عليه السلام) .

فقام اليه الريّان بن الصلت ، ووضع يده في حلقه ، ولم يزل يلطمه ، ويقول له : أنت تظهر الايمان لنا وتبطن الشك والشرك .

إن كان أمره من الله جل وعلا فلو أنه كان ابن يوم واحد لكان بمنزلة الشيخ العالم وفوقه ، وان لم يكن من عند الله فلو عمّر ألف سنة فهو واحد من الناس ، هذا ممّا ينبغي أن يفكّر فيه .فأقبلت العصابة عليه تعذله وتوبّخه .

وكان وقت الموسم ، فاجتمع فقهاء بغداد والأمصار وعلماؤهم ثمانون رجلاً ، فخرجوا إلى الحج ، وقصدوا المدينة ليشاهدوا أبا جعفر (عليه السلام) ، فلمّا وافوا أتوا دار جعفر الصادق (عليه السلام) لأنها كانت فارغة ، ودخلوها وجلسوا على بساط كبير، وخرج إليهم عبد الله بن موسىٰ ، فجلس في صدر المجلس وقام مناد وقال : هذا ابن رسول الله فمن أراد السؤال فليسأله .

فسئل عن أشياء أجاب عنها بغير الواجب فورد على الشيعة ما حيّرهم وغمّهم .

واضطرب الفقهاء ، وقاموا وهمّوا بالانصراف ، وقالوا في أنفسهم : لو كان

أبو جعفر (عليه السلام) يكمل لجواب المسائل لما كان من عبدالله ما كان ، من الجواب بغير الواجب .

ففُتح عليهم باب من صدر المجلس ودخل موفّق وقال : هذا أبو جعفر ، فقاموا إليه بأجمعهم واستقبلوه وسلّموا عليه فدخل صلوات الله عليه ، وعليه قميصان وعمامة بذؤابتين وفي رجليه نعلان وجلس وأمسك الناس كلهم ، فقام صاحب المسألة ، فسأله عن مسائله ، فأجاب عنها بالحق ، ففرحوا ودعوا له وأثنوا عليه وقالوا له : إن عمّك عبد الله أفتىٰ بكيت وكيت ، فقال : **« لا اله الّا الله ياعمّ إنّه عظيم عند الله أن تقف غداً بين يديه فيقول لك : لِمَ تفتي عبادي بما لم تعلم، وفي الأُمة من هو أعلم منك ؟ ! »** (١) .

ب ـ وروي أنّه جيئ بأبي جعفر (عليه السلام) إلى مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعد موت أبيه ، وهو طفل ، وجاء إلى المنبر ورقا منه درجة ثم نطق ، فقال : **« أنا محمد ابن علي الرضا ، أنا الجواد ، أنا العالم بأنساب الناس في الأصلاب ، أنا أعلم بسرائركم وظواهركم وما أنتم صائرون إليه ، علم منحنا به قبل خلق الخلق أجمعين ، وبعد فناء السماوات والأرضين ، ولولا تظاهر أهل الباطل ، ودولة اهل الضلال ووثوب أهل الشك ، لقلت قولاً تعجّب منه الأوّلون والآخرون . . »**(٢) .

ج ـ وقال اسماعيل بن بزيع: سألته ـ يعني أبا جعفر الثاني (عليه السلام) ـ عن شيء من أمر الإمام ، فقلت : يكون الإمام ابن أقلّ من سبع سنين ؟ فقال : **«نعم وأقل من خمس سنين »**(٣) .

د ـ قال علي بن أسباط : « رأيت أبا جعفر (عليه السلام) وقد خرج عليّ فأخذت

---

(١) بحار الانوار: ٥٠ / ٩٩ ـ ١٠٠.

(٢) بحارالأنوار: ١٠٨.

(٣) حلية الابرار : ٢ / ٣٩٨، نقلاً عن حياة الإمام محمّد بن علي الجواد : ٣٢ ـ ٣٣.

أنظر إليه وجعلت انظر الى رأسه ورجليه ، لأصف قامته لأصحابنا بمصر فبينا أنا كذلك حتى قعد ، فقال(عليه السلام) : **ياعليّ ! ان الله احتج في الإمامة بمثل ما احتج في النبوة ، فقال : ﴿ وآتيناه الحكم صبياً ﴾ [١] ﴿ ولمّا بلغ اشده ﴾ [٢] ﴿ وبلغ اربعين سنة ﴾ [٣] ، فقد يجوز ان يؤتى الحكمة وهو صبي ويجوز ان يؤتاها وهو ابن اربعين سنة»**[٤] .

إنّ تصدي الإمام الجواد (عليه السلام) لإمامة المسلمين وهو صبي كان معجزة بذاته .

وسنتطرق فيما بعد الى ما أظهره من المعارف الإلهية ، وقد ذكرنا نماذج من تحدّيه لكبار الفقهاء ومنهم قاضي قضاة الدولة العباسيّة مع ما كان عليه من كبر السن، ولاشك أنّ ذلك من مصاديق الصفة الإعجازية في الإمام(عليه السلام) ومن الأدلة التي تجسّد مدى علاقته وتؤكد عمق ارتباطه بالله تعالى وقربه منه وحجم الدعم الغيبي الذي كان يحظى به الإمام(عليه السلام) من عند الله عزوجل .

(١) مريم (١٩): ١٢.

(٢) القصص (٢٨): ١٤.

(٣) الاحقاف (٤٦): ١٥.

(٤) أصول الكافي : ١ / ٣١٤.

٢ ـ الإمام الجواد(عليه السلام) والبناء الثقافي للجماعة الصالحة

لقد توخى أئمة أهل البيت (عليهم السلام) تحقيق عزة الاسلام والمسلمين من خلال المواقف والتحركات الحكيمة التي تضمن الوصول الى الهدف المطلوب على احسن وجه . وكان تحرك الإمام الجواد (عليه السلام) ينطلق من هذه الرؤية فكان ذلك التحرك واسعاً ومؤثراً رغم كل الظروف المعرقلة التي أحاطت تحركه وفي هذا المجال نشير الى نماذج من تحرك الإمام (عليه السلام) في الميادين التي كان يتوخى منها إعداد الأُمة وطلائعها إعداداً رسالياً . ومن هذه الميادين :

أ ـ تعميق البناء الفكري :

كان اهتمام الإمام الجواد (عليه السلام) في بناء الجانب العقائدي في شخصية الانسان المسلم واضحاً للناظر في تراثه الذي ورثناه والذي يحتوي على مفردات اساسية تتقوم بها العقيدة ومن ذلك :

الإمام والدعوة الى التوحيد الخالص :

التوحيد اساس العقيدة الاسلامية ، وسلامة تصورات المسلم عن الله تعالى هي الركيزة الجوهرية التي تستند عليها باقي المفردات العقيدية ، من هنا كان الإمام(عليه السلام) يُعنى عناية شديدة بإيضاح هذا الاساس وتجليته ، وفي المحاضرة التي ألقاها على داود بن القاسم الجعفري دليل على ما قلناه .

فقد قال الجعفري : «قلت لأبي جعفر الثاني(عليه السلام) : ﴿ **قل هو الله أحد** ﴾ ، ما معنى: الأحد ؟

قال: المجمع عليه بالوحدانية، أما سمعته يقول : ﴿ **ولئن سألتهم من خلق**

السماوات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله ﴾ (١) ، ثم يقولون بعد ذلك : له شريك وصاحبة .

فقلت : قوله : ﴿ لا تدركه الأبصار ﴾ (٢) .

قال : ياأبا هاشم ! اوهام القلوب أدق من أبصار العيون ، أنت قد تدرك بوهمك السند والهند ، والبلدان التي لم تدخلها ، ولم تدرك ببصرك ذلك ، فأوهام القلوب لا تدركه ، فكيف تدركه الأبصار ؟ !

وسئل (عليه السلام) : أيجوز ان يقال لله : انه شيء ؟

فقال : نعم ، تخرجه من الحدّين : حدّ التعطيل وحدّ التشبيه (٣)» (٤) .

وعن أبي هاشم الجعفري ، قال: «كنت عند أبي جعفر الثاني(عليه السلام) فسأله رجل ، فقال : أخبرني عن الرب تبارك وتعالى له اسماء وصفات في كتابه ؟ وأسماؤه وصفاته هي هو ؟

فقال أبو جعفر (عليه السلام) : «ان لهذا الكلام وجهين : إن كنت تقول : هي هو، اي انه ذو عدد وكثرة ، فتعالى الله عن ذلك . وان كنت تقول : هذه الصفات والأسماء لم تزل ، فإنّ « لم تزل » محتمل معنيين : فان قلت : لم تزل عنده في علمه وهو مستحقها ، فنعم، وان كنت تقول : لم يزل تصويرها وهجاؤها وتقطيع حروفها فمعاذ الله ان يكون معه شيء غيره . بل كان الله ولا خلق ، ثم خلقها وسيلة بينه وبين خلقه يتضرعون بها اليه ويعبدونه وهي ذكره ، وكان الله ولا ذكر ، والمذكور بالذكر هو الله القديم الذي لم يزل .

والأسماء والصفات مخلوقات ، والمعاني والمعني بها هو الله الذي لا يليق به الاختلاف ولا الائتلاف ، وانما يختلف ويأتلف المتجزئ فلا يقال : الله مؤتلف ،

---

(١) العنكبوت (٢٩): ٦١.

(٢) الانعام (٦): ١٠٣.

(٣) حد التعطيل هو عدم اثبات الوجود، والصفات الكمالية والفعلية والاضافية له تعالى، وحد التشبيه الحكم والاشتراك مع الممكنات في حقيقة الصفات وعوارض الممكنات.

(٤) مستدرك عوالم العلوم : ٢٣ / ٣٥٣ ـ ٣٥٤.

ولا الله قليل ولا كثير ، ولكنه القديم في ذاته ، لأن ما سوى الواحد متجزئ ، والله واحد لا متجزئ ، ولا متوهم بالقلة والكثرة وكل متجزئ أو متوهم بالقلة والكثرة ، فهو مخلوق دالّ على خالق له .

فقولك : ان الله قدير خبّرت انه لا يعجزه شيء ، فنفيت بالكلمة العجز وجعلت العجز سواه .

وكذلك قولك : عالم انما نفيت بالكلمة الجهل ، وجعلت الجهل سواه ، واذا أفنى الله الاشياء أفنى الصورة والهجاء والتقطيع ، ولا يزال من لم يزل عالماً .

فقال الرجل : فكيف سمّينا ربنا سميعاً ؟

فقال : لانه لا يخفى عليه ما يدرك بالاسماع ، ولم نصفه بالسمع المعقول في الرأس .

وكذلك سمّيناه بصيراً لانه لا يخفى عليه ما يدرك بالأبصار ، من لون او شخص او غير ذلك ، ولم نصفه ببصر لحظة العين .

وكذلك سمّيناه لطيفاً لعلمه بالشيء اللطيف مثل البعوضة وأخفى من ذلك ، وموضع النشوء منها ، والعقل والشهوة للفساد والحدب على نسلها وإقام بعضها على بعض ، ونقلها الطعام والشراب الى اولادها في الجبال والمفاوز والاودية والقفار ، فعلمنا ان خالقها لطيف بلا كيف ، وانما الكيفية للمخلوق المكيّف .

وكذلك قويّاً لا بقوة البطش المعروف من المخلوق ، ولو كانت قوته قوة البطش المعروف من المخلوق لوقع التشبيه ولاحتمل الزيادة ، وما احتمل الزيادة احتمل النقصان ، وما كان ناقصاً كان غير قديم ، وما كان غير قديم كان عاجزاً .

فربّنا تبارك وتعالى لا شبه له ولا ضدّ ولا ندّ ولا كيف ولا نهاية ولا تبصار بصر ، ومحرّم على القلوب أن تمثّله ، وعلى الأوهام ان تحدّه ، وعلى الضمائر ان تكوّنه ، جلّ وعز عن أداة خلقه وسمات بريّته ، وتعالى عن ذلك علوّاً كبيراً ».[1] .

(١) مستدرك عوالم العلوم : ٢٣ / ٣٥٤ ـ ٣٥٦.

مكافحة الغلو:

من الانحرافات الخطيرة التي انتشرت عند البعض الغلو بأهل البيت (عليهم السلام). وقد وقف الائمة من أهل البيت (عليهم السلام) بالمرصاد للمغالين فيهم فردّوهم وأفحموهم وأمروا أتباعهم بالابتعاد عنهم.

وقد سار الإمام الجواد (عليه السلام) على نهج آبائه في هذه المسألة وكان حذراً من نشأة بذور الغلو، كما يظهر ذلك من خلال ترصّده لبعض الممارسات ومن الادلة على هذا الأمر، ما ذكره المؤرخون عن الحسين بن محمد الاشعري حيث قال: «حدثني شيخ من أصحابنا يقال له عبد الله بن رزين قال: كنت مجاوراً بالمدينة مدينة الرسول وكان أبو جعفر (عليه السلام) يجيء في كل يوم مع الزوال الى المسجد فينزل الى الصخرة ويمرّ الى رسول الله (صلى الله عليه وآله) ويسلّم عليه، ويرجع الى بيت فاطمة ويخلع نعله فيقوم فيصلّي فوسوس اليّ الشيطان، فقال: اذا نزل فاذهب حتى تأخذ من التراب الذي يطأ عليه فجلست في ذلك اليوم انتظره لأفعل هذا.

فلمّا ان كان في وقت الزوال أقبل (عليه السلام) على حمار له فلم يزل في الموضع الذي كان ينزل فيه فجازه حتى نزل على الصخرة التي كانت على باب المسجد ثم دخل فسلّم على رسول الله (صلى الله عليه وآله) ثم رجع الى مكانه الذي كان يصلّي فيه ففعل ذلك أياماً فقلت اذا خلع نعليه جئت فأخذت الحصا الذي يطأ عليه بقدميه.

فلما كان من الغد جاء عند الزوال فنزل على الصخرة ثم دخل على رسول الله(صلى الله عليه وآله) وجاء الى الموضع الذي كان يصلّي فيه ولم يخلعهما ففعل ذلك أياماً فقلت في نفسي: لم يتهيأ لي ههنا ولكن اذهب الى باب الحمّام فاذا دخل اخذت من التراب الذي يطأ عليه فسألت عن الحمّام فقيل لي انه يدخل حمّاماً بالبقيع لرجل من ولد طلحة، فتعرّضت اليوم الذي يدخل فيه الحمّام، وصرت الى باب الحمّام وجلست الى الطلحي احدّثه وانا انتظر مجيئه (عليه السلام).

فقال الطلحي : ان اردت دخول الحمام فقم فادخل فانه لا يتهيأ لك بعد ساعة ، قلت : ولم ؟ قال : لان ابن الرضا(عليه السلام) يريد دخول الحمام ، قال : قلت : ومَن ابن الرضا ؟ قال : رجل من آل محمد(صلى الله عليه وآله) له صلاح وورع ، قلت له : ولا يجوز ان يدخل معه الحمام غيره ؟ قال : نخلي له الحمام اذا جاء ، قال : فبينا انا كذلك إذ أقبل(عليه السلام) ومعه غلمان له ، وبين يديه غلام ، ومعه حصير حتى ادخله المسلخ ، فبسطه ووافى وسلّم ودخل الحجرة على حماره ، ودخل المسلخ ، ونزل على الحصير .

فقلت للطلحي : هذا الذي وصفته بما وصفته من الصلاح والورع ؟

فقال : ياهذا والله ما فعل هذا قط الا في هذا اليوم ، فقلت في نفسي : هذا من عملي أنا جنيته ، ثم قلت : انتظره حتى يخرج فلعلّي أنال ما أردت إذا خرج. فلمّا خرج وتلبّس دعا بالحمار وأدخل المسلخ ، وركب من فوق الحصير وخرج (عليه السلام) ، فقلت في نفسي : قد والله آذيته ولا أعود أروم ما رمت منه أبداً وصحّ عزمي على ذلك . فلمّا كان وقت الزوال من ذلك اليوم أقبل على حماره حتى نزل في الموضع الذي كان ينزل فيه في الصحن ، فدخل فسلّم على رسول الله (صلى الله عليه وآله) وجاء الى الموضع الذي كان يصلّي فيه في بيت فاطمة(عليها السلام) وخلع نعليه وقام يصلّي»[1].

ب ـ تعميق البناء العلمي

ومن جملة المجالات التي تحرّك فيها الإمام الجواد (عليه السلام) هو إكماله لبناء الصرح العلمي الذي أشاده الائمة (عليهم السلام) من آبائه الكرام ، وفي سياق هذا النشاط نلاحظ إجابته على الاستفسارات العلمية والاستفتاءات الفقهية التي كانت تستجد

(١) بحار الانوار : ٥٠ / ٥٩ ـ ٦١ .

للطائفة الشيعية والامة الاسلامية آنذاك .

والأهم من ذلك ملاحظة نشاطه في إكمال الأدوات والمنهج العلمي.

إكمال الأدوات والمنهج العلمي :

تشكّل القواعد الأُصولية جزءً من المنهج العام لفهم الشريعة واستنباط أحكامها . ونوجز منهجه (عليه السلام) فيمايلي :

أ ـ عدم جواز استنباط الأحكام النظرية من ظواهر القرآن إلّا بعد معرفة تفسيرها من الأئمّة (عليهم السلام) .

فقد روي في الكافي عن الإمام الجواد(عليه السلام) أنه قد روى عن أبي عبدالله الصادق(عليه السلام) أنّ رجلاً سأل أباه محمّد الباقر(عليه السلام) عن مسائل ، فكان ممّا دار بينهما أن قال : «**قل لهم : هل كان فيما أظهر رسول الله (صلى الله عليه وآله) من علم الله ـ عزّ ذكره ـ اختلاف ؟ فإن قالوا لا ، فقل لهم : فمن حكم بحكم الله فيه اختلاف ، فهل خالف رسول الله (صلى الله عليه وآله) ؟ فيقولون : نعم ، فإن قالوا : لا ؛ فقد نقضوا أوّل كلامهم ؛ فقل لهم : ما يعلم تأويله إلّا الله والرّاسخون في العلم . فإن قالوا : من الرّاسخون في العلم ؟ فقل : من لا يختلف في علمه . فإن قالوا: فمن هو ذاك ؟ فقل : كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) صاحب ذلك** ـ إلى أن قال ـ: **وإن كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) لم يستخلف في علمه أحداً فقد ضيّع من في أصلاب الرّجال ممّن يكون بعده .**

قال أيضاً: **وما يكفيهم القرآن ؟ قال : بلى ، إن وجدوا له مفسّراً .**

قال : وما فسّره رسول الله (صلى الله عليه وآله) ؟ قال : **بلى قد فسّره لرجل واحد ، وفسّر للأمّة شأن ذلك الرجل ، وهو عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)**»[١].

(١) أصول الكافي: ١/٢٤٥ .

وقال (عليه السلام) أيضاً : «**والمحكم ليس بشيئين إنّما هو شيء واحد ؛ فمن حكم بما ليس فيه اختلاف ، فحكمه من حكم الله عزّوجلّ ؛ ومن حكم بأمر فيه اختلاف فرأى أنّه مصيب ، فقد حكم بحكم الطاغوت**»[1] .

ب ـ وجوب العمل بأحاديث الأئمة (عليهم السلام) المنقولة في الكتب المعتمدة.

فقد جاء في الكافي أيضاً عن محمّد بن الحسن بن أبي خالد شنبولة ، أنه قال : «قلت لأبي جعفر الثاني (عليه السلام) : جعلت فداك ، إنّ مشايخنا رووا عن أبي جعفر وأبي عبد الله (عليهما السلام) وكانت التقيّة شديدة ، فكتموا كتبهم ، ولم ترو عنهم ، فلمّا ماتوا صارت الكتب إلينا .

فقال (عليه السلام) : «**حدّثوا بها ، فإنّها حقّ**»[2].

ج ـ جواز العمل بقول من أجازه الإمام (عليه السلام) في العمل برأيه .

فقد جاء في رجال الكشّي: عن خيران الخادم أنّه قال : «وجّهت إلى سيّدي [3] ثمانية دراهم ـ في حديث ـ وقال :

قلت : جعلت فداك ، إنّه ربّما أتاني الرجل لك قبله الحقّ ، أو يعرف موضع الحقّ لك ، فيسألني عمّا يعمل به ، فيكون مذهبي أخذ ما يتبرّع في سرّ ؟

قال : **اعمل في ذلك برأيك ، فإنّ رأيك رأيي ، ومن أطاعك فقد أطاعني**» [4].

د ـ عدم جواز الافتاء من دون علم

فقد مرّ أنه حينما توفي الإمام الرضا (عليه السلام) كان عمر أبي جعفر (عليه السلام) حينذاك سبع سنين، فاختلفت كلمة الشيعة حوله ببغداد والأمصار فاجتمع وجهاء الشيعة

---

(١) أصول الكافي: ٢٤٨/١ .

(٢) اصول الكافي : ١ / ٥٣ ح ١٥ ، عنه الوسائل : ١٨ / ٥٨ / ٢٧ .

(٣) المراد بسيّده هنا إمّا الإمام الرضا ، أو الإمام الجواد ، أو الإمام الهادي (عليهم السلام) لأنّه خدمهم ثلاثتهم (عليهم السلام) ، والمرسل إليه يحتمل الثلاثة .

(٤) رجال الكشي : ٦١٠ ح ١١٣٤ ، وزاد فيه : قال أبو عمرو : هذا يدل على أنه كان وكيله ، ولخيران هذا مسائل يرويها عنه، وعن أبي الحسن (عليه السلام) ، عنه في الوسائل : ١٢ / ٢١٦ / ح ٦ .

وفقهاؤهم في الموسم ليشاهدوا أبا جعفر (عليه السلام) فوجدوا في دار جعفر الصادق(عليه السلام) عبد الله بن موسى قد جلس في صدر المجلس وكان يُسأل فيجيب بأجوبة دعتهم الى الحيرة فاضطربوا وهمّوا بالانصراف ، واذا بموفّق الخادم يدخل عليهم مع أبي‌جعفر (عليه السلام) فقاموا اليه بأجمعهم واستقبلوه وسلّموا عليه ثم جلس وبدأوا بالسؤال فكان يجيب على أسئلتهم بالحق . ففرحوا ودعوا له وأثنوا عليه وقالوا له : إن عمّك عبد الله أفتى بكيت وكيت فقال (عليه السلام) :

لا إله إلّا الله ! ياعمّ ! إنّه عظيم عند الله أن تقف غداً بين يديه فيقول لك : لِمَ تفتي عبادي بما لم تعلم وفي الأمة من هو أعلم منك ؟ ! » [1]

الاجابة على الاستفتاءات الفقهيّة والاستفسارات العلمية:

لقد أسهمت إجابات الإمام الجواد(عليه السلام) على الاستفتاءات الفقهية وغيرها من الاستفسارات العلمية في البناء العلمي للجماعة الصالحة ولك أن تلاحظها في النصوص التالية:

وقت صلاة الفجر: عن الحصين بن أبي الحصين ، قال : «كتبت الى أبي‌جعفر(عليه السلام) : جعلت فداك ، اختلف مواليك في صلاة الفجر ، فمنهم من يصلّي اذا طلع الفجر الاول المستطيل في السماء ، ومنهم مَن يصلي اذا اعترض في أسفل الارض واستبان ، ولست اعرف افضل الوقتين فأُصلي فيه . فان رأيت يامولاي جعلني الله فداك ان تعلّمني افضل الوقتين ، وتحدّ لي كيف اصنع مع القمر والفجر لأتبين معه حتى يحمرّ ويصبح ؟ وكيف أصنع مع الغيم ؟ وما حدّ ذلك في السفر والحضر ؟ فعلت إن شاء الله .

---

(١) بحار الأنوار : ٥٠ / ٩٩ .

فكتب بخطّه (عليه السلام) : «الفجر - يرحمك الله - الخيط الابيض ، وليس هو الأبيض صعداً ، ولا تصلّ في سفر ، ولا في حضر حتى تتبيّنه - رحمك الله - ، فان الله لم يجعل خلقه في شبهة من هذا ، فقال تعالى : ﴿ كلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الاسود من الفجر ﴾ [١] فالخيط الابيض هو الفجر الذي يحرم به الأكل والشرب في الصيام ، وكذلك هو الذي يوجب الصلاة»[٢].

البسملة في الصلاة: عن يحيىٰ بن أبي عمران الهمداني ، قال : «كتبت الى أبي جعفر (عليه السلام) : جعلت فداك ، ما تقول في رجل ابتدأ ببسم الله الرحمن الرحيم في صلاته وحده في ام الكتاب ، فلمّا صار الى غير أُم الكتاب من السورة تركها ؟ فقال العباسي [٣] : ليس بذلك بأس .

فكتب بخط يده: يعيدها مرتين على رغم انفه - يعني العباسي -»[٤].

الإكراه في الزواج: جاء في رواية علي بن مهزيار عن محمد بن الحسن الاشعري ، قال :

«كتب بعض بني عمي الى أبي جعفر الثاني (عليه السلام): ما تقول في صبيّة زوّجها عمّها ، فلمّا كبرت أبت التزويج ؟

فكتب بخطه (عليه السلام): «لا تكره على ذلك ، والأمر أمرها»[٥].

---

(١) البقرة (٢): ١٨٧ .

(٢) مستدرك عوالم العلوم : ٢٣ / ٣٨٢ - ٣٨٢ .

(٣) هو هشام بن ابراهيم العباسي وكان يعارض الرضا والجواد (عليهما السلام) .

(٤) مستدرك عوالم العلوم : ٢٣ / ١٦٢ - ١٦٣ .

(٥) مستدرك عوالم العلوم : ٢٣ / ٤٧٥ .

حكم الوقف: عن علي بن محمد بن سليمان النوفلي ، قال : «كتبت الى أبي جعفر الثاني (عليه السلام) اسأله عن أرض أوقفها جدي على المحتاجين من ولد فلان بن فلان وهم كثير ، متفرقون في البلاد ؟

فأجاب (عليه السلام) : **ذكرت الارض التي أوقفها جدك على فقراء ولد فلان بن فلان وهي لمن حضر البلد الذي فيه الوقف ، وليس لك ان تتبع من كان غائباً**»(١).

شهادة الزوج وغير الزوج: عن محمد بن سليمان أنه قال: قلت لأبي جعفر الثاني (عليه السلام) : «كيف صار الزوج اذا قذف امرأته كانت شهادته أربع شهادات بالله ؟ وكيف لا يجوز ذلك لغيره وصار اذا قذفها غير الزوج جلد الحدّ ، ولو كان ولداً او أخاً ؟

فقال : **قد سئل أبو جعفر (عليه السلام) عن هذا ، فقال : الا ترى انه اذا قذف الزوج امرأته ، قيل له : وكيف علمت انها فاعلة ؟ فان قال : رأيت ذلك منها بعيني ، كانت شهادته اربع شهادات بالله ، وذلك انه قد يجوز للرجل ان يدخل المدخل في الخلوة التي لا تصلح لغيره ان يدخلها ولا يشهدها ولد ولا والد في الليل والنهار ، فلذلك صارت شهادته اربع شهادات بالله اذا قال : رأيت ذلك بعيني .**

واذا قال : اني لم أعاين ، صار قاذفاً في حدّ غيره ، وضرب الحدّ إلّا أن يقيم عليها البيّنة، وإن زعم غير الزوج اذا قذف وادّعى أنه رآه بعينه قيل له : وكيف رأيت ذلك ؟ وما ادخلك ذلك المدخل الذي رأيت فيه هذا وحدك ؟ انت متّهم في دعواك ، وان كنت صادقاً فأنت في حدّ التهمة ، فلا بدّ من أدبك بالحدّ الذي أوجبه الله عليك .

---

(١) مستدرك عوالم العلوم : ٢٣ / ٤٦٦ .

قال : وانما صارت شهادة الزوج اربع شهادات بالله لمكان الاربعة شهداء مكان كل شاهد يمين»[١].

إنّ ما ذكر من الامثلة السابقة نماذج لبعض توجهات الإمام الجواد (عليه السلام) وهو تفقيهه لشيعته ومواليه عن طريق مراسلتهم إياه او سؤاله بصورة مباشرة .

ج ـ تعميق البناء التربوي

من المفردات الاساسية التي اهتم بها الإمام الجواد (عليه السلام) هو مسألة بناء الخلق الاسلامي عند الفرد والمجتمع .

وقد كان الإمام (عليه السلام) وفي سياق تربية الامة ينقل لهم احاديث اجداده خصوصاً امير المؤمنين (عليه السلام) لما تحتويه من توجيهات تربوية عميقة ومؤثرة وفي هذا المجال سنعتبر كلمات الإمام الجواد (عليه السلام) وما نقله عن اجداده الائمة (عليهم السلام) وطرحه للأمة مادة لفهم توجهاته التربوية .

الحكمة في العمل :

أراد الإمام الجواد (عليه السلام) ان يعلم شيعته ضرورة اعتماد الحكمة في العمل ومراعاة عامل الزمن في اتضاح الاشياء فللامور دورات زمنية ينبغي ان تمرّ بها حتى تكتمل، وعدم الالتفات الى هذا الجانب يفسد العمل ويجهضه قبل استوائه .

قال (عليه السلام) : « **إظهار الشيء قبل ان يستحكم مفسدة له**»[٢].

كما ان للمحن دورات لا يستطيع المرء ان يتخلص منها قبل انتهاء دورتها الزمنية وهذا الأمر اشبه شيئاً بالدورات المرضية التي لا يمكن تقليل مدتها ، وهذا التوجه لا يعني عدم استعمال الوسيلة لإزالة المحن بل العمل مطلوب وهو يسهم

---

(١) مستدرك عوالم العلوم: ٢٣ / ٤٨٤ ـ ٤٨٥ .

(٢) تحف العقول: ٤٥٧ .

بتقليل مدة المحنة وبالتالي ازالتها وإلى هذا المعنى اشار الإمام الجواد (عليه السلام) عندما نقل حديثاً عن جده امير المؤمنين (عليه السلام) : « قال لقيس بن سعد ، وقد قدم عليه من مصر : « **ياقيس ان للمحن غايات لا بد ان ينتهي اليها ، فيجب على العاقل ان ينام لها الى إدبارها ، فإنّ مكايدتها بالحيلة عند إقبالها زيادة فيها**»[١].

كما انه (عليه السلام) نقل عن جده أمير المؤمنين (عليه السلام) العناصر المساعدة على اكتمال الأعمال فقال : « **اربع خصال تعين المرء على العمل : الصحة والغنى والعلم والتوفيق** »[٢].

التعامل مع الظالمين :

ركّز الإمام الجواد (عليه السلام) على ضرورة ابتعاد المسلم عن مجاراة الظالمين والركون اليهم ، ودعا الى رفضهم والابتعاد عنهم .

فقد روى (عليه السلام) عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قوله :

« **العامل بالظلم والمعين له والراضي به شركاء** »[٣].

وكذلك ما رواه عنه (عليه السلام) : « **من استحسن قبيحاً كان شريكاً فيه**»[٤].

كما انه (عليه السلام) شدّد على عدم طاعة المنحرفين والاستماع اليهم واعتبر ذلك كالطاعة والاستماع للشيطان . قال (عليه السلام) :

« **من أصغى الى ناطق فقد عبده ، فان كان الناطق عن الله فقد عبد الله ، وان كان الناطق ينطق عن لسان ابليس فقد عبد ابليس**»[٥].

وبلحاظ الرفض الشديد للظالمين والتنديد بهم كان للامام الجواد (عليه السلام)

---

(١) مستدرك عوالم العلوم : ٢٣ / ٢٧٦ .

(٢) مستدرك عوالم العلوم : ٢٣ / ٢٧٦ .

(٣) مستدرك عوالم العلوم : : ٢٣ / ٢٧٨ .

(٤) مستدرك عوالم العلوم : ٢٣ / ٢٨٠ .

(٥) تحف العقول : ٤٥٦ .

تفسير مهم لمعنى التديّن يتضح من قوله (عليه السلام) :

« أوحى الله الى بعض الانبياء : أما زهدك في الدنيا فتعجّلك الراحة ، واما انقطاعك اليّ فيعزّزك بي ، ولكن هل عاديتَ لي عدوّاً وواليت لي ولياً » [1] فالدين حسب هذه الرواية ، يتحقق بموالاة اولياء الله ومعاداة اعداء الله ، وعدم مهادنتهم ومسالمتهم ولإذكاء هذه الروح عند الأُمة كان ينقل حديث جده امير المؤمنين (عليه السلام) عندما قال لأبي ذر : **« انما غضبت لله عزوجل فارج من غضبت له ، ان القوم خافوك على دنياهم وخفتهم على دينك ، والله لو كانت السماوات والارضون رتقاً على عبد ، ثم اتقى الله لجعل الله له منها مخرجاً ، لا يؤنسنّك إلّا الحق ، ولا يوحشنّك إلّا الباطل »**[2].

النشاط الاجتماعي :

إن حركة الانسان في المجتمع تشتدّ بمقدار تجذّره وتأثيره في ذلك المجتمع ، لذلك توجّه الإمام الجواد (عليه السلام) الى توضيح المفاهيم المتصلة بالنشاط الاسلامي للطليعة المؤمنة ، وفيما يأتي نذكر بعضاً من هذه المفاهيم :

١ ـ كلما ترسخ مركز الانسان في المجتمع ازداد توجه الناس اليه وطلبهم منه في قضاء حوائجهم وحل مشاكلهم . روى الإمام الجواد (عليه السلام) عن أجداده عن الإمام علي (عليه السلام) : **« ما عظمت نعمة الله على عبد إلّا عظمت عليه مؤونة الناس ، فمن لم يحتمل تلك المؤونة فقد عرّض النعمة للزوال »** [3] .

٢ ـ بقاء نعمة الانسان واستمرار موقعه في الأُمة مقترن بدرجة إحسانه اليها وخدمته لها، فقد روى الإمام (عليه السلام) عن أمير المؤمنين (عليه السلام) : **« ان لله عباداً يخصهم**

---

(١) تحف العقول : ٤٥٥ ـ ٤٥٦ .

(٢) مستدرك عوالم العلوم : ٢٣ / ٢٥٧ .

(٣) مستدرك عوالم العلوم : ٢٣ / ٢٧٦ .

بالنعم ، ويقرّها فيهم ما بذلوها ، فاذا منعوها نزعها عنهم وحوّلها الى غيرهم»[١] .

وقال(عليه السلام) : «أهل المعروف الى اصطناعه احوج من اهل الحاجة اليه ، لأن لهم اجره وفخره وذكره ، فمهما اصطنع الرجل من معروف فانما يبدأ فيه بنفسه ، فلا يطلبنّ شكر ما صنع الى نفسه من غيره»[٢] .

٣ ـ ضرورة مجازاة المحسن بالشكر ، يقول (عليه السلام) راوياً عن أمير المؤمنين (عليه السلام) ، «كفر النعمة داعية المقت ومن جازاك بالشكر فقد أعطاك اكثر مما أخذ منك»[٣].

٤ ـ كما ان الإمام (عليه السلام) بيّن طرق تحسين العلاقة بين الناس واصول التعامل بين الاصدقاء فقد روى عن جدّه أمير المؤمنين (عليه السلام) :

« ثلاث خصال تجتلب بهن المحبة : الانصاف في المعاشرة ، والمواساة في الشدّة ، والانطواع والرجوع الى قلب سليم »[٤] .

وقال (عليه السلام) : « لا يفسدك الظنّ على صديق وقد أصلحك اليقين له ، ومن وعظ أخاه سرّاً فقد زانه ، ومن وعظ علانية فقد شانه. استصلاح الاخيار باكرامهم ، والاشرار بتأديبهم ، والمودّة قرابة مستفادة ، وكفى بالأجل حرزاً ، ولا يزال العقل والحمق يتغالبان على الرجل الى ثمانية عشر سنة ، فاذا بلغها غلب عليه اكثرهما فيه ، وما أنعم الله عزوجل على عبد نعمة فعلم انها من الله إلّا كتب الله جلّ اسمه له شكرها قبل ان يحمده عليها ، ولا أذنب ذنباً فعلم ان الله مطّلع عليه إن شاء عذبه وان شاء غفر له ، الّا غفر الله له قبل ان يستغفره »[٥] .

٥ ـ كما شدّد(عليه السلام) على ضرورة اختيار القرين الصالح لما يورثه من اثر على

(١) مستدرك عوالم العلوم : ٢٣ / ٢٧٦ .
(٢) مستدرك عوالم العلوم : ٢٧٦/٢٣ .
(٣) مستدرك عوالم العلوم : ٢٣ / ٢٨٠ .
(٤) مستدرك عوالم العلوم : ٢٣ / ٢٧٩ .
(٥) مستدرك عوالم العلوم : ٢٣ / ٢٨٠ .

المرء ، فقد روى(عليه السلام): « **فساد الأخلاق بمعاشرة السفهاء ، وصلاح الأخلاق بمنافسة العقلاء ، والخلق اشكال فكل يعمل على شاكلته ، والناس إخوان ، فمن كانت اخوته في غير ذات الله فانها تحوز عداوة** ، وذلك قوله تعالى : ﴿ **الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلّا المتقين** ﴾ [(١)]»[(٢)] .

فاذا حصل المرء على الاخ المخلص في الله فانه فاز بشيء عظيم وينبغي له مشاورته واستنصاحه . روى الإمام الجواد (عليه السلام) عن علي (عليه السلام) قال : «**بعثني النبي (صلى الله عليه وآله) الى اليمن ، فقال لي وهو يوصيني : «ياعلي ، ما حار من استخار ، ولا ندم من استشار**»، وقال(عليه السلام): « **من استفاد أخاً في الله فقد استفاد بيتاً في الجنة** »[(٣)].

وصايا للعاملين:

كان الإمام الجواد(عليه السلام) يزرع روح الأمل والصبر في قلوب المؤمنين ليسلّحهم بالسلاح الفاعل عند مقارعتهم للظلم والطغيان وتحركهم ضده .

لقد اشار الى يوم يعاقب فيه الظالم عندما ينتصر العدل فينتقم للمظلومين من جوره اشد الانتقام . ان حمل المستضعفين لهذا المفهوم ومعايشتهم اياه يصنع منهم قوة لا تلين وثورة لا تقاوم . روى الإمام الجواد (عليه السلام) : « **يوم العدل على الظالم اشد من يوم الجور على المظلوم** » [(٤)] .

ولقد روى(عليه السلام) «**ان صبر المؤمن على البلاء من اشد الاسلحة ضد الظالمين**»

وقال(عليه السلام): « **الصبر على المصيبة مصيبة على الشامت بها** » [(٥)] .

كما انه(عليه السلام) روى عن جده أمير المؤمنين (عليه السلام) المنهاج الذي ينبغي ان

---

(١) الزخرف (٤٣): ٦٧ .

(٢) مستدرك عوالم العلوم : ٢٣ / ٢٧٩ .

(٣) مستدرك عوالم العلوم : ٢٣ / ٢٧٥ .

(٤) مستدرك عوالم العلوم : ٢٣ / ٢٧٨ .

(٥) مستدرك عوالم العلوم : ٢٧٨/٢٣.

يلتزم به المؤمنون ليبلغوا غاياتهم السامية .

عنه(عليه السلام) عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال : « **من وثق بالله أراه السرور ، ومن توكل عليه كفاه الأمور ، والثقة بالله حصن لا يتحصن فيه الآ مؤمن أمين ، والتوكل على الله نجاة من كل سوء وحرز من كل عدو ، والدين عزّ ، والعلم كنز ، والصمت نور ، وغاية الزهد الورع ، ولاهدم للدين مثل البدع ، ولا أفسد للرجال من الطمع ، وبالراعي تصلح الرعية ، وبالدعاء تصرف البليّة ، ومن ركب مركب الصبر اهتدى الي مضمار النصر ، ومن عاب عيب ، ومن شتم اجيب ، ومن غرس اشجار التقى اجتنى ثمار المنى** » (١) .

الحث على اكتساب العلم:

حثّ الإمام الجواد (عليه السلام) على طلب العلم وبيّن فضل العلماء من خلال أحاديثه ورواياته عن جده أمير المؤمنين (عليه السلام) وفيما يأتي نماذج من هذه الأحاديث :

قال (عليه السلام) : « **عليكم بطلب العلم ، فان طلبه فريضة ، والبحث عنه نافلة ، وهو صلة بين الاخوان ، ودليل على المروّة ، وتحفة في المجالس ، وصاحب في السفر ، وأُنس في الغربة** » (٢) .

وقال (عليه السلام) : « **العلم علمان : مطبوع ومسموع ، ولا ينفع مسموع اذا لم يكن مطبوع ، ومن عرف الحكمة لم يصبر على الازدياد منها ، الجمال في اللسان ، والكمال في العقل** »(٣).

وعنه(عليه السلام) عن علي، قال في كتاب عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) : « **ان ابن آدم**

---

(١) مستدرك عوالم العلوم : ٢٣ / ٢٧٦ .

(٢) مستدرك عوالم العلوم : ٢٣ / ٢٧٧ .

(٣) مستدرك عوالم العلوم : ٢٣ / ٢٧٧ .

اشبه شيء بالمعيار، إما راجح بعلم ـ وقال مرة بعقل ـ أو ناقص بجهل»(١).

وقال (عليه السلام) : « **اقصد العلماء للمحجّة الممسك عند الشبهة، والجدل يورث الرياء، ومن أخطأ وجوه المطالب خذلته الحيل، والطامع في وثاق الذلّ، ومن احبّ البقاء فليعدّ للبلاء قلباً صبوراً**»(٢).

كما انه كان يتألّم لكثرة الجهلاء وابتلاء العلماء بهم وكان يعتبر سبب الاختلاف هو ما يطرحه الجهلاء نتيجة جهلهم، فقد روىٰ عن جده أميرالمؤمنين(عليه السلام):« **العلماء غرباء لكثرة الجهّال بينهم**»(٣).

وقال (عليه السلام) : « **لو سكت الجاهل ما اختلف الناس**»(٤).

الحث على التوبة :

دعا الإمام الى كيفية التوبة الى الله تعالى وبيّن طريقها ، فقد روى عن أمير المؤمنين(عليه السلام) :

« **التوبة على أربعة دعائم : ندم القلب ، واستغفار باللسان ، وعمل بالجوارح ، وعزم على ان لا يعود**» .

«**وثلاث يبلغن بالعبد رضوان الله : كثرة الاستغفار وخفض الجانب وكثرة الصدقة** »(٥).

كما انه (عليه السلام) اشار الى فوريّتها وحذّر من التسويف بها بقوله : « **تأخير التوبة اغترار، وطول التسويف حيرة، والاعتلال على الله هلكة، والاصرار على الذنب أمنٌ**

(١) مستدرك عوالم العلوم : ٢٣ / ٢٧٥ .
(٢) مستدرك عوالم العلوم : ٢٣ / ٢٧٨ .
(٣) مستدرك عوالم العلوم : ٢٣ / ٢٧٨ .
(٤) مستدرك عوالم العلوم : ٢٣ / ٢٧٩ .
(٥) مستدرك عوالم العلوم : ٢٣ / ٢٧٩ .

لمكر الله ﴿ ولا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون ﴾[١]»[٢].

٣ ـ احكام تنظيم الجماعة الصالحة واعدادها لدور الغيبة

أ ـ نظام الوكلاء ودقة التحرّك :

إنّ بناء الجماعة الصالحة وتنظيم شؤونها وتحرّك الائمة (عليهم السلام) من خلالها كان هدفاً أساسياً لأهل البيت (عليهم السلام) وقد قاموا بإشادة صرحه منذ عصر الإمام عليّ ابن أبي طالب (عليه السلام) واستمروا بإكمال البناء وتعميق الطرح وتوسيع دائرة العمل حتى عصر الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) وابنه الإمام المهدي عجل الله فرجه .

لقد كانت رقابة السلطة الحاكمة على تحرّكات أهل البيت (عليهم السلام) تزيد في ضرورة إكمال الطرح والبناء . وكان لأصحاب الأئمة (عليهم السلام) وتلامذتهم وثقاتهم دور رساليّ في تحقيق بعض أهداف الأئمة من أهل البيت (عليهم السلام) وكان لاتّساع دائرة افراد الجماعة الصالحة وتعدد مراكز النشاط والحضور في مختلف حواضر العالم الاسلامي أثر كبير في ايجاد وتوسيع دائرة نظام الوكلاء الذي كان قد أصبح ضرورة من ضرورات عمل الائمة(عليهم السلام) ليساعدهم على سهولة وسرعة التحرّك والارتباط .

كما كان لازدياد الضغط والرقابة عليهم لا سيما في عصر الإمام الرضا (عليه السلام) بعد قبوله ولاية العهد ثم الإمام الجواد (عليه السلام) أثر بالغ في الاهتمام الكبير بنظام الوكلاء الذي كان يشرف عليه الإمام المعصوم مباشرة، إذ كان الارتباط بالوكلاء بحاجة الى دقة ومراقبة لحراجة الظرف المحيط بالإمام (عليه السلام) .

---

(١) الاعراف (٧): ٩٧ .

(٢) تحف العقول : ٤٥٦ .

إن البحث عن دقة الإمام الجواد (عليه السلام) في التحرك بعد الاعتراف بأنه الإمام المعصوم والقائد الشرعي للأُمة المسلمة الذي ورث العلم والخط الصحيح من آبائه الميامين المنتجبين (عليهم السلام) يكون بحثاً مفروغاً منه .

وإنّ دراسة حياة الإمام الجواد (عليه السلام) تكشف للدارس بشكل واضح وجليّ مدىٰ الدقة والمتانة في التحرك عند الإمام (عليه السلام) ، فكل مفردة مرتبطة مع نظيرتها ومتجانسة مع ظرفها ومعبرة عن رأي الرسالة في ذلك الموضوع .

وعند الحديث عن أساليب العمل عند الإمام (عليه السلام) يَرد هذا الكلام كذلك ، وسنذكر لتوضيح هذه القضية نماذج لتبيان المقصد .

ومن أُصول التحرّك عند الإمام (عليه السلام) تجاه قواعده الشعبية يمكن ذكر ما يلي :

ب ـ المراسلات السرّية :

لا شك في ان الاتصالات كانت جارية بين الإمام وأتباعه إلّا أن بعضها كان سرياً وذلك خشية تفشّي أسماء مرسليها إلى الإمام خصوصاً وأن الإمام كان مرصوداً من الداخل عن طريق زوجته .

هذا إلى جانب انّ نمطاً معيناً من الرسائل كان يصل الإمام دون ذكر أسماء مرسليها عليها ، ولكن الإمام (عليه السلام) كان يستطيع معرفة المرسلين لهذه الرسائل بطريقته الخاصة، ولا نستبعد ان ذلك كان يتم عن طريق وجود رمز معين في هذه الرسائل ، هذا اذا لم نحاول تفسير ذلك بعلم الإمام المعصوم بالغيب ، باعتبار أنه : إذا أراد الإمام أن يعلم شيئاً أعلمه الله ذلك[1] .

قال أبو هاشم داود بن القاسم الجعفري : «دخلت على أبي جعفر

---

(١) راجع أُصول الكافي : ١ / ٢٠١ .

الثاني(عليه السلام) ومعي ثلاث رقاع غير معنونة واشتبهت عليّ فاغتممت لذلك ، فتناول إحداهن وقال : **هذه رقعة ريّان بن شبيب** ثم تناول الثانية فقال : **هذه رقعة محمد بن حمزة** وتناول الثالثة وقال : **هذه رقعة فلان** فبهت فنظر اليّ وتبسّم(عليه السلام)»[١].

وقد أُحصيت مكاتبات الإمام الجواد(عليه السلام) ـ بحسب ما جاء في موسوعة الإمام الجواد(عليه السلام) ـ فبلغت اثنين وسبعين مكاتبة[٢].

ج ـ الإحاطة بدقائق الأُمور الاجتماعية :

لم يكن الإمام (عليه السلام) بمنأىً وبمعزل عن مجتمعه ، بل كان حاضراً دائماً بين الناس يعيش احتياجاتهم وتطلّعاتهم .

وهناك أمثلة كثيرة تعكس مثل هذا التوجه عند الأئمة (عليهم السلام) .

والإمام الجواد (عليه السلام) ينطبق عليه ما ينطبق على أجداده ومن ذلك هذا المثال :

جاء في تكملة الرواية السابقة ان داود بن القاسم الجعفري قال : وأعطاني أبو جعفر ثلاثمائة دينار في صرّة وأمرني أن أحملها إلى بعض بني عمّه وقال: « **أما انه سيقول لك دلّني على حرّيف يشتري لي بها متاعاً فدلّه عليه .**

قال : فأتيته بالدنانير فقال لي : **يا أبا هاشم دلّني على حرّيف يشتري لي بها متاعاً . ففعلت**»[٣].

يتضح من هذا المثال أنّ الإمام (عليه السلام) كان يتتبع الاحتياجات ويسعىٰ الى سدّها .

---

(١) إعلام الورى بأعلام الهدى : ٢ / ٩٨ .

(٢) راجع موسوعة الإمام الجواد(عليه السلام): ٢/٤١٣ ـ ٥١٥ .

(٣) إعلام الورى بأعلام الهدى : ٢ / ٩٨ .

د ـ متابعة تربية الأفراد:

ومن الأُمور التي تصدّى لها الإمام الجواد(عليه السلام) اهتمامه بتربية أتباعه وشيعته ومتابعته لتربيتهم، ومن الأمثلة على ذلك موقفه من الشاعر المعروف دعبل الخزاعي:

فعن دعبل بن علي: «انه دخل على الرضا(عليه السلام) فأمر له بشيء فأخذه ولم يحمد الله، فقال له: لِمَ لَمْ تحمد الله؟ قال: ثم دخلت على أبي جعفر فأمر له بشيء فقلت: الحمد لله. فقال: تأدّبت»[1].

إنّ هذا المثال يكشف عن تتبع الإمام(عليه السلام) لسلوك أتباعه واهتمامه بتكاملهم الثقافي والروحي.

٤ ـ التمهيد لإمامة علي الهادي(عليه السلام) المبكرة

من المهام التي اشترك فيها الائمة (عليهم السلام) دعوتهم الى الإمام الآتي بعدهم. وقد سار الإمام الجواد (عليه السلام) على منهج آبائه في قضية الدعوة الى الإمام القادم بعده وترسيخ ذلك عند الطليعة المؤمنة من الأُمة، وفيما يأتي أمثلة على هذا الأمر عند الإمام (عليه السلام):

أ ـ عن الخيراني عن أبيه انه قال: كنت الزم باب أبي جعفر (عليه السلام) للخدمة التي وُكّلت بها، وكان احمد بن محمد بن عيسى الاشعري يجيء في السحر من آخر كل ليلة ليتعرف خبر علّة أبي جعفر (عليه السلام)، وكان الرسول الذي يختلف بين أبي جعفر وبين الخيراني إذا حضر قام أحمد وخلا به.

---

(١) كشف الغمة: ٢ / ٣٦٣.

قال الخيراني : فخرج ذات ليلة وقام أحمد بن محمد بن عيسى عن المجلس ، وخلا بي الرسول ، واستدار احمد فوقف حيث يسمع الكلام ، فقال الرسول : ان مولاك يقرأ عليك السلام ، ويقول لك : « **اني ماضٍ ، والأمر صائر الى ابني علي ، وله عليكم بعدي ماكان لي عليكم بعد أبي** » .

ثم مضى الرسول ورجع احمد الى موضعه ، فقال لي : ما الذي قال لك ؟ قلتُ : خيراً ، قد سمعتُ ما قال ، وأعادَ عليّ ما سمع ، فقلتُ له : قد حرّم الله عليك ما فعلت ، لانَ الله تعالى يقول : ﴿ **ولا تجسّسوا** ﴾[1] ، فاذا سمعت فاحفظ الشهادة لعلّنا نحتاج اليها يوماً ما ، واياك ان تظهرها الى وقتها .

قال: واصبحتُ وكتبتُ نسخة الرسالة في عشر رقاع ، وختمتها ودفعتها الى عشرةٍ من وجوه أصحابنا ، وقلتُ : إن حدث بي حدثُ الموت قبل ان اطالبكم بها فافتحوها واعملوا بما فيها .

فلمّا مضى أبو جعفر (عليه السلام) لم اخرج من منزلي حتى عرفتُ أن رؤساء العصابة قد اجتمعوا عند محمد بن الفرج[2] يتفاوضون في الأمر . وكتب اليّ محمد ابن الفرج يُعلِمُني باجتماعهم عنده ويقول : لولا مخافةُ الشهرة لصرتُ معهم اليك ، فأُحِبّ أنْ تركب اليّ . فركبتُ وصرتُ اليه ، فوجدتُ القومَ مجتمعين عنده ، فتجارينا في الباب ، فوجدت اكثرهم قد شكّوا ، فقلتُ لمن عنده الرقاع ـ وهم حضور ـ : أخرجوا تلك الرقاع ، فأخرجوها ، فقلت لهم : هذا ما امرتُ به .

فقال بعضهم : قد كنّا نحبّ ان يكون معك في هذا الأمر آخر ليتأكّد القول .

فقلتُ لهم : قد أتاكم الله بما تحبّون ، هذا أبو جعفر الاشعري يشهد لي

(١) الحجرات (٤٩): ١٢.

(٢) هو محمد بن الفرج الرُّخجي، من اصحاب الرضا والجواد والهادي (عليهم السلام) .

بسماع هذه الرسالة فاسألوه ، فسأله القوم فتوقّف عن الشهادة ، فدعوته الى المباهلة ، فخاف منها ، وقال : قد سمعتُ ذلك ، وهي مكرمةٌ كنتُ أُحبُّ ان تكون لرجلٍ من العرب ، فأما مع المباهلة فلا طريق الى كتمان الشهادة ، فلم يبرح القوم حتى سلّموا لأبي الحسن (عليه السلام)[1].

ب ـ عن اسماعيل بن مهران، قال : «لمّا خرج أبو جعفر (عليه السلام) من المدينة الى بغداد في الدفعة الأُولى من خرجتيه، قلت له عند خروجه : جُعلت فداك إنّي أخاف عليك في هذا الوجه ، فإلى من الأمر بعدك ؟ فكرّ بوجهه اليّ ضاحكاً وقال: ليس الغيبة حيث ظننت في هذه السنة ، فلمّا أُخرج به الثانية الى المعتصم صرت اليه، فقلتُ له : جُعلت فداك أنت خارج ، فإلى من هذا الأمر من بعدك ؟ فبكى حتى اخضلّت لحيته ، ثم التفت اليّ ، فقال : **عند هذه يُخاف عليّ ، الأمرُ من بعدي إلى ابني علي**»[2].

ج ـ عن محمد بن الحسين الواسطي انه سمع احمد بن أبي خالد مولى أبي جعفر يحكي انه اشهده على هذه الوصية المنسوخة :

« شهد أحمد بن أبي خالد مولى أبي جعفر أن أبا جعفر محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليهم السلام) أشهده أنه أوصى الى علي ابنه بنفسه وإخوانه وجعل أمر موسى[3] إذا بلغ إليه وجعل عبد الله بن المساور قائماً على تركته من الضياع والاموال والنفقات والرقيق وغير ذلك إلى أن يبلغ علي بن محمد ، صيّر عبد الله بن المساور ذلك اليوم اليه ، يقوم بأمر نفسه ، وإخوانه ويصيّر أمر موسى اليه ، يقوم لنفسه بعدهما على شرط أبيهما

(١) الارشاد : ٢ / ٢٩٨ ـ ٣٠٠.

(٢) أُصول الكافي : ١ / ٣٢٣.

(٣) يعني ابنه الملقب بالمبرقع المدفون بقم.

في صدقاته التي تصدق بها وذلك يوم الاحد لثلاث ليالٍ خلون من ذي الحجة سنة عشرين ومائتين وكتب أحمد بن أبي خالد شهادته بخطّه وشهد الحسن بن محمد ابن عبد الله بن الحسن بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليهم السلام) وهو الجوّاني على مثل شهادة أحمد بن أبي خالد في صدر هذا الكتاب وكتب شهادته بيده وشهد نصر الخادم وكتب شهادته بيده»[1].

قال الطبرسي بعد نقل هذه النصوص الثلاثة : والأخبار في هذا الباب كثيرة ، وفي إجماع العصابة على إمامته وعدم من يدّعي فيه إمامة غيره غناء عن إيراد الأخبار في ذلك ، هذا وضرورة أئمتنا (عليهم السلام) في هذه الأزمنة في خوفهم من أعدائهم وتقيّتهم منهم أحوجت شيعتهم في معرفة نصوصهم على من بعدهم الى ما ذكرناه من الاستخراج حتى أنّ أوكد الوجوه في ذلك عندهم دلائل العقول الموجبة للامامة وما اقترن الى ذلك من حصولها في ولد الحسين (عليه السلام) ، وفساد أقوال ذوي النحل الباطلة وبالله التوفيق[2].

٥ ـ الإمام الجواد (عليه السلام) وقضية الإمام المهدي (عجل الله فرجه) :

قضية الإمام المهدي عجل الله فرجه من القضايا الاساسية في المسيرة الاسلامية والمتتبع لآثار الرسول (صلى الله عليه وآله) والأئمة (عليهم السلام) لا يجد أحداً منهم غفل عن الدعوة اليها أو تجاهلها .

وعلى هذا المنهج سار الإمام الجواد (عليه السلام) فطرح قضية المهدي (عج) على الأُمة قاصداً من ذلك تركيز هذا المفهوم في أذهانها من جهة وإعدادها لاستقبال يومه من جهة ثانية ، ونذكر فيما يأتي نماذج من هذه الدعوة :

---

(١) أصول الكافي : ١ / ٢٦١ .

(٢) إعلام الورى : ٣٣٩ .

١ ـ عن عبد العظيم بن عبد الله الحسني (رضي الله عنه) قال : «قلت لمحمد بن علي ابن موسى (عليه السلام) : يامولاي ! اني لأرجو أن تكون القائم من أهل بيت محمد الذي يملأ الارض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً . فقال (عليه السلام) :

ما منّا الا قائم بأمر الله ، وهاد الى دين الله . ولكن القائم الذي يطهّر الله به الأرض من اهل الكفر والجحود ويملأها قسطاً وعدلاً هو الذي يخفى على الناس ولادته ، ويغيب عنهم شخصه ، ويحرم عليهم تسميته ، وهو سميّ رسول الله وكنيته ، وهو الذي تطوى له الارض ، ويذل له كل صعب ، يجتمع اليه من أصحابه عدّة أهل بدر : (ثلاثمائة وثلاثة عشر) رجلاً من أقاصي الارض وذلك قول الله عزوجل : ﴿ اينما تكونوا يأت بكم الله جميعاً إن الله على كل شيءٍ قدير ﴾ [1] . فاذا اجتمعت له هذه العدّة من أهل الاخلاص ، أظهر الله أمره ، فاذا كمل له العقد وهو (عشرة آلاف) رجل ، خرج باذن الله تعالى ، فلا يزال يقتل أعداء الله حتى يرضى الله عزوجل» [2] .

٢ ـ عن أبي تراب عبد الله موسى الروياني ، قال :

حدثنا عبد العظيم بن عبد الله بن علي بن الحسن بن زيد بن الحسن بن عليّ ابن أبي طالب (عليه السلام) الحسني قال :

«دخلت على سيدي محمد بن علي بن موسىٰ بن جعفر بن محمد بن عليّ ابن الحسين بن عليّ بن أبي طالب(عليهم السلام) وانا اريد ان اسأله عن القائم أهو المهدي او غيره فابتدأني فقال لي :

---

(١) البقرة (٢): ١٤٨.

(٢) الاحتجاج : ٢ / ٤٨١ ـ ٤٨٢.

يـاأبـا القـاسم إن القـائم منّا هـو المـهدي الذي يـجب ان يـنتظر فـي غـيبته ، ويـطاع فـي ظـهوره ، وهـو الثـالث مـن ولدي ، والذي بـعث مـحمداً (صلى الله عليه وآله) بـالنبوّة وخصّنا بـالإمامة ، انـه لو لم يـبق من الدنيا إلاّ يـوم واحـد لطـوّل الله ذلك اليـوم حـتى يـخرج فـيه فـيملأ الارض قسـطاً وعـدلاً كـما مـلئت جوراً وظـلماً ، وإنّ الله تـبارك وتعالى ليصلح له أمره في ليـلة ، كـما أصـلح أمـر كـليمه مـوسى (عليه السلام) اذ ذهـب ليـقتبس لأهـله نـاراً فـرجـع وهـو رسـولٌ نـبيٌ ، ثـم قـال (عليه السلام) : أفـضل أعـمال شـيعتنا انـتظار الفرج »[1] .

٣ـ عن حمدان بن سليمان قال : حدّثنا الصقر ابن أبي دلف ، قال : سمعت أبا جعفر محمد بن عليّ الرضا (عليه السلام) يقول :

« إنّ الإمام بعدي ابني عليّ ، أمره أمري ، وقوله قولي ، وطاعته طاعتي ، والإمام بعده ابنه الحسن ، أمره أمر أبيه ، وقوله قول أبيه ، وطاعته طاعة أبيه ، ثم سكت . فقلت له: ياابن رسول الله فمن الإمام بعد الحسن ؟ فبكى (عليه السلام) بكاءً شديداً ، ثم قال : إنّ من بعد الحسن ابنه القائم بالحق المنتظر . فقلت له : ياابن رسول الله لم سمّي القائم ؟ قال : لأنه يقوم بعد موت ذكره وارتداد أكثر القائلين بإمامته . فقلت له : ولم سمّي المنتظر ؟ قال : لأنّ له غيبة يكثر أيامها ويـطول أمـدها فـينتظر خـروجه المـخلصون ويـنكره المـرتابون ويستهزئ بذكره الجاحدون ، ويكذّب بها الوقّاتون ، ويهلك فيها المستعجلون ، وينجو فيها المسلمون . »[2]

(١) كمال الدين وتمام النعمة : ٣٧٧.
(٢) كمال الدين وتمام النعمة : ٣٧٨.

الفصل الثالث

مدرسة الإمام الجواد (عليه السلام) وتراثه

المبحث الأول: أصحاب الإمام الجواد (عليه السلام)

حفَّ جمهور كبير من العلماء والرواة بالامام أبي جعفر الجواد (عليه السلام) وهم يقتبسون من نمير علومه التي ورثها عن جده رسول الله (صلى الله عليه وآله) وكانوا يدوّنون أحاديثه وكلماته وماكان يدلي به من روائع الحكم والآداب.

ولهؤلاء الأعلام يرجع الفضل في تدوين ذلك التراث القيم الذي يعد من ذخائر الثروات الفكرية في الاسلام.

لقد عمل أصحاب الائمة (عليهم السلام) بوحي من عقيدتهم الدينية التي ألزمتهم بالحفاظ على أحاديث الائمة الاطهار وتدوينها، والتي يرجع اليها فقهاء الإمامية في استنباطهم للأحكام الشرعية، ولولاها لماكان لأتباع مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) هذا الفقه المتطور والعظيم الذي اعترف بأصالته وعمقه جميع رجال الفكر والقانون في العالم الاسلامي بل الانساني.

وما يدعو الى الاعتزاز بأصحاب الائمة (عليهم السلام) هو أنهم جهدوا على ملازمة الائمة (عليهم السلام) وتدوين أحاديثهم في وقت كان من أعسر الاوقات وأشدها حراجة وأعظمها ضيقاً، فقد ضربت الحكومات الجائرة العباسية والأموية معاً الحصار الشديد على الأئمة (عليهم السلام) ومنعت من الاتصال بهم لئلا تتبعهم الجماهير.

وقد بلغ التضييق على العلماء والرواة من أصحاب الائمة حداً بحيث كانوا لا يستطيعون ان يجهروا باسم الإمام الذي أخذوا عنه ، وإنّما كانوا يلمّحون إليه ببعض أوصافه وسماته من دون التصريح باسمه خشية القتل أو السجن .

ونظراً للحصار الأمني الذي كانت السلطة العباسية تفرضه على الإمام الجواد (عليه السلام) ، فقد أوعز (عليه السلام) لأصحابه بالتحرك في المجالات التي تتعسر عليه الحركة فيها .

ومن المجالات الأساسية التي تكتشف تحرّكات الإمام الجواد (عليه السلام) من خلالها هي تحرّكات أصحابه الذين ما كانوا يصدرون إلّا عنه، وذلك بحكم طاعتهم له وقبولهم لإرشاداته .

والسبب في ذكرنا لأصحاب الإمام الجواد ، هو أن نشاطاتهم العلمية والفكرية تعبّر عن توجهات الطليعة الواعية آنذاك تحت قيادة الإمام (عليه السلام) .

وفيما يلي نستعرض طائفة من هؤلاء الأصحاب الرواة الذين يعبّرون بصدق عن مدى نشاط وسعة مدرسة الإمام الجواد(عليه السلام).

١ ـ **الحسين بن سعيد الاهوازي:** ابن حمّاد الاهوازي ، ثقة ، روى عن الإمام الرضا(عليه السلام) وأبي جعفر (عليه السلام) وأبي الحسن الثالث .[١] وهو الإمام علي الهادي(عليه السلام) .

٢ ـ **اخوه الحسن بن سعيد الأهوازي:** من اصحاب الإمام الرضا (عليه السلام) والإمام الجواد [٢] .

لقد اشترك عمل الحسن والحسين الأهوازيان في التحرك مع الإمام

(١) حياة الإمام محمد الجواد (عليه السلام) : ١٣٩ ـ ١٤١ .

(٢) حياة الإمام محمد الجواد (عليه السلام) : ١٣٩ ـ ١٤١ .

الرضا (عليه السلام) ثم مع الإمام الجواد (عليه السلام) كما اشتركا في التصنيف وكان لهما دور في هداية بعض الأفراد .

كان الحسن بن سعيد هو الذي أدخل اسحاق بن ابراهيم الحضيني وعلي بن الريان بعد اسحاق الى الرضا (عليه السلام) ، وكان سبب معرفتهم لهذا الأمر أعني مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) ، ومنه سمعوا الحديث وبه عرفوا ، وكذلك فعل بعبد الله بن محمد الحضيني وغيرهم حتى جرت الخدمة على أيديهم وصنّفا الكتب الكثيرة ، ويقال ان الحسن صنف خمسين تصنيفاً .[١]

ويقول شيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي (رحمه الله) عند حديثه عن الحسين الأهوازي :

ثقة روىٰ عن الرضا وأبي جعفر الثاني وأبي الحسن الثالث (عليهم السلام) وأصله كوفي وانتقل مع أخيه الحسن (رحمه الله) الى الاهواز ثم تحوّل الى قم فنزل على الحسن ابن أبان وتوفي بقم ، وله ثلاثون كتاباً وهي :

١ ـ كتاب الوضوء
٢ ـ كتاب الصلاة
٣ ـ كتاب الزكاة
٤ ـ كتاب الصوم
٥ ـ كتاب الحج
٦ ـ كتاب النكاح والطلاق
٧ ـ كتاب الوصايا
٨ ـ كتاب الفرائض
٩ ـ كتاب التجارات
١٠ ـ كتاب الاجارات
١١ ـ كتاب الشهادات
١٢ ـ كتاب المناقب
١٣ ـ كتاب الايمان والنذور والكفارات
١٤ ـ كتاب البشارات
١٥ ـ كتاب الحدود والديات
١٦ ـ كتاب الزهد
١٧ ـ كتاب الاشربة
١٨ ـ كتاب المكاسب
١٩ ـ كتاب التقية
٢٠ ـ كتاب الخمس
٢١ ـ كتاب المروة والتجمل
٢٢ ـ كتاب الصيد والذبائح
٢٣ ـ كتاب المثالب
٢٤ ـ كتاب التفسير
٢٥ ـ كتاب المؤمن
٢٦ ـ كتاب الملاحم
٢٧ ـ كتاب المزار
٢٨ ـ كتاب الرد على الغالية
٢٩ ـ كتاب الدعاء
٣٠ ـ كتاب العتق والتدبير[٢]

---

(١) رجال الكشي : ٥٥٢ طبعة مشهد .
(٢) الفهرست للشيخ الطوسي ص٥٨ .

٣ ـ محمد بن اسماعيل: ابن بزيع ، عدّه الشيخ الطوسي من أصحاب الإمام الرضا والإمام الجواد (عليهما السلام) [١] وكان من خيار أصحاب الائمة (عليهم السلام) في ورعه وتقواه، ونتحدث ـ بايجاز ـ عن بعض شؤونه:

أ ـ اتصاله بالامام الرضا (عليه السلام): اتصل محمد بالإمام الرضا (عليه السلام) اتصالاً وثيقاً فكان (عليه السلام) ينظر اليه بعين الإكبار والتقدير ، وقد رُوي أن الإمام الرضا (عليه السلام) عندما ذكر عنده قال (عليه السلام) : « **وددت أنّ فيكم مثله** » [٢].

ب ـ مع الإمام الجواد (عليه السلام): واتصل محمد بن اسماعيل بالإمام الجواد(عليه السلام) اتّصالاً وثيقاً ، فقد روى عنه بعض الاحاديث المتعلقة بأحكام الشريعة ، وقد سأل الإمام أن يأمر له بقميص من قمصه ليجعله كفناً له فبعث اليه الإمام(عليه السلام) بذلك [٣].

٤ ـ احمد بن أبي عبد الله البرقي: أبو جعفر بن محمد بن خالد بن عبد الرحمن بن محمد بن علي البرقي وقد عدّه الشيخ الطوسي في كتاب رجاله تارة من اصحاب الجواد (عليه السلام) بعنوان احمد بن محمد بن خالد البرقي وأُخرى من اصحاب الإمام الهادي (عليه السلام) بعنوان احمد بن أبي عبد الله البرقي . [٤]

ومن الآثار الخالدة لهذا العلامة الكبير كتابه المحاسن . فلقد كان كتابه هذا مرجعاً لعلماء التاريخ والجغرافيا والتراجم كما كان مرجعاً لعلماء الحديث ومنه

---

(١) رجال الطوسي: ٤٠٥

(٢) حياة الإمام محمد الجواد (عليه السلام) : ١٦٤ .

(٣) حياة الإمام محمد الجواد (عليه السلام) : ١٦٤ .

(٤) مقدمة كتاب المحاسن، للسيد محمد صادق بحر العلوم.

نعرف عظمته وسعة علمه وسعة روايته واطلاعه وانه من اعاظم علماء الشيعة وثقات رجال الإمامين الجواد والهادي (عليهما السلام)[١].

٥ـ علي بن مهزيار: من ألمع أصحاب الإمام الجواد (عليه السلام)، ومن مشاهير علماء عصره فضلاً وتقوىٰ ونلمح الى بعض شؤونه:

اسلامه: كان علي بن مهزيار ينتحل المسيحية، فهداه الله الى الإيمان بالاسلام فأسلم وأخلص في اسلامه كأشدّ مايكون الاخلاص.[٢]

عبادته: ولم ير مثل علي بن مهزيار في طاعته وتقواه، وبلغ من عبادته انه اذا طلعت الشمس سجد لله فلا يرفع رأسه من السجود حتى يدعو لألف رجل من إخوانه بمثل ما دعا لنفسه، وكان على جبهته مثل ركبة البعير[٣] من كثرة السجود.

وثاقته في الرواية: أجمع المترجمون له على وثاقته في الرواية فقد قال النجاشي: كان ثقة في روايته لا يطعن عليه[٤].

مؤلفاته:

ألّف مجموعة كبيرة من الكتب تدل على سعة علومه ومعارفه، ومن بينها:

---

(١) مقدمة كتاب المحاسن، للسيد محمد صادق بحر العلوم.

(٢) حياة الإمام محمد الجواد (عليه السلام): ١٥٦.

(٣) رجال الكشي: ٥٤٨، طبعة مشهد.

(٤) رجال النجاشي: ٢٥٣.

١ ـ كتاب الوضوء	٢ ـ كتاب الصلاة	٣ ـ كتاب الزكاة
٤ ـ كتاب الصوم	٥ ـ كتاب الحج	٦ ـ كتاب الطلاق
٧ ـ كتاب الحدود	٨ ـ كتاب الديات	٩ ـ كتاب التفسير
١٠ ـ كتاب الفضائل	١١ ـ كتاب العتق والتدبير	١٢ ـ كتاب المكاسب
١٣ ـ كتاب المثالب	١٤ ـ كتاب الدعاء	١٥ ـ كتاب التجمل والمروة
١٦ ـ كتاب المزار	١٧ ـ كتاب الردّ على الغلاة	١٨ ـ كتاب الوصايا
١٩ ـ كتاب المواريث	٢٠ ـ كتاب الخمس	٢١ ـ كتاب الشهادات
٢٢ ـ كتاب فضائل المؤمنين وبرّهم	٢٣ ـ كتاب الملاحم	٢٤ ـ كتاب التقية
٢٥ ـ كتاب الصيد والذبائح	٢٦ ـ كتاب الزهد	٢٧ ـ كتاب الاشربة
٢٨ ـ كتاب النذور والايمان والكفارات	٢٩ ـ كتاب الحروف	٣٠ ـ كتاب القائم
٣١ ـ كتاب البشارات	٣٢ ـ كتاب الانبياء	٣٣ ـ كتاب النوادر
٣٤ ـ رسائل علي بن أسباط.(١)		

هذه المؤلفات تتنوّع بين فروع الفقه والعقيدة والتفسير والأخلاق على أن معظمها في الفقه الاسلامي وهي تدلّ على أنه كان من كبار الفقهاء في الاسلام.

رسائل الإمام الجواد (عليه السلام) إليه:

وبعث الإمام الجواد (عليه السلام) الى علي بن مهزيار عدة رسائل تكشف عن شدة صلته بالإمام (عليه السلام) وسموّ منزلته ومكانته عنده، ومن بين هذه الرسائل:

أ ـ «قد وصل اليّ كتابك، وفهمت ما ذكرت فيه، وقد ملأتني سروراً، فسرّك الله،

(١) رجال النجاشي: ٢٥٣.

وأنا ارجو من الكافي الدافع ان يكفيك كيد كل كائد ان شاء الله تعالى » [١] .

ودلت هذه الرسالة على قيام علي بن مهزيار بخدمة الإمام (عليه السلام) وقد ملأت قلبه الشريف فرحاً فراح يدعو له بأن يجزل له الله تعالى الأجر والثواب .

ب ـ « قد فهمت ما ذكرت من أمر القميين ـ خلصهم الله وفرّج عنهم ـ وسررتني بما ذكرت من ذلك ، ولم تزل تفعل ، سرّك الله بالجنة ، ورضي عنك ، برضائي عنك ، وأنا ارجو من الله العفو والرأفة ، وأقول : حسبنا الله ونعم الوكيل » [٢] .

وهذه الرسالة كشفت عن إنقاذ ابن مهزيار للقمّيين من محنة كانوا فيها مما أوجب سرور الإمام ودعائه له بالفوز بالفردوس الاعلى .

ج ـ « فأشخص الى منزلك صيّرك الله الى خير منزل في دنياك وآخرتك » [٣] .

لقد أمره الإمام (عليه السلام) بالشخوص الى منزله بعد ما أدىٰ ما عليه من الخدمة للإمام (عليه السلام) .

د ـ « وأسأل الله أن يحفظك من بين يديك ، ومن خلفك ، وفي كل حالاتك فابشر فإني ارجو ان يدفع الله عنك ، واسأل الله ان يجعل لك الخيرة فيما عزم لك به عليه من الشخوص في يوم الأحد ، فأخر ذلك الى يوم الاثنين إن شاء الله ، صحبك الله في سفرك ، وخلفك في اهلك ، وأدى عنك أمانتك ، وسلمت بقدرته » [٤] .

هـ ـ وكتب ابن مهزيار الى الإمام (عليه السلام) يسأله التوسعة عليه وتحليله لما في يده من مال للامام فأجابه (عليه السلام) :

« وسع الله عليك ، ولمن سألت له التوسعة في أهلك وأهل بيتك ، ولك ياعلي عندي

---

(١) رجال الكشي: ٥٥٠، طبعة مشهد .

(٢) رجال الكشي : ٥٥٠ طبعة مشهد.

(٣) عن رجال الكشي: ٥٥٠ طبعة مشهد.

(٤) رجال الكشي: ٥٥١ طبعة مشهد.

اكثر من التوسعة ، وأنا اسأل الله ان يصحبك بالتوسعة والعافية ، ويقدّمك على العافية ، ويسترك بالعافية انه سميع الدعاء »[١].

وقد أجاز الإمام (عليه السلام) بما طلبه من المال ودعا له بأخلص الدعاء.

و ـ وكتب علي بن مهزيار الى الإمام (عليه السلام) يطلب منه الدعاء له فأجابه (عليه السلام) : « وأما ما سألت من الدعاء فانك بعد لست تدري كيف جعلك الله عندي وربما سمّيتك باسمك ونسبك ، مع كثرة عنايتي بك ومحبتي لك ومعرفتي بما انت عليه فأدام الله لك افضل ما رزقك من ذلك ورضي عنك ، وبلغك افضل نيتك ، وأنزلك الفردوس الاعلىٰ برحمته انه سميع الدعاء ، حفظك الله وتولاك ، ودفع عنك السوء برحمته ، وكتبت بخطي »[٢].

ز ـ « ياعلي أحسن الله جزاك ، وأسكنك جنّته ، ومنعك من الخزي في الدنيا والآخرة ، وحشرك الله معنا ، ياعلي قد بلوتك وخبرتك في النصيحة والطاعة والخدمة والتوقير ، والقيام بما يجب عليك ، فلو قلت : اني لم أرَ مثلك لرجوت ان اكون صادقاً ، فجزاك الله جنات الفردوس نزلاً ، وما خفي عليّ مقامك ، ولا خدمتك في الحرّ والبرد ، والليل والنهار ، فأسأل الله اذا جمع الخلائق للقيامة ان يحبوك برحمة تغتبط انه سميع الدعاء »[٣].

وهكذا تعطي رسائل الإمام (عليه السلام) لعلي بن مهزيار صورة مشرقة عن سمّو منزلته وعظيم مكانته عند الإمام (عليه السلام) وانه نسخة لا ثاني لها في تقواه وورعه.

٦ ـ صفوان بن يحيى: هو صفوان بن يحيى أبو محمد البجلي بياع السابري ،

---

(١) رجال الكشي: ٥٥١ طبعة مشهد.

(٢) رجال الكشي : ٥٥١ طبعة مشهد.

(٣) حياة الإمام محمد الجواد (عليه السلام) : ١٥٩.

كوفي، ثقة، ثقة عين، روى أبوه عن أبي عبد الله (عليه السلام) وروى هو عن الرضا (عليه السلام) وكانت له عنده منزلة شريفة ذكره الكشي في رجال أبي الحسن موسى (عليه السلام) وقد توكل للرضا وأبي جعفر (عليه السلام) وسلم مذهبه من الوقف، وكانت له منزلة من الزهد والعبادة وكان جماعة الواقفة بذلوا له مالاً كثيراً وكان شريكاً لعبد الله بن جندب وعلي بن النعمان وروي انهم تعاقدوا في بيت الله الحرام انه من مات منهم صلى من بقي صلاته وصام عنه صيامه وزكّىٰ عنه زكاته فماتا وبقي صفوان فكان يصلي في كل يوم مائة وخمسين ركعة ويصوم في السنة ثلاثة اشهر ويزكي ثلاث دفعات وكل ما يتبرع به عن نفسه ما عدا ما ذكرناه تبرع عنهما ما مثله.

وحكى أصحابنا أنّ إنساناً كلفه حمل دينارين الى اهله الى الكوفة فقال: إن جمالي مكرية وأنا استأذن الاجراء. وكان من الورع والعبادة على ما لم يكن عليه أحد من طبقته (رحمه الله) وصنف ثلاثين كتاباً كما ذكر أصحابنا يعرف منها الآن:

١ ـ كتاب الوضوء ٢ ـ كتاب الصلاة ٣ ـ كتاب الحج

٤ ـ كتاب الزكاة ٥ ـ كتاب النكاح ٦ ـ كتاب الطلاق

٧ ـ كتاب الفرائض ٨ ـ كتاب الوصايا ٩ ـ كتاب الشري والبيع

١٠ ـ كتاب العتق والتدبير ١١ ـ كتاب البشارات والنوادر

مات صفوان بن يحيىٰ (رحمه الله) سنة عشرة ومائتين »[1].

وترحّم عليه الإمام الجواد (عليه السلام) وشهد له بأنه كان من حزب آبائه الكرام وهو حزب الله المفلحون.

---

(١) رجال النجاشي: ١٤٩، وراجع غيبة الشيخ الطوسي: ٢١٦ والكشي: ٥٠٢ ـ ٥٠٣ طبعة مشهد.

٧ ـ عبد الله بن الصلت: هو عبد الله بن الصلت أبو طالب القمي مولى بني تيم اللات ابن تغلبة. حمدان بن احمد النهدي قال:

حدثنا أبو طالب القمي قال: كتبت الى أبي جعفر ابن الرضا يأذن لي أن أندب أبا الحسن ـ أعني أباه ـ فقال: فكتب اليّ «**اندبني واندب أبي**»[١].

٨ ـ علي بن اسباط: هو علي بن اسباط بن سالم الكندي بياع الزطي كوفي، قال الكشي انه كان فطحياً ولعلي بن مهزيار اليه رسالة في النقض عليه مقدار جزء صغير، وقال النجاشي انه كان فطحياً جرى بينه وبين علي بن مهزيار رسائل في ذلك، فرجعوا فيها الى أبي جعفر الثاني (عليه السلام) فرجع علي بن اسباط عن ذلك القول وقد روى عن الرضا (عليه السلام) من قبل ذلك وكان ثقة أوثق الناس وأصدقهم لهجة فأنا اعمد على روايته، له اصل وروايات[٢].

من كتبه:

١ ـ كتاب الدلائل

٢ ـ كتاب التفسير

٣ ـ كتاب المزار

٤ ـ كتاب نوادر مشهور[٣]

٩ ـ ابراهيم بن أبي محمود الخراساني: من ثقاة الرواة عن الإمام الجواد (عليه السلام)، كما ذكر الكشي في رجاله، وقد روى عن الإمام موسى الكاظم وعلي بن موسى الرضا (عليهما السلام).

---

(١) رجال الكشي: ٢٧٥.

(٢) جامع الرواة: ١ / ٥٥٤.

(٣) رجال النجاشي: ١٩٠.

١٠ ـ **ابراهيم بن محمد الهمداني:** من الرجال الاجلاء ، وقد روىٰ عن الإمام الجواد وأبيه الرضا وولده الهادي (عليهم السلام).

١١ ـ **احمد بن محمد بن أبي نصر البزنطي الكوفي:** كان عظيم المنزلة عند الإمام الجواد (عليه السلام) وأبيه الرضا (عليه السلام) كما كان جليل القدر.

١٢ ـ **أحمد بن معافي:** من أصحاب الجواد (عليه السلام).

١٣ ـ **جعفر بن محمد بن يونس الأحول:** من اصحاب الجواد وأبيه وولده (عليهم السلام).

١٤ ـ **الحسين بن بشار المدايني:** من أصحاب الجواد وابيه وجده (عليهم السلام).

١٥ ـ **الحكم بن علياء الاسدي:** من أصحاب الجواد (عليه السلام).

١٦ ـ **حمزة بن يعلى الاشعري أبو يعلى القمي:** كان ثقة ووجه ، روى عن الجواد وأبيه (عليهما السلام).

١٧ ـ **داود بن القاسم بن اسحاق بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب:** يكنى أبا هاشم الجعفري ، من اهل بغداد . جليل القدر ثقة عظيم المنزلة عند الائمة (عليهم السلام). صاحب الإمام الجواد (عليه السلام) وروى عنه كما روىٰ عن ولده الهادي وحفيده العسكري (عليهما السلام).

١٨ ـ **صالح بن محمد الهمداني:** من أصحاب الجواد (عليه السلام) وولده الهادي (عليه السلام).

١٩ ـ **عبد الجبار بن المبارك النهاوندي:** من أصحاب الجواد (عليه السلام) وأبيه (عليه السلام).

٢٠ ـ **عبد العظيم بن عبد الله بن علي بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب (عليه السلام):** يكنى بأبي القاسم ، كان عابداً ورعاً من خواص أصحاب الإمام

الجواد (عليه السلام)، وصاحب ولده الإمام الهادي (عليه السلام) وحفيده العسكري (عليه السلام) وقد عدّ الإمام الهادي (عليه السلام) زيارة قبره كفضل زيارة قبر الحسين (عليه السلام).

٢١ ـ عثمان بن سعيد العمري : يكنى أبا عمرو والسمّان ويقال له : الزيات الأسدي . ثقة جليل القدر من أصحاب الجواد (عليه السلام)، عاصر الإمام العسكري (عليه السلام) وصار له وكيلاً .

٢٢ ـ علي بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين (عليه السلام) : كان شديد الورع ، كثير الفضل ، جليل القدر . روى كثيراً عن الائمة (عليهم السلام) . صاحب الجواد ومن قبله الصادق والكاظم والرضا (عليهم السلام).

٢٣ ـ علي بن بلال البغدادي : من اصحاب الإمام الجواد (عليه السلام) فحسب .

٢٤ ـ الفضل بن شاذان بن الخليل أبو محمد الازدي النيسابوري: كان ثقة جليلاً فقيهاً متكلماً . ترحم عليه الإمام العسكري (عليه السلام)، روى عن الإمام الجواد (عليه السلام)، وذكر انه روى عن الرضا (عليه السلام).

٢٥ ـ محمد بن عبد الجبار : وهو ابن أبي الصّهبان « قمي » من أصحاب الجواد وولده الهادي وحفيده العسكري (عليهم السلام).

٢٦ ـ أبو علي محمد بن عيسى بن عبد الله بن سعد بن مالك الأشعري: شيخ القميين روى عن الإمام الجواد (عليه السلام) وسمع من الإمام الرضا (عليه السلام).

٢٧ ـ نوح بن شعيب البغدادي : كان فقيهاً عالماً صالحاً مرضياً وهو من أصحاب الجواد (عليه السلام).

٢٨ ـ يعقوب بن اسحاق السكيت (أبو يوسف) : كان عالماً باللغة ، من خواص الإمام الجواد (عليه السلام)، ومُقدماً عنده ، وكان كذلك عند الإمام الهادي (عليه السلام)، قتله المتوكل لتشيعه لأهل البيت (عليهم السلام).

٢٩ ـ أبو يوسف الكاتب يعقوب بن يزيد بن حماد الأنباري: ثقة صدوق ـ روى عن الإمام الجواد، وكان من أصحاب أبيه (عليه السلام) قبله.

٣٠ ـ أبو الحصين بن الحضين الحضيني: من أصحاب الجواد (عليه السلام) وولده الهادي (عليه السلام).

وقد أحصى الشيخ العطاردي صاحب مسند الإمام الجواد (عليه السلام) مئةً وواحداً وعشرين راوياً من رواة أحاديث الإمام الجواد (عليه السلام) بما فيهم أصحابه ووكلاؤه وخواصّه الذين يشكّلون طائفة من كبار الفقهاء ووجهاء الطالبيين والطالبيّات وشعراء الإمام ومن حظي بخدمة الإمام (عليه السلام) في زمن أبيه الرضا (عليه السلام) وبعده وهو عصر الإمام الجواد (عليه السلام).

بينما أحصى السيد محمد كاظم القزويني في كتابه، الإمام الجواد من المهد الى اللحد (٢٧٥) شخصاً من الرجال والنساء تحت عنوان: أصحاب الإمام الجواد (عليه السلام).

لقد شكل الإمام الجواد (عليه السلام) تياراً من الأصحاب المخلصين لرسالته كرواة حديث وفقهاء ومتكلمين ودعاة للفضيلة والاصلاح في الامة وروّاد للتغيير في الأوضاع المتردية للمجتمع الإسلامي وقتذاك.

وهكذا أسدى الإمام محمد الجواد (عليه السلام) للإسلام وحركته العظمى كل ماكان بمقدوره أن يسديه من خدمات جليلة في ظل الفرص والامكانات المتاحة، والمعوقات التي فرضها الواقع الموضوعي ومع الرعاية التامة لمتطلبات الحكمة.

وقد تمّ للإمام (عليه السلام) ما أراد فيما كان لتلاميذه دور ايجابي فاعل في نشر الفضيلة والحق والمعروف والهدى بين الناس من خلال رواياتهم وارشاداتهم ومؤلفاتهم الجليلة.

البحث الثاني: تراث الإمام الجواد(عليه السلام)

بالرغم من قصر المدة التي عاشها الإمام محمد الجواد (عليه السلام) وهي خمسة وعشرون سنة منذ ولادته وحتى استشهاده، وهو أقصر عمر نراه في أعمار الائمة الاثني عشر (عليهم السلام) من أهل بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله)، إلاّ أنّ التراث الذي وصل إلينا إذا قارنّاه بالظروف التي أحاطت بالامام (عليه السلام) وبشيعته وقارنّاه بأعمار من سبقه من آبائه الكرام والتي يبلغ معدّلها ضعف عمر هذا الإمام العظيم، نجده غنياً من حيث تنوّع مجالاته، ومن حيث سموّ المستوىٰ العلمي المطروح في نصوصه وحجمه، ومن حيث دلالاته التي تعتبر تحدّياً صارخاً عند ملاحظة صدور هذا التراث من مثل هذا الإمام الذي بدأ بالإشعاع والعطاء منذ ولادته وحتى سِنيّ إمامته وهو لم يبلغ عقداً واحداً من العمر.

وقد أشرنا الى جوانب من هذا التراث في بحوث سابقة وذكرنا نماذج منه. وبقي علينا أن نشير الى جوانب أُخرىٰ من هذا التراث العظيم إكمالاً للفائدة وإتماماً للحديث عن هذا الجانب المغمور من جوانب حياة هذا الإمام العظيم.

١ ـ من تراثه التفسيري

أ ـ عن داود بن قاسم الجعفري قال: «قلت لأبي جعفر الثاني (عليه السلام): جُعلت فداك ما الصمد؟ قال: **السيد المصمود إليه في القليل والكثير**».(١)

ب ـ عن أبي هاشم الجعفري قال: «سألت أبا جعفر الثاني (عليه السلام) ما معنى

(١) أصول الكافي: ١ / ١٢٣.

الواحد ؟ قال : الذي اجتماع الألسن عليه بالتوحيد كما قال الله عزّوجل : ﴿ ولئن سئلتهم من خلق السموات والأرض ليقولنّ الله ﴾ »[١].

ج ـ عن جعفر بن محمد الصوفي قال : «سألت أبا جعفر (عليه السلام) محمد بن علي الرضا (عليه السلام) وقلت له : يا ابن رسول الله لم سمّي النبيّ الأُميّ ؟ لأنه لم يكتب ؟ فقال : كذبوا عليهم لعنة الله أنّى يكون ذلك والله تبارك وتعالى يقول في محكم كتابه : ﴿ هو الذي بعث في الأُميين رسولاً منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلّمهم الكتاب والحكمة ﴾ فكيف كان يعلّمهم ما لا يحسن ؟ ! والله لقد كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقرأ ويكتب باثنين وسبعين أو بثلاثة وسبعين لساناً ، وإنّما سُمّي الأُميّ لأنه كان من أهل مكة ، ومكة من أُمّهات القرى ، وذلك قول الله تعالى في كتابه : ﴿ لتنذر أُمّ القرى ومن حولها ﴾ »[٢]

ولا بد أن نشير هنا الى أن الإمام (عليه السلام) قد أعطى من خلال هذه النماذج صورة مصداقية لفهم المصطلحات والمفاهيم القرآنية من خلال القرآن نفسه وهو المنهج الذي عرف فيما بعد بتفسير القرآن بالقرآن .

ثم إنّ هذا المعنى للأُمّي لا ينفي عدم تعلّم النبي للقراءة والكتابة من أحد والذي يشكّل نقطة إعجازية في حياته (صلى الله عليه وآله) ، وفي عدم تعلّمه من أحد واتصافه بأعلى مستويات المقدرة على التعليم دليل قاطع على ارتباطه بالله العليم المعلم للانسان ما لم يعلم .

د ـ وعن عمرو بن أبي المقدام قال : «سمعت أبا الحسن وأبا جعفر (عليهما السلام) يقول في هذه الآية : ﴿ ولا يعصينك في معروف ﴾ قال : إنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال لفاطمة (عليها السلام) : إذا أنا مُتّ فلا تخمشي عليّ وجهاً ولا ترخي عليّ شعراً ، ولا تنادي بالويل ولا تقيمي عليّ نائحة ، ثم قال : هذا المعروف الذي قال الله عزّوجلّ في كتابه :

---

(١) التوحيد : ٨٣.

(٢) بصائر الدرجات : ٢٢٥ ، وعلل الشرائع : ١ / ١١٨ .

﴿ولايعصينك في معروف﴾.»[١]

هـ ـ وروي في الكافي عن أبي جعفر الجواد (عليه السلام) قال: «قال الله عزوجل في ليلة القدر: ﴿فيها يفرق كل أمر حكيم﴾ يقول: ينزل فيها كل أمر حكيم.

والمحكم ليس بشيئين، إنّما هو شيء واحد، فمن حكم بما ليس فيه اختلاف فحكمه من حكم الله عزّوجلّ، ومن حكم بأمر فيه اختلاف فرأى أنه مصيب فقد حكم بحكم الطاغوت.

إنه لينزل في ليلة القدر إلى وليّ الأمر تفسير الأُمور سنة سنة، يؤمر فيها في أمر نفسه بكذا وكذا، وفي أمر الناس بكذا وكذا.

وإنّه ليحدث لوليّ الأمر سوى ذلك كلّ يوم علم الله عزّوجل الخاص والمكنون العجيب المخزون، مثل ماينزل في تلك الليلة من الأمر. ثمّ قرأ: ﴿ولو أنّما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمدّه من بعده سبعة أبحر مانفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم﴾»[٢].

٢ ـ من تراثه الكلامي

أ ـ ضرورة التحصين العقائدي: روى في الاحتجاج عن الإمام محمد الجواد (عليه السلام) أنه قال: «من تكفّل بأيتام آل محمد المنقطعين عن إمامهم المتحيّرين في جهلهم الأُسارى في أيدي شياطينهم وفي أيدي النواصب من أعدائنا فاستنقذهم منهم وأخرجهم من حيرتهم وقهر الشياطين بردّ وساوسهم وقهر الناصبين بحجج ربّهم ودلائل أئمتهم ليحفظوا عهد الله على العباد بأفضل الموانع بأكثر من فضل السماء على الأرض والعرش والكرسي والحجب على السماء، وفضلهم على العباد كفضل القمر ليلة البدر على

(١) معاني الأخبار: ٣٩٠.
(٢) أصول الكافي: ١ / ٢٤٨.

أخفى كواكب السماء ».(١)

ب ـ التوحيد : وروي أيضاً عن أبي داود بن القاسم الجعفري أنه قال : «قلت لأبي جعفر الثاني (عليه السلام) : ﴿ قل هو الله أحد ﴾ ، ما معنى الأحد ؟ قال (عليه السلام) : المجمع عليه بالوحدانية أما سمعته يقول : ﴿ ولئن سئلتهم من خلق السماوات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولنّ الله ﴾ ثم يقولون بعد ذلك له شريك وصاحبة .

فقلت : قوله ﴿ لا تدركه الأبصار ﴾ ؟ قال (عليه السلام) : «يا أبا هاشم ! أوهام القلوب أدقّ من أبصار العيون ، أنت قد تدرك بوهمك السند والهند ، والبلدان التي لم تدخلها ، ولم تدرك ببصرك ذلك ، فأوهام القلوب لا تدركه ، فكيف تدركه الأبصار ؟»(٢)

ج ـ النبوة : عن الحسن بن عبّاس بن حريش عن أبي جعفر (عليه السلام) قال : «قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : إنّ أرواحنا وأرواح النبيين توافي العرش كل ليلة جمعة فتصبح الأوصياء وقد زيد في علمهم مثل جمّ الغفير من العلم ».(٣)

د ـ الامامة : وروي عنه أيضاً : «أنّ أمير المؤمنين (عليه السلام) قال لابن عباس : إنّ ليلة القدر في كل سنة ، وانه لينزل في تلك الليلة أمر السنة ولذلك الأمر ولاةٌ بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) » فقال ابن عباس : من هم ؟ قال : أنا وأحد عشر من صلبي أئمة محدّثون ».(٤)

هـ ـ وسأله أبو هاشم الجعفري : هل يبدو لله في المحتوم ؟ قال : « نعم . قال : فقلنا له : فنخاف أن يبدو لله في القائم (عليه السلام) ؟ فقال :«إنّ القائم من الميعاد والله لا يخلف الميعاد » .(٥)

و ـ عن بنان بن نافع عن أبي جعفر الثاني (عليه السلام) : « إنّا معاشر الأئمة إذا حملته

---

(١) الاحتجاج : ١ / ٩ .

(٢) الاحتجاج : ٢ / ٢٣٨ .

(٣) بصائر الدرجات : ١٣٢ .

(٤) أصول الكافي : ١ / ٥٣٢ .

(٥) غيبة النعماني : ٣٠٢ .

أُمّه يسمع الصوت من بطن أُمّه أربعين يوماً فإذا أتى له في بطن أُمّه أربعة أشهر رفع الله تعالى له أعلام الأرض فقرب له ما بَعُدَ عنه حتى لا يعزب عنه حلول قطرة غيثٍ نافعة ولا ضارة» .[1]

ز ـ قال عمرو بن الفرج الرُخجي : «قلت لأبي جعفر (عليه السلام) : إن شيعتك تدّعي أنك تعلم كل ماء في دجلة ووزنه ؟ وكنا على شاطئ دجلة ، فقال (عليه السلام) لي : **يقدر الله تعالى أن يفوّض علم ذلك الى بعوضة من خلقه أم لا ؟** قلت: نعم يقدر . فقال (عليه السلام) : **أنا أكرم على الله تعالى من بعوضة ومن أكثر خلقه»** .[2]

٣ ـ من تراثه الفقهي

أ ـ روى أبو خداش المهري: «أن شخصاً دخل على الرضا (عليه السلام) فسأله عن أُمور ثلاثة فأجابه (عليه السلام) عنها . ثم حضر أبو خداش مجلس أبي جعفر (عليه السلام) في ذلك الوقت فسأله الأسئلة ذاتها فكان الجواب هو الجواب .

قال: فقلت : جعلت فداك انّ أم ولدٍ لي أرضعت جارية لي بلبن ابني أيحرم عليّ نكاحها ؟ فقال (عليه السلام) : **« لا رضاع بعد فطام»**.

قلت : الصلاة في الحرمين ؟ قال : **إن شئت قصرت وإن شئت أتممت** . قال : قلت : الخادم يدخل على النساء ؟ فحوّل وجهه، ثم استدناني فقال : **وما نقص منه إلّا الواقعة عليه»**[3].

ب ـ عن علي بن مهزيار قال : «كتبت إلى أبي جعفر محمد بن علي بن موسى الرضا (عليه السلام) : جُعلت فداك أُصلي خلف من يقول بالجسم ومن يقول بقول يونس يعني ابن عبد الرحمٰن ؟ فكتب (عليه السلام) : **لا تصلّوا خلفهم ولا تعطوهم من الزكاة**

---

(١) المناقب : ٢ / ٤٣٢ .

(٢) بحار الأنوار : ٥٠ / ١٠٠ .

(٣) دلائل الامامة : ٢٠٦ .

وابرؤا منهم برئ الله منهم »[١].

ج ـ سأله سائل عن الملّاح يقصّر في السفينة؟ فقال(عليه السلام): «لا لأن السفينة بمنزلة بيته ليس بخارج منها»[٢].

د ـ دخل عليه صالح بن محمد بن سهل ـ وكان يتولّى له الوقف بقم ـ فقال: «ياسيدي اجعلني من عشرة آلاف في حلّ فإنّي أنفقتها. فقال له (عليه السلام): أنت في حلّ، فلمّا خرج صالح قال أبو جعفر (عليه السلام) لابراهيم بن هاشم: أحدهم يثب على أموال حق آل محمد وأيتامهم ومساكينهم وفقرائهم وأبناء سبيلهم فيأخذه ثم يجيء فيقول: اجعلني في حلّ: أتراه ظنّ أني أقول لا أفعل؟! والله ليسألنهم الله يوم القيامة عن ذلك سؤالاً حثيثاً»[٣].

هـ ـ عن علي بن مهزيار قال: «قلت لأبي جعفر الثاني (عليه السلام): قو له عزّوجلّ: ﴿ والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلّى ﴾ وقوله عزّوجلّ: ﴿ والنجم إذا هوى ﴾، وما أشبه هذا، فقال: إن الله عزوجل يقسم من خلقه بما يشاء وليس لخلقه أن يقسموا إلّا به عزّوجلّ»[٤].

و ـ قال (عليه السلام): « ما استوى رجلان في حسب ودين قطّ إلّا كان أفضلهما عند الله عزّوجلّ آدبهما فسأله الراوي عن وجه فضله عند الله عزّوجلّ؟ فقال (عليه السلام): بقراءة القرآن كما أُنزل ودعائه الله عزّوجلّ من حيث لا يلحن وذلك أن الدعاء الملحون لا يصعد الى الله عزّوجلّ »[٥].

---

(١) امالي الصدوق: ١٦٧.

(٢) الثاقب في المناقب: ٢٠٩.

(٣) الكافي: ١ / ٥٤٨.

(٤) من لا يحضره الفقيه: ٣ / ٣٧٦.

(٥) عدّة الداعي: ١٨.

٤ ـ من تراثه التاريخي

أ ـ روى المجلسي عن الصدوق بإسناده عن عبد العظيم الحسني قال : كتبت إلى أبي جعفر الثاني (عليه السلام) أسأله عن ذي الكفل ما اسمه ؟ وهل كان من المرسلين ؟

فكتب صلوات الله وسلامه عليه : «بعث الله تعالى جلّ ذكره مائة ألف نبي وأربعة وعشرين ألف نبيّاً ، المرسلون منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً .

وإنّ ذا الكفل منهم صلوات الله عليهم ، وكان بعد سليمان بن داود (عليه السلام) . وكان يقضي بين الناس كما كان يقضي داود ، ولم يغضب إلّا لله عزّوجلّ وكان اسمه (عويديا) وهو الذي ذكره الله تعالى جلّت عظمته في كتابه حيث قال : ﴿ واذكر إسماعيل واليسع وذا الكفل كلّ من الأخيار ﴾ »[1].

ب ـ المسعودي ، بإسناده عن أبي جعفر الثاني محمد بن علي الرضا (عليهما السلام) أنه قال عن آبائه صلوات الله عليهم . قال : «اقبل امير المؤمنين ومعه أبو محمد [أي الحسن المجتبى] (عليه السلام) وسلمان الفارسي فدخل المسجد وجلس فيه فاجتمع الناس حوله إذ أقبل رجل حسن الهيئة واللباس فسلم على أمير المؤمنين (عليه السلام) وجلس ، ثم قال : يا أمير المؤمنين اني قصدت أن أسألك عن ثلاث مسائل إن أخبرتني بهن علمت أنك وصي رسول الله حقاً وإن لم تخبرني بهن علمت أنك وهم شرع سواء .

فقال له أمير المؤمنين : «سل عما بدا لك» . فقال : أخبرني عن الرجل اذا نام أين تذهب روحه ، وعن الرجل كيف يذكر وينسى ، وعن الرجل كيف يشبه ولده الأعمام والأخوال ؟ فالتفت أمير المؤمنين الى أبي محمد فقال : «يا أبا محمد أجبه ، فقال أبو محمد : «أما الانسان اذا نام فإن روحه متعلقة بالريح والريح متعلقة بالهواء الى

(١) بحار الأنوار : ١٣ / ٤٠٥ .

وقت يتحرك صاحبها الى اليقظة .

فـإذا أذن الله بـرد الروح جـذبت تـلك الروح الريـح وجـذبت الريح الهـواء فرجعت الروح الى مسكنها في البدن ، وان لم يأذن الله بـرد الروح الى صـاحبها جـذبت الهواء الريح وجذبت الريح الروح فلم ترجع الى صاحبها الى أن يبعثه الله تعالى ، وأما الذكر والنسيان فإن قلب الرجل في مثل حق وعليه طبق .

فإن سمى الله وذكره وصلى عند نسيانه على محمد وآله انكشف ذلك الطبق وهو غشاوة عن ذلك الحق وأضاء القلب وذكر الرجل ماكان نسي وان هو لم يصلّ على محمد وآله بعد ذكر الله تعالى انطبقت تلك الغشاوة على ذلك الحق فأظلم القلب فنسي الرجل ما ذكر .

وأما المولود الذي يشبه الأعمام والأخوال فان الرجل اذا أتى أهله فوطأها بقلب ساكن وعروق هادئة وبدن غير مضطرب استكنت تلك النقطة [1] في جوف الرحم وخرج الرجل يشبه أباه وامه ، وان هو أتاها بقلب غير ساكن وعروق غير هادئة وبدن مضطرب اضطربت النقطة فوقعت في اضطرابها على بعض العروق .

فان وقعت على عرق من عروق الأعمام اشبه الولد أعمامه وان وقعت على عرق من عروق الأخوال أشبه أخواله .

فقال الرجل : أشهد أن لا إله إلا الله ولم ازل أشهد بها وأشهد أن محمداً رسول الله ولم أزل أشهد بها واشهد أنك وصيه وخليفته والقائم بحجته . وأشار الى أمير المؤمنين : وأشهد أنك وصيه والقائم بحجته . واشار الى الحسن: وأشهد أن أخاك الحسين وصي أبيك ووصيك والقائم بحجته بعدك وأشهد أن علي بن الحسين القائم بأمر الحسين وأشهد ان محمد بن علي القائم بأمر علي ابن الحسين واشهد ان جعفر بن محمد القائم بأمر الله بعد أبيه وحجته واشهد ان موسى بن

(١) كذا في الاصل والظاهر : النطفة .

جعفر القائم بأمر الله بعد ابيه جعفر واشهد ان علي بن موسى القائم بأمر الله بعد أبيه . واشهد ان محمد بن علي القائم بأمر الله بعد ابيه واشهد ان علي بن محمد القائم بأمر الله بعد ابيه محمد بن علي واشهد ان الحسن بن علي القائم بأمر ابيه علي ابن محمد واشهد ان رجلاً من ولد الحسين بن علي لا يسمى ولكن يكنى حتى يظهر الله امره يملأها عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً والسلام عليك ياأمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، ومضى .

فقال أمير المؤمنين : **«اتبعه ياأبا محمد فانظر أين يقصد ،** قال : فخرج الحسن بن علي في اثره فلما وضع الرجل رجله خارج المسجد لم يدر كيف اخذ من ارض الله فرجع اليه فأعلمه ، فقال : **ياأبا محمد أتعرفه . قال : الله ورسوله وامير المؤمنين اعلم به ، قال : ذاك الخضر »** . (١)

ج -روى أبو جعفر المشهدي باسناده عن أبي جعفر الثاني (عليه السلام) قال : **« بعث رسول الله** (صلى الله عليه وآله) **سلمان الى فاطمة** (عليها السلام) **لحاجة** ، قال سلمان : فوقفت بالباب وقفة حتى سلمت ، فسمعت فاطمة تقرأ القرآن خفاءً والرحى تدور من برّ ما عندها انيس ، قال : فعدت الى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقلت : يارسول الله سمعت فاطمة تقرأ القرآن من خفاء والرحى تدور من برّ ما عندها انيس .

قال : فتبسم (صلى الله عليه وآله) وقال : **ياسلمان ان ابنتي فاطمة ملأ الله قلبها وجوارحها ايماناً ويقيناً الى مبانيها ففرغت لطاعة الله ، فبعث الله ملكاً اسمه روفائيل . وفي موضع آخر « رحمة » ، فادار لها الرحى وكفاها الله مؤونة الدنيا والآخرة»**(٢) .

د -روى الحافظ أبو نعيم ، فقال حدّثنا أحمد بن إسحاق حدثنا إبراهيم بن نائلة حدثنا جعفر بن محمّد بن مزيد قال : كنتُ ببغداد فقال لي محمّد بن مَنْدة بن مهربزذ : هل لك أن أُدخلك على ابن الرِضا ؟ قلتُ : نعم . قال : فأدخلني فسلّمنا

(١) اثبات الوصية : ١٥٧ .

(٢) الثاقب في المناقب : ١١٩، مخطوط .

عليه وجلسنا ، فقال له حديث النبيّ (صلى الله عليه وآله) : « أنّ فاطمة أحصنت فرجها فحرّم الله ذرّيتها على النار ، قال : خاصٌ للحسن والحسين رضي الله عنهما»(١).

٨ ـ روى باسناده عن علي بن ابراهيم بن هاشم ، عن أبيه عن احمد بن محمّد بن أبي نصر البزنطي ، قال : «قلت لابي جعفر محمد بن علي بن موسى (عليهم السلام) ان قوماً من مخالفيكم يزعمون أباك انما سماه المأمون الرضا لما رضيه لولاية عهده .

فقال : «كذبوا والله وفجروا ، بل الله تبارك وتعالى سماه الرضا لانه كان رضي الله عزوجل في سمائه ورضي لرسوله والائمة من بعده صلوات الله عليهم في أرضه قال: فقلت له : الم يكن كل واحد من آبائك الماضين (عليهم السلام) رضي الله تعالى ولرسوله والائمة (عليهم السلام) ؟ فقال : بلى ، فقلت : فلم سمي أبوك من بينهم الرضا ؟ قال : لأنه رضي به المخالفون من أعدائه كما رضي به الموافقون من اوليائه ولم يكن ذلك لاحد من آبائه (عليهم السلام) ، فلذلك سمي من بينهم الرضا (عليه السلام)»(٢).

٥ ـ الطب في تراث الإمام الجواد (عليه السلام)

لقد استوعب أئمة أهل البيت (عليهم السلام) شتى العلوم ومنها علوم الطبّ والحكمة بما آتاهم الله من فضله ، وأطلعهم على غيبه ، وحباهم من نوره ، وألهمهم من معرفته ، وبما ورّثوه من علوم خاتم الأنبياء وسيّد المرسلين (صلى الله عليه وآله) ، فكانوا (عليهم السلام) يعالجون المرضى تارةً بالقرآن والدعاء والأحراز والرقى والصدقة ، وتارةً يوصونهم بضرورة النظافة والطهارة والوقاية العامّة ، وثالثة يصفون لهم الأعشاب والنباتات وغيرها من العقاقير الطبّية التي كانت تؤثر بشكل فعّال في

---

(١) اخبار اصفهان : ١ / ٢٤٢ و ٢ / ٢٠٦ ، وتاريخ بغداد : ٣ / ٥٤ ، والوفيات : ٣ / ٣١٥ .

(٢) عيون الاخبار : ١ / ١٣ ، والعلل : ١ / ١٣٦ .

شفاء المرضى ممّا يدلّ على قدراتهم (عليهم السلام) الكبيرة وإمكاناتهم الواسعة بتشخيص المرض من دون اللجوء إلى إجراء التحليلات المختبريّة والصور الشعاعيّة والتخطيطات وما إلى ذلك من الوسائل المتطورة الحديثة المعروفة في يومنا هذا.

وينمّ أيضاً عن درايتهم (عليهم السلام) واطّلاعهم الواسع بخواص تلك العقاقير وتأثيرها المباشر على المرض وبالتالي صحّة تشخيصهم لمختلف الأمراض.

وتجدر الإشارة هنا إلى أنّه بعد مرور عدّة قرون جاء الطبّ الحديث بإمكاناته الواسعة ليبرهن على صحة وصواب ما ورد عنهم (عليهم السلام) من أخبار وأحاديث في هذا المجال لا بل إنّه اعتمد الكثير من تلك الأخبار، وما العودة إلى استخدام الحجامة والفصد علاجاً أساسياً أو مساعداً لغيره من العلاجات ومتعاضداً معها للوصول إلى الشفاء إلّا مثالاً صارخاً على صحة ما ذكرناه.

ولقد أقرّ الكثير من العلماء والمستشرقين في بحوثهم وتحقيقاتهم بتلك الحقائق والأخبار الواردة عنهم (عليهم السلام) واتّفقوا على أنّ قوانين الطبّ قد جمعت في قوله تعالى: ﴿ **كلوا واشربوا ولا تسرفوا** ﴾[1]. ولا بأس أن نذكر هنا لمحاً عن الحجامة والفصد.

يقال: فصد العرق فصداً: شقّه، ويقال: فُصد المريض: أُخرج مقدار من دم وريده.

وقد تكامل الفصد اليوم باستعمال إبرة واسعة القناة بواسطتها ويؤخذ الدم من الوريد مباشرة، وتتراوح كميّة الدم المفصود بين ٣٠٠ـ ٥٠٠سم٣، ويجب أن يتم بأسرع ما يمكن.

وتختلف الحجامة عن الفصد في أنّ الأخير هو إخراج دم الوريد بشقّه كما هو نقياً كان أو غليظاً، بينما الحجامة هي إخراج الدم الفاسد بواسطة آلة ماصّة من

(١) الأعراف (٧): ٣١.

العروق الدقيقة والشعيرات الدمويّة المبثوثة في اللحم، والفصد يقلل الدم، وبالتالي يحتاج إلى تعويض وخلق جديد، بينما الحجامة تنقّي الدم وتصفّيه دون أن يفقد الجسم كميّة كبيرة منه بل العكس أنّها تنشّط الدورة الدمويّة وتوجب الرشد. وعلى هذا فالحجامة لا تضعف البدن كما في الفصد.

وتستعمل الحجامة أساساً للتخفيف عن الدورة الدمويّة وما يثقلها من سموم الفضلات والدهون والمتخلّفات من الإفراز، وقد استعملت منذ قديم الزمان كواجب من الواجبات الفصليّة، وكعلاج ناجح لعدد من الأمراض كالجلطة الدمويّة والسكتة القلبيّة، وانفجار الشريان الدماغي. قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): **«عليكم بالحجامة، لا يتبيّغ الدم بأحدكم، فيقتله»**.

وقال جالينوس: دمك عبدك، وربّما قتل العبد سيّده، فأطلقه، فإن رأيته صالحاً فأمسكه.

والأحاديث فيها كثيرة ويعدّ العلق الطبّي - واحدتها علقة - وهي دودة تعيش في الماء تمص الدم - من ملحقات الحجامة، وله اهميته أيضاً في العلاج الموضعي لكثير من أمراض الأوردة الدمويّة كركود الدم في منطقة ما في الجسم، وذلك بما يتمتع به العلق من غريزة خاصّة في مصّ الدم الفاسد، وإدخاله الهواء أثناء عمليّة المصّ تحت الجلد.

ومن ناحية أخرى ينفرد الفصد في علاج الحالات التالية:

١ - الهبوط الوظيفي في البطين الأيسر المؤدّي إلى تورّم في الرئتين ينجم عنها عسر شديد في التنفس. ٢ - ضغط الدم الدماغي العالي لغلظة الدم. ٣ - إزدياد عدد كريات الدم الأولى. ٤ - الإحتقان الرئوي.

وللفصد عروق معروفة ولها أسماء خاصة كالعرق الزاهر والأكحل يخرج منها الدم، وقد ورد عن النبيّ والأئمّة صلوات الله عليهم أن للفصد أوقات معينة. وأمّا الحجامة فلها مواضع معروفة كاليافوخ من الرأس والنقرة من الظهر

وغيرها ، ولها أوقات معيّنة أيضاً ، وردت عن النبيّ والأئمّة صلوات الله عليهم في الأحاديث الشريفة .

١ ـ جاء في المناقب لابن شهرآشوب : وفي كتاب « معرفة تركيب الجسد » عن الحسين بن أحمد التيميّ : روي عن أبي جعفر الثاني (عليه السلام) : أنّه استدعى فاصداً في أيّام المأمون فقال له : أفصدني في العرق الزاهر ! فقال له :

ما أعرف هذا العرق ياسيّدي ، ولا سمعت به . فأراه إيّاه ، فلمّا فصده خرج منه ماء أصفر ، فجرى حتّى امتلأ الطست ، ثمّ قال له :

أمسكه . وأمر بتفريغ الطست ؛

ثمّ قال : خلّ عنه . فخرج دون ذلك ، فقال :

شدّه الآن . فلمّا شدّ يده أمر له بمائة دينار ، فأخذها وجاء إلى يوحنّا بن بختيشوع[1] فحكى له ذلك ، فقال :

والله ما سمعت بهذا العرق مذ نظرت في الطبّ ، ولكن هاهنا فلان الأسقف[2] قد مضت عليه السنون ، فامض بنا إليه ، فإن كان عنده علمه وإلّا لم نقدر على من يعلمه ، فمضيا ودخلا عليه وقصّا القصة.

فأطرق مليّاً ، ثمّ قال : يوشك أن يكون هذا الرّجل نبيّاً أو من ذريّة نبيّ .[3]

٢ ـ وجاء في رجال الكشيّ : ـ يأتي في باب حال عمّ أبيه عليّ بن جعفر (عليه السلام) :

---

(١) ويوحنا بن بختيشوع : هو طبيب أخي المعتمد ، شخص أسقفاً على الموصل سنة (٨٩٣ م) ـ (٢٧٩ هـ) وهذا التاريخ بعيد عن حياة الإمام الجواد (عليه السلام) والذي أُستشهد سنة ٢٢٠ هـ .

والظاهر أنّه جبرئيل بن بختيشوع بن جورجيس ، طبيب المأمون ، توفي سنة (٨٢٨ م) (٢١٢ هـ).

وأُسرة بختيشوع : أُسرة أطباء من النساطرة أصلها من جند نيسابور ، خدمت الخلفاء العباسيين نحو ثلاثة قرون . اشتهر منها : جورجيس بن جبرئيل وبختيشوع بن جبرئيل .

(٢) الأسقف : فوق القسيس ودون المطران ، والكلمة يونانيّة .

(٣) المناقب : ٣ / ٤٩٥ ، وبحار الأنوار : ٥٠ / ٥٧ ضمن ح ٣١ ، ومدينة المعاجز : ٥٣٣ ح ٦٠ .

ودنا الطبيب ليقطع له العرق ، فقام عليّ بن جعفر (عليه السلام) فقال : ياسيّدي ، يبدأ بي ليكون حدّة الحديد فيّ قبلك . . .

علاج حمّى الغب [١] والربع [٢]

١ ـ عن الحسن بن شاذان ، قال : حدّثنا أبو جعفر (عليه السلام) ، عن أبي الحسن (عليه السلام) «وسئل عن حمّى الغبّ الغالبة .

فقال (عليه السلام) : **يؤخذ العسل والشونيز [٣] ويلعق منه ثلاث لعقات فإنّها تنقلع . وهما المباركان قال الله تعالى في العسل :**

﴿ يخرُجُ مِن بطونِها شرابٌ مختلفٌ ألوانه فيهِ شِفاءٌ للنّاسِ ﴾ [٤] .

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : **في الحبّة السوداء شفاء من كلّ داء إلّا السام .**

قيل يارسول الله ، وما السام ؟ قال : **الموت .**

قال : **وهذان لا يميلان إلى الحرارة والبرودة ، ولا إلى الطبائع ، إنّما هما شفاء حيث وقعا**» [٥].

٢ ـ عن الحسن بن شاذان ، قال : حدّثنا أبو جعفر ، عن أبي الحسن (عليه السلام) [٦]

---

(١) غبّت عليه الحمّى : أخذته يوماً وتركته يوماً .

(٢) حمّى الربع : هي الّتي تنوب كلّ رابع يوم .

(٣) الشينيز والشونيز والشونوز والشهنيز : الحبّة السوداء « القاموس المحيط : ٢ / ١٧٩ » وقال ابن البيطار في الجامع لمفردات الأدوية والأغذية : ٣ / ٧٢ : الحبّة السوداء : وتسمّى أيضاً بالشونيز . وهو نبات صغير دقيق العيدان ، طوله نحو شبرين أو أكثر ، وله ورق صغار ، وعلى طرفه رأس شبيهة بالخشخاش في شكله ، طويلة مجوفّة تحوي بزراً أسوداً حريفاً طيّب الرائحة

وفيه عن جالينوس أنّه يشفي الزكام إذا صيّر في خرقة وهو مقلوّ وشمّه الانسان...

(٤) النحل (١٦): ٦٩ .

(٥) رجال الكشي : ٦٥ ، عنه الوسائل : ١٧ / ٧٦ ح ١٥ ، والبحار : ٦٢ / ١٠٠ ح ٢٣ وص ٢٢٧ ح ٣ .

(٦) زاد في م « الثالث » وهو تصحيف بقرينة سند الحديث السابق وعدم رواية الجواد عن ولده (عليهما السلام) ومكاتبة ابن شاذان لأبي الحسن الرضا (عليه السلام) وعليه فلا تصحّ رواية ابن شاذان عن أبي الحسن الثالث بواسطة ، ويحتمل « الثالث » تصحيف « الثاني » اُنظر معجم رجال الحديث : ٤ / ٣٦٧ .

قال: خير الأشياء لحمّى الربع أن يؤكل في يومها الفالوذج [١] المعمول بالعسل، ويكثر زعفرانه، ولا يؤكل في يومها غيره»[٢].

علاج اليرقان [٣]

عن محمّد بن يحيى، عن محمّد بن عيسى، عن عليّ بن مهزيار، قال: تغدّيت مع أبي جعفر (عليه السلام) فأتي بقطاة [٤]، فقال: «إنّه مبارك، وكان أبي (عليه السلام) يعجبه، وكان يأمر أن يطعم صاحب اليرقان، يشوى له فإنّه ينفعه»[٥].

علاج ضربة الريح الخبيثة

عن أحمد بن إبراهيم بن رياح، قال: حدّثنا الصباح بن محارب، قال: «كنت عند أبي جعفر ابن الرضا (عليه السلام) فذكر أنّ شبيب بن جابر ضربته الريح الخبيثة، فمالت بوجهه وعينه [٦]، فقال: يؤخذ له القرنفل [٧] خمسة مثاقيل، فيصير في قنينة يابسة، ويضمّ رأسها ضمّاً شديداً، ثمّ تطين وتوضع في الشمس قدر يوم في الصيف، وفي الشتاء قدر يومين. ثمّ يخرجه فيسحقه سحقاً ناعماً، ثم يديفه [٨] بماء المطر حتّى يصير بمنزلة الخلوق، ثمّ يستلقي على قفاه، ويطلي ذلك القرنفل المسحوق على الشقّ المائل [٩] ولا يزال مستلقياً حتّى يجفّ القرنفل، فإنّه إذا جفّ رفعه الله عنه، وعاد إلى أحسن

---

(١) الفالوذج: حلواء تعمل من الدقيق والماء والعسل.

(٢) رجال الكشي: ٦٥، عنه البحار: ٦٢ / ١٠٠ ح ٢٤.

(٣) اليرقان: حالة مرضيّة تمنع الصفراء من بلوغ المعى بسهولة، فتختلط بالدم فتصفّر بسبب ذلك أنسجة الحيوان.

(٤) القطاة، واحدة القطا: هو ضرب من الحمام ذوات أطواق يشبه الفاختة والقماري.

(٥) الكافي: ٦ / ٣١٢ ح ٥، عنه البحار: ٦٥ / ٤٣ ح ٢، والوسائل: ١٧ / ٣٣ ح ٢.

(٦) «وعينيه» م.

(٧) القرنفل: ثمر شجرة كالياسمين، وهو أفضل الأفاويه الحارة.

(٨) داف الدواء ونحوه: خلطه. أذابه في الماء وضربه فيه ليختثر. وفي م «تدنفه» تصحيف.

(٩) «الحامل» خ ل.

عاداته بإذن الله تعالى .

قال : فابتدر إليه أصحابنا فبشّروه بذلك ، فعالجه بما أمره به ، فعاد إلى أحسن ماكان بعون الله تعالى ». (١)

علاج من أصابها حيض لا ينقطع

عن محمّد بن يحيى ، عن محمّد بن عيسى ، عن عليّ بن مهزيار ، قال: إنّ جارية لنا أصابها الحيض وكان لا ينقطع عنها حتّى أشرفت على الموت ، فأمر أبو جعفر (عليه السلام) أن تسقى سويق العدس(٢)، فسقيت فانقطع عنها وعوفيت»(٣).

علاج برد المعدة وخفقان الفؤاد

عن محمّد بن عليّ زنجويه (٤) المتطبّب ، قال : «حدّثنا عبد الله بن عثمان، قال: شكوت إلى أبي جعفر محمّد بن عليّ بن موسى (عليهم السلام) برد المعدة وخفقاناً في فؤادي ، فقال (عليه السلام) : «أين أنت عن دواء أبي ـ وهو الدواء الجامع ـ ؟ !» قلت: يابن رسول الله ! وما هو ؟

قال : معروف عند الشيعة . قلت : سيّدي ومولاي ، فأنا كأحدهم فأعطني صفته حتّى أُعالجه وأُعطي الناس .

---

(١) الكافي : ٦ / ٨١، عنه في بحار الأنوار : ٦٢ / ١٨٦ ح ٢ ، ومستدرك الوسائل : ١٦ / ٤٤٦ ح ١١ .

(٢) سويق العدس : عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنه قال : سويق العدس يقطع العطش ويقوّي المعدة ، وفيه شفاء من سبعين داء ، ويطفئ الصفراء ، ويبرّد الجوف ، وكان (عليه السلام) إذا سافر لا يفارقه، وكان (عليه السلام) إذا هاج الدم بأحد من حشمه قال له : اشرب من سويق العدس، فإنّه يسكّن هيجان الدم، ويطفئ الحرارة (الكافي: ٣٠٧/٦ ح١) .

وقال المجلسي (رحمه الله) في البحار : ٦٦ / ٦٣ : ... وأمّا إطفاؤه الصفراء والحرارة [كما في رواية أبي عبد الله(عليه السلام) أعلاه] فقيل لجهتين : أحدهما من جهة التبريد في الأمزجة الحارّة ، والآخر من جهة تغليظ الدم وتسكين حدّته ، فيقلّ جريانه وسيلانه في العروق ، ولهذا السبب يقطع دم الحيض كما في الخبر ... .

(٣) الكافي : ٦ / ٣٠٧ ح ٢ ، عنه الوسائل : ١٧ / ١٠ ح ٢ .

(٤) « زنجومة » كما في نسخة أُخرى .

قال : خذ زعفران (١) وعاقرقرحا (٢) وسنبل (٣) وقاقلّة (٤) وبنج (٥) وخربق أبيض (٦) وفلفل أبيض (٧) أجزاء سواء ، وأبرفيون (٨) جزءين ، يدق ذلك كلّه دقاً ناعماً ، وينخل بحريرة ، ويعجن بضعفي وزنه عسلاً (٩) منزوع الرغوة ، فيسقى منه صاحب خفقان

---

(١) الزعفران : نبات معمّر من الفصيلة السوسنيّة ، منه أنواع بريّة ونوع صبغي طبيّ مشهور وهو حارّ يابس مفرح يقوّي الروح ، وجيّده الطريّ الحسن اللون ، الزكيّ الرائحة ، على شعره قليل بياض غير كثير ممتلئ صحيح ، سريع الصبغ ، غير ملزج ولا متفتّت ، وإذا كان في بيت لا يدخله سام أبرص . راجع الطب من الكتاب والسنّة : ١١٣ ، القانون : ١ / ٣٠٦ ، القاموس المحيط : ٢ / ٣٩ .

(٢) العاقر قرحا : نبات من الفصيلة المركّبة تستعمل جذوره في الطب ، ويكثر في إفريقية ، وقال في إحياء التذكرة : ٤٣٠ : هو أصل الطرخون الجبلي ، ينقّي البلغم من الرأس ، ويزيل وجع الأسنان والسعال وأوجاع الصدر وبرد المعدة والكبد ، ويزيل الخناق غرغرة...

(٣) قال الفيروزآبادي في القاموس المحيط : ٣ / ٣٩٨ : السنبل ، كقنفذ : نبات طيّب الرائحة ويسمّى سنبل العصافير ، أجوده السوري وأضعفه الهندي مفتّح محلّل مقوّ للدماغ والكبد والطحال والكلى والأمعاء مدرّ ، وله خاصيّة في حبس النزف المفرط من الرحم ، والسنبل الرومي الناردين .

(٤) القاقلّة : ثمر نبات هندي من العطر والأفاويه مقوّ للمعدة والكبد ، نافع للغثيان والاعلال الباردة حابس ، والقاقلّة الكبيرة أشدّ قبضاً من الصغيرة وأقل حرافة ، قاله في القاموس المحيط : ٤ / ٣٩ .

(٥) البنج : قال في المعجم الوسيط : ١ / ٧١ : (من الهندية) : جنس نباتات طبيّة مخدّرة من الفصيلة الباذنجانيّة . وقال في القاموس المحيط : ١ / ١٧٩ : مسكّن لأوجاع الأورام والبثور ووجع الأذن ، وأخبثه الأسود ثمّ الأحمر ، واسلمه الأبيض .

(٦) الخربق ـ كجعفر ـ نبات ورقه كلسان الحمل أبيض وأسود وكلاهما يجلو ويسخّن وينفع الصرع والجنون والمفاصل والبهق والفالج ويسهّل الفضول اللزجه ، وربما أورث تشنّجات ، وإفراطه مهلك ... قاله في القاموس المحيط : ٣ / ٢٢٥ ، وقال ابن البيطار في جامعه : ٢ / ٥٥ : عن ابن سرابيون أنّه قال : الخربق الأسود يسهّل المرّة الصفراء الغليظة جداً ، ويعطى في العلل الحادة والمزمنة التي تحتاج إلى دواء يسهل المرّة الصفراء كعلل الصدر ، وهو نافع في تنقية الاحشاء جداًوالرحم والمثانة والعلل المتقادمة في قصبة الرئة .

(٧) الفلفل (كهدهد وزبرج) : حبّ هندي ، والأبيض أصلح وكلاهما نافع لقلع البلغم اللزج مضغاً بالزفت ، ولتسخين العصب والعضلات تسخيناً لا يوازيه غيره وللمغص والنفخ واستعماله في النعوق للسعال وأوجاع الصدر وقليله يعقل وكثيره يطلق ويجفّف ويدرّ ويبرّد المني بعد الجماع . القاموس المحيط : ٤ / ٣٢ .

(٨) أبرفيون : هو صمغ تنتجه شجرة شائكة ، ويحصل عليه بواسطة شق أغصان الشجرة فتسيل منها عصارة صمغية لا تلبث أن تجفّ وتتجمّد بعد ملامستها الهواء ، ومن أسمائها ، الفربيون ، قال في القاموس المحيط : ٤ / ٢٥٥ : هو دواء ملطف نافع لعرق النسا وبرد الكلى والقولنج ولسع الهوام وعضّة الكلب ويسقط الجنين ويسهّل البلغم اللزج .

(٩) العسل : قال تعالى في سورة النحل : ٦٩ : ﴿ **يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس** ﴾ . هو غذاء ودواء ذكرت منافعه في الكثير من كتب الطبّ لا مجال لذكرها لكثرتها .

الفؤاد ، ومن به برد المعدة حبّة بماء كمّون [١] يطبخ ، فإنّه يعافى بإذن الله تعالى . [٢]

علاج وجع الحصاة

عن محمّد بن حكام ، قال : حدّثنا محمّد بن النضر ـ مؤدب ولد أبي جعفر محمّد بن عليّ بن موسى (عليهم السلام) ـ قال: شكوت إليه ما أجد من الحصاة ، فقال : «ويحك ! أين أنت عن الجامع دواء أبي ؟ فقلت : سيّدي ومولاي أعطني صفته . فقال: هو عندنا ، ياجارية أخرجي البستوقة الخضراء. قال : فأخرجت البستوقة، وأخرج منها مقدار حبّة.

فقال :اشرب هذه الحبّة بماء السداب [٣] أو بماء الفجل [٤] المطبوخ ، فإنّك تعافى منه»[٥].

قال : فشربته بماء السداب ، فوالله ما أحسست بوجعه إلى يومنا هذا»[٦].

(١) الكمّون (كمّون) : حب مدرّ مجشّ هاضم طارد للرياح وابتلاع ممضوغه بالملح يقطع اللّعاب ، والكمّون الحلو الآنيسون ، والحبشي شبيه بالشونيز ، والأرمني الكرويا ، والبريّ الأسود .

وقال في الطبّ من الكتاب والسنّة : ١٤٧ : حار يحلّ القولنج ويطرد الريح ، وإذا نقع في الخلّ وأكل قطع شهوة الطين والتراب وروي ليس شيء يدخل الجوف إلّا تغيّر إلّا الكمّون .

(٢) راجع مستدرك عوالم العلوم والمعارف : ٢٣ / ٣٦١ ـ ٣٦٨ .

(٣) ذكر المجلسي في بحار الأنوار: ٦٢ / ١٤٥ :

قال في القانون (١ / ٣٨٨) ، السداب الرطب حارّ يابس في الثاني ، واليابس حارّ يابس في الثالثة ، واليابس البري حارّ يابس في الرابعة ، وعصارته المسخّنة في قشور الرمان يقطر في الأذن فينقّيها ويسكن الوجع والطنين والدويّ ، ويقتل الدود ، ويطلي به قروح الرأس ، ويحدّ البصر خصوصاً عصارته مع عصارة الرازيانج والعسل كحلاً وأكلاً ، وقد يضمد به مع السويق على ضربان العين (انتهى) .

وفي المعجم الوسيط : ١ / ٤٢٤ ـ بالذال المعجمة ـ : جنس نباتات طبيّة من الفصيلة السدابية . وقيل : نبات ورقه كالصعتر ورائحته كريهة .

(٤) الفجل : غذاؤه قليل وفيه حرارة ، ويفتح سدد الكبد ويعين على الهضم ويعسر هضمه وأكله يولّد القمل .

قاله في الطبّ من الكتاب والسنّة : ١٤٠ ، وفي هامشه : يؤكل الفجل مع باقي المشهّيات والمقبّلات للطعام ، ويحتوي على الفيتامين (C) ومدرّ للبول ، يساعد على الهضم ، ويكافح السعال .

(٥) راجع هذا البحث في مستدرك عوالم العلوم (الإمام محمد بن علي الجواد) : ٢٣ / ٣٥٨ ـ ٣٧٠ .

(٦) الكافي : ٦٩ ، عنه في بحار الأنوار : ٦٢ / ٢٤٩ ح ١١ ، ومستدرك الوسائل : ١٦ / ٤٦٥ / ح ٢٥ .

٦ ـ الدعاء في تراث الإمام الجواد (عليه السلام)

هذه مجموعة من الأدعية الجليلة رواها الإمام الجواد (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام) عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن الله عز وجل وهي بمثابة صحيفة الجواد (عليه السلام) في الدعاء والمناجاة.

روى السيد ابن طاووس باسناده الى أبي جعفر بن بابويه عن ابراهيم بن محمد بن الحارث النوفلي، قال:

«حدّثني أبي ـ وكان خادماً لمحمد بن علي الجواد (عليه السلام): لمّا زوج المأمون أبا جعفر محمد بن علي بن موسى (عليهم السلام) ابنته، كتب اليه: **ان لكل زوجة صداقاً من مال زوجها، وقد جعل الله أموالنا في الآخرة، مؤجلة مذخورة هناك، كما جعل اموالكم معجّلة في الدنيا وكنزها هاهنا. وقد أمهرت ابنتك: الوسائل الى المسائل، وهي مناجاة دفعها اليّ أبي، قال: دفعها اليّ أبي موسى، قال: دفعها اليّ أبي جعفر، قال: دفعها اليّ محمد أبي، قال: دفعها اليّ علي بن الحسين أبي، قال: دفعها اليّ الحسين أبي: قال: دفعها اليّ الحسن أخي، قال: دفعها اليّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب** (صلوات الله عليهم)، **قال: دفعها اليّ رسول الله** (صلى الله عليه وآله)، **قال: دفعها اليّ جبرئيل** (عليه السلام)، **قال: يا محمد ... ربّ العزّة يقرئك السلام ويقول لك: هذه مفاتيح كنوز الدنيا والآخرة، فاجعلها وسائلك الى مسائلك، تصل الى بغيتك وتنجح في طلبتك، فلا تؤثرها في حوائج الدنيا فتبخس بها الحظّ في آخرتك. وهي عشر وسائل** [الى عشر مسائل] **تطرق بها أبواب الرغبات فتفتح، وتطلب بها الحاجات فتنجح وهذه نسختها**»[1].

(١) مستدرك عوالم العلوم: ٢٣ / ٢٢٧ ـ ٢٢٨ ـ ٢٣٨.

١ ـ المناجاة للاستخارة :

« بسم الله الرحمن الرحيم. اللهمّ ان خيرتك فيما استخرتك فيه تُنيل الرغائب ، وتجزل المواهب ، وتغنم المطالب ، و تطيب المكاسب ، وتهدي إلى أجمل المذاهب ، وتسوق الى أحمد العواقب ، وتقي مخوف النوائب.

اللهمّ اني استخيرك فيما عزم رأيي عليه ، وقادني عقلي اليه ، فسهّل اللهمّ منه ما توعّر، ويسّر منه ما تعسّر ، واكفني فيه المهمّ، وادفع عنّي كلّ ملمّ ، واجعل يا ربّ عواقبه غُنماً ، ومخوفه سلماً ، وبُعده قرباً، وجدبه خصباً.

وأرسل اللهم إجابتي ، وأنجح طلبتي ، واقض حاجتي ، واقطع عنّي عوائقها ، وامنع عنّي بوائقها ، واعطني اللهمّ لواء الظفر والخيرة فيما استخرتك ، ووُفور المغنم فيما دعوتك، وعوائد الافضال فيما رجوتك. واقرُنه اللهمّ بالنجاح ، وخصّه بالصلاح ، وأرني أسباب الخيرة فيه واضحة ، واعلام غُنمها لائحة ، واشدد خناق تعسّرها ، وانعش صريع تيسّرها .

وبيّن اللهمّ ملتبسها واطلق محتبسها ، ومكّن أُسّها حتّى تكون خيرة مقبلة بالغُنم مزيلة للغُرم، عاجلة للنفع ، باقية الصنع ، إنّك مليئ بالمزيد، مبتدئ بالجود».

٢ ـ المناجاة بالاستقالة :

«بسم الله الرحمن الرحيم . اللهمّ إنّ الرجاء لسعة رحمتك أنطقني باستقالتك والأمل لأناتك ، ورفقك شجعني على طلب أمانك وعفوك ، ولي يا ربّ ذنوب قد واجَهتها أوجه الانتقام ، وخطايا قد لاحظتها أعين الاصطلام ، واستوجبت بها على عدلك أليم العذاب ، واستحققت باجتراحها مبير العقاب ، وخفت تعويقها لإجابتي ، وردّها إيّاي عن قضاء حاجتي ، وإبطالها لطلبتي ، وقطعها لأسباب رغبتي ، من أجل ما قد أنقض ظهري من ثقلها ، وبهظني من الاستقلال بحملها ، ثمّ تراجعت ربّ الى حلمك عن الخاطئين ، وعفوك عن المذنبين ، ورحمتك للعاصين ، فأقبلت بثقتي متوكّلاً عليك ، طارحاً نفسي بين يديك ، شاكياً بثّي اليك ، سائلاً ما لا استوجبه من تفريج الهمّ ، ولا استحقه من تنفيس الغمّ ، مستقيلاً لك

إيّاي ، واثقاً مولاي بك.

اللهمّ فامنُن عليّ بالفرج ، وتطوّل بسهولة المخرج ، وادلُلني برأفتك على سمت المنهج ، وأزلقني بقدرتك عن الطريق الاعوج ، وخلّصني من سجن الكرب بإقالتك ، واطلق أسري برحمتك ، وطُل عليّ برضوانك ، وجُد عليّ بإحسانك ، وأقلني عثرتي ، وفرّج كربتي ، وارحم عبرتي ، ولا تحجب دعوتي ، واشدد بالاقالة أزري ، وقوّ بها ظهري ، وأصلح بها أمري، وأطل بها عمري ، وارحمني يوم حشري ووقت نشري ، انك جواد كريم ، غفور رحيم» .

٣ ـ المناجاة بالسفر :

« بسم الله الرحمن الرحيم . اللهمّ إنّي أُريد سفراً فخر لي فيه ، وأوضح لي فيه سبيل الرأي ، وفهّمنيه ، وافتح عزمي بالإستقامة ، واشملني في سفري بالسلامة ، وأفدني جزيل الحظ والكرامة ، واكلأني بحسن الحفظ والحراسة ، وجنّبني اللهمّ وعثاء الأسفار ، وسهّل لي حُزونة الأوعار ، وأطو لي بساط المراحل ، وقرّب منّي بُعد نأي المناهل ، وباعدني في المسير بين خُطى الرواحل ، حتّى تقرّب نياط البعيد ، وتسهّل وعور الشديد.

ولقّني اللهمّ في سفري نجح طائر الواقية ، وهبني فيه غُنم العافية، وخفير الإستقلال ، ودليل مجاوزة الأهوال ، وباعث وفور الكفاية ، وسانح خفير الولاية ، واجعله اللهمّ سبب عظيم السِلم حاصل الغُنم.

واجعل الليل عليّ ستراً من الآفات ، والنهار مانعاً من الهلكات ، واقطع عنّي قطع لصوصه بقدرتك ، واحرسني من وحوشه بقوّتك ، حتى تكون السلامة فيه مصاحبتي ، والعافية مُقارنتي ، واليُمن سائقي ، واليُسر مُعانقي ، والعسر مفارقي ، والفوز موافقي ، والأمن مُرافقي ، انك ذوالطول والمنّ ، والقوّة والحول ، وأنت على كلّ شيءٍ قدير ، وبعبادك بصير خبير ».

٤ ـ المناجاة في طلب الرزق :

«بسم الله الرحمن الرحيم . اللهمّ أرسل عليّ سجال رزقك مدراراً ، و أمطر عليّ سحائب إفضالك غِزاراً ، وأدم غيث نيلك اليّ سجالاً ، وأسبل مزيد نعمك على خلّتي إسبالاً ، وأفقرني بجودك اليك ، وأغنني عمّن يطلب ما لديك ، وداوِ داء فقري بدواء فضلك ، وانعش صرعة عَيلتي بطولك ، و تصدّق على إقلالي بكثرة عطائك ، وعلى اختلالي بكريم حبائك ، وسهّل ربّ سبيل الرزق اليّ ، وثبّت قواعده لديّ ، وبجّس لي عيون سعته برحمتك، وفجّر أنهار رغد العيش قبلي برأفتك ، وأجدب أرض فقري ، وأخصب جدب ضرّي ، واصرف عنّي في الرزق العوائق ، واقطع عنّي من الضيق العلائق ، وارمني من سهم الرزق اللهم بأخصب سهامه ، وأحيني من رغد العيش بأكثر دوامه ، واكسُني اللهمّ سرابيل السعة ، وجلابيب الدّعة فإنّي يا ربّ منتظر لإنعامك بحذف المضيق ، ولتطوّلك التعويق ، ولتفضلك بإزالة التقتير ، ولوصول حبلي بكرمك بالتيسير.

وأمطر اللهمّ عليّ سماء رزقك بسجال الدّيم ، وأغنني بعوائد النّعم ، وارم مقاتل الإقتار منّي ، واحمل كشف الضر عنّي على مطايا الإعجال ، واضرب عنّي الضيق بسيف الاستيصال ، وأتحفني ربّ منك بسعة الإفضال ، وامددني بنموّ الأموال ، واحرسني من ضيق الإقلال .

واقبض عنّي سوء الجدب ، وابسط لي بساط الخصب ، واسقني من ماء رزقك غدقاً ، وانهج لي عميم بذلك طُرُقاً ، وفاجئني بالثروة والمال ، وأنعشني به من الإقلال ، وصبّحني بالاستظهار ، ومسّني بالتمكّن من اليسار ، إنّك ذوالطول العظيم ، والفضل العميم ، والمنّ الجسيم وأنت الجواد الكريم .

٥ ـ المناجاة بالاستعاذة :

«بسم الله الرحمن الرحيم . اللهمّ اني اعوذ بك من ملمّات نوازل البلاء ، وأهوال عظائم الضرّاء ، فأعذني ربّ من صرعة البأساء ، واحجُبني من سطوات البلاء ، ونجّني من مفاجأة النقم وأجرني من زوال النعم ومن زلل القدم ، واجعلني اللهمّ في حياطة عزّك ، وحفاظ حرزك من مباغتة الدوائر ، ومعاجلة البوادر .

اللهمّ ربّ ، وأرض البلاء فاخسِفها ، وعرصة المحن فارجفها ، وشمس النوائب فاكسِفها ، وجبال السوء فانسفها ، وكُرَبَ الدهر فاكشفها ، وعوائق الأُمور فاصرفها ، وأوردني حياض السلامة ، واحملني على مطايا الكرامة ، واصحبني بإقالة العثرة ، واشملني بستر العورة .

وجُدْ عليّ يا رب بآلائك ، وكشف بلائك ، ودفع ضرّائك ، وادفع عنّي كلاكل عذابك ، واصرف عنّي أليم عقابك ، وأعذني من بوائق الدهور ، وأنقذني من سوء عواقب الأمور ، واحرسني من جميع المحذور .

واصدع صفات البلاء عن أمري ، واشلُلْ يده عنّي مدىٰ عُمري . إنّك الربّ المجيد ، المبدئ المعيد ، الفعّال لما تريد» .

٦ ـ المناجاة بطلب التوبة :

«بسم الله الرحمن الرحيم . اللهمّ اني قصدت اليك بإخلاص توبة نصوح ، وتثبيت عقد صحيح ، ودعاء قلب قريح واعلان قول صريح .

اللهمّ فتقبّل منّي مخلص التوبة ، واقبال سريع الأوبة ، ومصارع تخشّع الحوبة . وقابل ربّ توبتي بجزيل الثواب ، وكريم المآب ، وحطّ العقاب ، وصرف العذاب ، وغُنم الإياب ، وستر الحجاب .

وامحُ اللهمّ ما ثبت من ذنوبي ، واغسل بقبولها جميع عيوبي ، واجعلها جاليةً لقلبي ، شاخصة لبصيرة لُبّي ، غاسلة لدرني ، مطهّرة لنجاسة بدني ، مصحّحة فيها ضميري ، عاجلة

الى الوفاء بها بصيرتي .

واقبل يارب توبتي ، فإنها تصدر من إخلاص نيّتي ، ومحض من تصحيح بصيرتي ، واحتفالٍ في طويّتي واجتهاد في نقاء سريرتي ، وتثبيت لإنابتي ، مسارعةً الى أمرك بطاعتي .

واجلُ اللهمّ بالتوبة عنّي ظلمة الإصرار ، وامحُ بها ما قدّمتُه من الاوزار ، واكسُني لباس التقوى، وجلابيب الهدى ، فقد خلعتُ رِبق المعاصي عن جلدي ، ونزعتُ سربال الذنوب عن جسدي ، مستمسكاً ربّ بقدرتك ، مستعيناً على نفسي بعزّتك ، مستودعاً توبتي من النكث بحضرتك ، معتصماً من الخذلان بعصمتك مقارناً به لا حول ولا قوّة إلّا بك .

٧ ـ المناجاة بطلب الحجّ :

«بسم الله الرحمن الرحيم . اللهمّ ارزقني الحجّ الّذي فرضته على من استطاع اليه سبيلاً. واجعل لي فيه هادياً واليه دليلاً ، وقرّب لي بُعد المسالك .

وأعنّي على تأدية المناسك ، وحرّم بإحرامي على النار جسدي ، وزد للسفر قوّتي وجَلدي ، وارزقني ربّ الوقوف بين يديك ، والإفاضة اليك واظفرني بالنجح بوافر الربح .

واصدرني رب من موقف الحج الأكبر الى مزدلفة المشعر ، واجعلها زُلفة الى رحمتك ، وطريقاً الى جنّتك ، وقفني موقف المشعر الحرام ، و مقام وقوف الإحرام ، وأهّلني لتأدية المناسك ، ونحر الهدي التوامك بدم يثجّ ، وأوداج تمُجّ ، واراقة الدماء المسفوحة ، والهدايا المذبوحة ، وفَري أوداجها على ما أمرت ، والتنفّل بها كما وسمت .

وأحضرني اللهمّ صلاة العيد ، راجياً للوعد ، خائفاً من الوعيد ، حالقاً شعر رأسي ومقصّراً ، ومجتهداً في طاعتك ، مشمّراً ، رامياً للجمار ، بسبع بعد سبع من الأحجار ، وأدخلني اللهمّ عرصة بيتك وعَقْوَتك وأولجني محلّ أمنك وكعبتك ، ومشاكيك وسؤالك ووفدك ومحاويجك ، وجد عليّ اللهمّ بوافر الأجر ، من الإنكفاء والنّفر ، واختم اللهمّ مناسك حجّي ، وانقضاء عجّي ، بقبولٍ منك لي ، ورأفةٍ منك بي يا أرحم الراحمين».

٨ ـ المناجاة بكشف الظلم :

«بسم الله الرحمن الرحيم . اللهمّ إن ظلم عبادك قد تمكّن في بلادك ، حتّى أمات العدل ، وقطع السبل ، ومحق الحقّ ، وأبطل الصدق ، وأخفى البرّ ، وأظهر الشرّ ، وأخمد التقوى ، وأزال الهدى ، وأزاح الخير ، وأثبت الضير ، وأنمي الفساد ، وقوّى العناد ، وبسط الجور ، وعدى الطور .

اللهمّ يا ربّ لا يكشف ذلك إلّا سلطانك ، ولا يجير منه إلّا امتنانك اللهمّ ربّ فابتُر الظلم ، وبتّ حبال الغشم ، واخمد سوق المنكر ، وأعزّ من عنّه ينزجر ، واحصد شأفة اهل الجور ، وألبسهم الحور بعد الكور .

وعجّل اللهمّ إليهم البيات ، وأنزل عليهم المُثلات ، وأمت حياة المنكر ، ليؤمَن المخوف ، ويسكن الملهوف ، ويشبع الجائع ، ويحفظ الضائع ، ويأوى الطريد ، ويعود الشريد ، ويغني الفقير ، ويجار المستجير ، ويوقّر الكبير ، ويُرحم الصغير ، ويعزّ المظلوم ، ويذلّ الظالم ، ويفرّج المغموم ، وتنفرج الغمّاء ، وتسكن الدهماء ، ويموت الاختلاف ، ويحيى الائتلاف ، ويعلو العلم ، ويشمل السلم ، ويجمع الشتات ، ويقوى الإيمان ، ويُتلى القرآن ، إنك أنت الديّان ، المنعم المنّان» .

٩ ـ المناجاة بالشكر لله تعالى :

«بسم الله الرحمن الرحيم . اللهمّ لك الحمد على مردّ نوازل البلاء ، و توالي سبوغ النعماء ، وملمّات الضرّاء ، وكشف نوائب اللّأواء .

ولك الحمد ربّ على هنيئ عطائك ، ومحمود بلائك ، وجليل آلائك ، ولك الحمد على إحسانك الكثير ، وجودك الغزير ، و تكليفك اليسير ، ودفعك العسير .

ولك الحمد يا ربّ على تثميرك قليل الشكر ، واعطائك وافر الأجر ، وحطّك مثقل

الوزر ، وقبولك ضيق العذر ، ووضعك باهض الإصر ، وتسهيلك موضع الوعر ، ومنعك مفظع الأمر .

ولك الحمد على البلاء المصروف ، ووافر المعروف ، ودفع المخوف ، وإذلال العسوف .

ولك الحمد على قلّة التكليف ، وكثرة التخفيف ، وتقوية الضعيف ، وإغاثة اللهيف ، ولك الحمد رب على سعة إمهالك ، ودوام افضالك ، وصرف أمحالك ، وحميد أفعالك ، وتوالي نوالك .

ولك الحمد على تأخير معاجلة العقاب ، وترك مغافصة العذاب ، وتسهيل طريق المآب ، وإنزال غيث السحاب إنّك المنّان الوهاب» .

١٠ ـ المناجاة لطلب الحوائج :

«بسم الله الرحمن الرحيم . اللهمّ جدير من أمرته بالدعاء أن يدعوك ، ومن وعدته بالإجابة ان يرجوك.

وَلِيَ اللهمّ حاجة قد عجَزَت عنها حيلتي ، وكلّت فيها طاقتي ، وضعفت عن مرامها قوّتي ، وسوّلت لي نفسي الأمّارة بالسوء ، وعدوّي الغرور الّذي أنا منه مبتلى ، أن أرغب فيها الى ضعيف مثلي ، ومَن هو في النكول شكلي ، حتّى تداركتني رحمتك ، وبادرتني بالتوفيق رأفتك ، ورددت عليّ عقلي بتطوّلك ، وألهمتني رشدي بتفضّلك ، وأحييت بالرجاء لك قلبي ، وأزلت خدعة عدوّي من لبّي ، وصحّحت بالتأميل فكري ، وشرحت بالرجاء لإسعافك صدري ، وصوّرت لي الفوز ببلوغ ما رجوته ، والوصول الى ما أمّلته فوقفت اللهمّ ربّ بين يديك سائلاً لك ، ضارعاً اليك ، واثقاً بك ، متوكّلاً عليك في قضاء حاجتي ، وتحقيق اُمنيّتي ، وتصديق رغبتي .

اللهمّ وأنجحها بأيمن النجاح واهدها سبيل الفلاح ، واشرح بالرجاء لإسعافك

صدري ، ويسّر في أسباب الخير أمري ، وصوّر اليّ الفوز ببلوغ ما رجوته بالوصول الى ما أمّلته» .

ووفّقني اللهمّ في قضاء حاجتي ببلوغ أُمنيّتي ، وتصديق رغبتي ، وأعذني اللهمّ بكرمك من الخيبة والقنوط ، والأناة والتثبيط بهنيّ اجابتك وسابغ موهبتك .

اللهمّ إنّك مليّ بالمنائح الجزيلة ، وفيّ بها ، وأنت على كلّ شيءٍ قدير وبكل شيءٍ محيط وبعبادك خبير بصير .

٧ ـ في رحاب مواعظ الإمام الجواد (عليه السلام)

روى الحسن بن علي بن شعبة الحراني في باب مواعظ أبي جعفر الجواد (عليه السلام) أحاديث مرسلة نذكرها فيما يلي :

١ ـ قال له رجل : أوصني ؟ «قال(عليه السلام) : وتقبل ؟ قال : نعم . قال : توسّد الصّبر واعتنق الفقر ، وارفض الشّهوات ، وخالف الهوى ، واعلم أنّك لن تخلو من عين الله فانظر كيف تكون »[١].

٢ ـ وقال (عليه السلام) : «أوحى الله إلى بعض الأنبياء : أمّا زهدك في الدُّنيا فتعجّلك الرّاحة ، وأمّا انقطاعك إلي فيعزّزك بي ، ولكن هل عاديت لي عدواً وواليت لي وليّاً» .[٢]

٣ ـ وروي أنّه حمل له حمل بزٍّ له قيمة كثيرة ، فسل في الطّريق ، فكتب إليه الّذي حمله يعرّفه الخبر ، فوقّع بخطّه : « إنَّ أنفسنا وأموالنا من مواهب الله الهنيئة وعواريه المستودعة يمتّع بما متّع منها في سرور وغبطة ويأخذ ما أخذ منها في أجر وحسبة . فمن غلب جزعه على صبره حبط أجره ونعوذ بالله من ذلك »[٣].

(١) تحف العقول : ٣٣٥.

(٢) تحف العقول : ٣٣٥ .

(٣) تحف العقول: ٣٣٥.

٤ ـ وقال (عليه السلام) : « من شهد أمراً فكرهه كان كمن غاب عنه ، ومن غاب عن أمر فرضيه كان كمن شهده »[١]

٥ ـ وقال (عليه السلام) : « من أصغى إلى ناطق فقد عبده ، فإن كان النّاطق عن الله فقد عبدالله ؛ وإن كان النّاطق ينطق عن لسان إبليس فقد عبد إبليس » . [٢]

٦ ـ قال له أبو هاشم الجعفريّ في يوم تزوّج امّ الفضل ابنة المأمون : «يامولاي لقد عظمت علينا بركة هذا اليوم . فقال (عليه السلام) : يا أباهاشم عظمت بركات الله علينا فيه ؟ قلت : نعم يامولاي ، فما أقول في اليوم؟ فقال : قل فيه خيراً ، فإنّه يصيبك . قلت : يامولاي أفعل هذا ولا اخالفه . قال (عليه السلام) : إذاً ترشد ولا ترى إلّا خيراً »[٣].

٧ ـ وكتب(عليه السلام) إلى بعض أوليائه : « أمّا هذه الدُّنيا فإنّا فيها مغترفون ولكن من كان هواه هوى صاحبه ودان بدينه فهو معه حيث كان ، والآخرة هي دار القرار » . [٤]

٨ ـ وقال (عليه السلام) : « تأخير التّوبة اغترار ، وطول التّسويف حيرةٌ ، والاعتلال على الله هلكة ، والإصرار على الذّنب أمن لمكر الله ﴿ ولا يأمن مكر الله إلّا القوم الخاسرون ﴾» [٥].

٩ ـ وروي أنّ جمّالاً حمله من المدينة إلى الكوفة فكلّمه في صلته وقد كان أبو جعفر (عليه السلام) وصله بأربعمائة دينار ، فقال (عليه السلام) : «سبحان الله ؛ أما علمت أنّه لا

(١) تحف العقول : ٣٣٦.
(٢) تحف العقول : ٣٣٦.
(٣) تحف العقول : ٣٣٦.
(٤) تحف العقول : ٤٥٦ .
(٥) تحف العقول : ٤٥٦ .

ينقطع المزيد من الله حتى ينقطع الشُّكر من العباد » . (١)

١٠ ـ وقال (عليه السلام) : « إظهار الشّيءِ قبل أن يستحكم مفسدةٌ له » . (٢)

١١ ـ وقال (عليه السلام) : « المؤمن يحتاج إلى توفيق من الله وواعظ من نفسه وقبول ممّن ينصحه » . (٣)

١٢ ـ روى الشيخ المفيد باسناده عن عليّ بن مهزيار ، عن بكر بن صالح قال : كتب صهر لي إلى أبي جعفر الثّاني صلوات الله عليه : إنَّ أبي ناصب خبيث الرَّأي ، وقد لقيت منه شدّة وجهداً ، فرأيك ـ جعلت فداك ـ في الدُّعاءِ لي ، وما ترى ـ جعلت فداك ـ ؟ أفترى أن أكاشفه أم أُداريه ؟

فكتب (عليه السلام) : « قد فهمت كتابك وما ذكرت من أمر أبيك ، ولست أدع الدُّعاءَ لك إن شاء الله ، والمداراة خير لك من المكاشفة ، ومع العسر يسر ، فاصبر فإنَّ العاقبة للمتّقين . ثبّتك الله على ولاية من تولّيت ، نحن وأنتم في وديعة الله الّذي لا تضيع ودائعه ».

قال بكر : فعطف الله بقلب أبيه [عليه] حتّى صار لا يخالفه في شيء . (٤)

١٣ ـ وقال : « ملاقاة الإخوان نشرة وتلقيح للعقل وإن كان نزراً قليلاً » . (٥)

١٤ ـ عن أبي هاشم الجعفري قال : سمعت أبا جعفر (عليه السلام) يقول : «انّ في الجنّة باباً يقال له المعروف لا يدخله إلّا أهل المعروف فحمدت الله تعالى في نفسي وفرحت بما اتكلف من حوائج النّاس، فنظر اليّ (عليه السلام) ، فقال : نعم تمّ على ما انت عليه فإنّ أهل المعروف في دنياهم هم أهل المعروف في الآخرة جعلك الله منهم يا أباهاشم

(١) تحف العقول : ٣٣٥.
(٢) تحف العقول : ٣٣٦.
(٣) تحف العقول : ٣٣٦.
(٤) أمالي المفيد : ١٩١.
(٥) أمالي المفيد : ٣٢٩.

ورحمك » .[١]

١٥ ـ عنه ، عن أبي هاشم الجعفري قال : «سأل محمد بن صالح الأرمني عن قول الله تعالى : ﴿ لله الأمر من قبل ومن بعد ﴾ : فقال (عليه السلام) : من قبل ان يأمر ولله الأمر من بعد ان يأمر بما يشاء»، فقلت في نفسي : هذا تأويل قول الله تعالى : ﴿ ألا له الخلق والأمر تبارك الله احسن الخالقين ﴾ فقلت : اشهد انّك حجّة الله وابن حجّته على العباد».[٢]

١٦ ـ وقال (عليه السلام) : « من أطاع هواه أعطى عدوّه مناه ».

١٧ ـ وقال (عليه السلام) : « راكب الشهوات لا تستقال له عثرة » .[٣]

١٨ ـ وقال (عليه السلام) : « نعمة لا تشكر كسيئة لا تغفر » .[٤]

١٩ ـ وقال (عليه السلام) : «كيف يضيع من الله كافله ، وكيف ينجو من الله طالبه ، ومن انقطع الى غير الله وكّله الله اليه » .[٥]

٢٠ ـ وقال (عليه السلام) : « اتّئد تصب أو تكد » .[٦]

٢١ ـ وقال (عليه السلام) : « من لم يعرف الموارد أعيته المصادر » .[٧]

٢٢ ـ وقال (عليه السلام) : « من انقاد إلى الطمأنينة قبل الخبرة ، فقد عرض نفسه للهلكة والعاقبة المتعبة » .[٨]

---

(١) الثاقب في المناقب : ٢٢٦ .
(٢) الثاقب في المناقب: ٢٢٦ .
(٣) بحار الأنوار : ٧٠ / ٧٨ .
(٤) بحار الأنوار : ٧١ / ٥٣ .
(٥) بحار الأنوار : ٧١ / ١٥٥ .
(٦) بحار الأنوار: ٧١ / ٣٤٠ .
(٧) بحار الأنوار: ٧١/ ٣٤٠ .
(٨) بحار الأنوار: ٧١/ ٣٤٠ .

٢٣ ـ وقال (عليه السلام) : « من هجر المداراة قاربه المكروه » . (١)

٢٤ ـ وقال (عليه السلام) : « اياك ومصاحبة الشرير فإنه كالسيف المسلول يحسن منظره ويقبح أثره » . (٢)

٢٥ ـ وقال (عليه السلام) : « عزّ المؤمن غناه عن الناس » . (٣)

٢٦ ـ وقال (عليه السلام) : « لا يضرّك سخط من رضاه الجور » . (٤)

٢٧ ـ وقال (عليه السلام) : « كفى بالمرء خيانة ان يكون أميناً للخونة » . (٥)

٢٨ ـ وقال (عليه السلام) : « من عمل على غير علم ما يفسد اكثر مما يصلح » . (٦)

٢٩ ـ وقال (عليه السلام) : « القصد الى الله تعالى بالقلوب ابلغ من اتعاب الجوارح بالاعمال » . (٧)

٣٠ ـ وقال (عليه السلام) : « من عتب من غير ارتياب اعتب من غير استعتاب » . (٨)

٣١ ـ وقال (عليه السلام) : « الثقة بالله ثمن لكلّ غال وسلّم الى كل عال » . (٩)

٣٢ ـ وقال (عليه السلام) : « اذا نزل القضاء ضاق الفضاء » . (١٠)

٣٣ ـ وقال (عليه السلام) : « غنى المؤمن غناه عن الناس » . (١١)

---

(١) بحار الأنوار : ٧١ / ٣٤١ .
(٢) بحار الأنوار : ٧٤ / ١٩٨ .
(٣) بحار الأنوار : ٧٥ / ١٠٩ .
(٤) بحار الأنوار: ٧٥/ ٣٨٠ .
(٥) بحار الأنوار: ٧٥/ ٣٨٠ .
(٦) بحار الأنوار : ٧٨ / ٣٤٦ .
(٧) بحار الأنوار: ٧٨ / ٣٦٤ .
(٨) بحار الأنوار: ٧٨/ ٣٦٤ .
(٩) بحار الأنوار: ٧٨/ ٣٦٤ .
(١٠) بحار الأنوار: ٧٨/ ٣٦٤ .
(١١) بحار الأنوار: ٧٨/ ٣٦٤ .

٣٤ ـ وقال (عليه السلام) : « من لم يرض من اخيه بحسن النيّة لم يرض بالعطية » .[١]

٣٥ ـ وقال (عليه السلام) : « قد عاداك من ستر عنك الرشد اتباعاً لما تهواه » .[٢]

٣٦ ـ وقال (عليه السلام) : « الحوائج تطلب بالرّجاء وهي تنزل بالقضاء ، والعافية أحسن عطاء » .[٣]

٣٧ ـ وقال (عليه السلام) : « لا تعادي أحداً حتّى تعرف الّذي بينه وبين الله تعالى ، فإن كان محسناً فإنّه لا يسلّمه إليك وإن كان مسيئاً فإن علمك به يكفيكه فلا تعاده » .[٤]

٣٨ ـ وقال (عليه السلام) : « لا تكن وليّاً لله في العلانية ، عدوّاً له في السرّ » .[٥]

٣٩ ـ وقال (عليه السلام) : « التّحفّظ على قدر الخوف » .[٦]

٤٠ ـ وقال (عليه السلام) : « الأيّام تهتك لك الأمر عن الأسرار الكامنة » .[٧]

٤١ ـ وقال (عليه السلام) : « تعرف عن الشيء إذا صنعته لقلّة صحبته إذا أعطيته » .[٨]

٤٢ ـ عن أبي جعفر محمد بن علي بن موسى عن أبيه علي عن أبيه موسى عن آبائه عن علي(عليه السلام) . قال : « بعثني النبي(صلى الله عليه وآله) الى اليمن فقال لي وهو يوصيني : ياعلي ما خاب من استخار ، ولا ندم من استشار ، ياعلي عليك بالدُّلجة فإن الارض تطوى بالليل ما لا تطوى بالنهار ، ياعلي اغد بسم الله فإن الله بارك لأُمتي في بكورها » .[٩]

٤٣ ـ عنه (عليه السلام) قال : « من استفاد أخاً في الله فقد استفاد بيتاً في الجنة » .

---

(١) بحار الأنوار: ٣٦٤/٧٨ .

(٢) بحار الأنوار: ٣٦٤/٧٨ .

(٣) بحار الأنوار : ٧٨ / ٣٦٥ .

(٤) بحار الأنوار : ٧٨ / ٣٦٥ .

(٥) بحار الأنوار : ٧٨ / ٣٦٥ .

(٦) بحار الأنوار : ٧٨ / ٣٦٥ .

(٧) بحار الأنوار : ٧٨ / ٣٦٥ .

(٨) بحار الأنوار : ٧٨ / ٣٦٥ .

(٩) تاريخ بغداد : ٣ / ٥٤، والوفيات : ٣ / ٣١٥ .

٤٤ ـ عنه (عليه السلام) انه قال : « لو كانت السموات والارض رتقاً على عبد ثم اتقى الله تعالى لجعل منها مخرجاً » .

٤٥ ـ وقال (عليه السلام) : « انه من وثق بالله أراه السرور » .

٤٦ ـ وقال (عليه السلام) : « من توكل على الله كفاه الأمور » .

٤٧ ـ وقال (عليه السلام) : « الثقة بالله حصن لا يتحصن فيه إلّا المؤمن » .

٤٨ ـ وقال (عليه السلام) : « التوكل على الله نجاة من كل سوء وحرز من كل عدو » .

٤٩ ـ وقال (عليه السلام) : « الدين عز والعلم كنز والصمت نور وغاية الزهد الورع ولاهدم للدين مثل البدع ولا افسد للرجال من الطمع وبالراعي تصلح الرعية وبالدعاء تصرف البلية » .

٥٠ ـ وقال (عليه السلام) : « من ركب مركب العمر اهتدى الى مضمار النصر ومن شتم اجيب ومن غرس اشجار التقى اجتنى أثمار المنى » .

٥١ ـ وقال (عليه السلام) : « اربع خصال تعين المرء على العمل، الصحة والغنى والعلم والتوفيق » .

٥٢ ـ وقال (عليه السلام) : « ان لله عباداً يخصّهم بدوام النعم فلا تزال فيهم ما بذّلوا لها فإذا منعوها نزعها عنهم وحوّلها الى غيرهم » .

٥٣ ـ وقال (عليه السلام) : « أهل المعروف الى اصطناعه احوج من أهل الحاجة اليه لأن لهم اجره وفخره وذكره فما اصطنع الرجل من معروف فإنما يبدأ فيه بنفسه » .

٥٤ ـ وقال (عليه السلام) : « من أمّل انساناً هابه ومن جهل شيئاً عابه والفرصة خلسة ومن كثر همّه سقم جسده وعنوان صحيفة المسلم حسن خلقه » .

٥٥ ـ وقال (عليه السلام) في موضع آخر : « عنوان صحيفة السعيد حسن الثناء عليه » .

٥٦ ـ وقال (عليه السلام) : « الجمال في اللسان والكمال في العقل » .

٥٧ ـ وقال (عليه السلام) : « العفاف زينة الفقر، والشكر زينة الغنى، والصبر زينة البلا، والتواضع زينة الحسب، والفصاحة زينة الكلام، والحفظ زينة الرواية، وخفض الجناح زينة العلم، وحسن الأدب زينة العقل، وبسط الوجه زينة الكرم، و ترك المن زينة المعروف، والخشوع زينة الصلوة، والتنفل زينة القناعة، و ترك ما يعني زينة الورع » .

٥٨ ـ وقال (عليه السلام) : « حسب المرء من كمال المروة ان لا يلقى أحداً بما يكره، ومن حسن خلق الرجل كفه أذاه، ومن سخائه بره بمن يجب حقه عليه، ومن كرمه ايثاره على نفسه، ومن صبره قلة شكواه، ومن عقله انصافه من نفسه، ومن انصافه قبول الحقّ اذا بان له، ومن نصحه نهيه عما لا يرضاه لنفسه، ومن حفظه لجوارك تركه توبيخك عند اشنائك مع علمه بعيوبك، ومن رفقه تركه عذلك بحضرة من تكره، ومن حسن صحبته لك كثرة موافقته وقلة مخالفته، ومن شكره معرفته احسان من احسن اليه ومن تواضعه معرفته بقدره، ومن سلامته قلة حفظه لعيوب غيره و عنايته بصلاح عيوبه » .

٥٩ ـ وقال (عليه السلام) : « العامل بالظلم والمعين له والراضي شركاء»[١] .

٦٠ ـ وقال (عليه السلام) : « يوم العدل على الظالم اشد من يوم الجور على المظلوم » .

٦١ ـ وقال (عليه السلام) : « من اخطأ وجوه المطالب خذلته وجوه الحيل والطامع في وثاق الذلّ ومن طلب البقاء فليعد للمصائب قلباً صبورا » .

٦٢ ـ وقال (عليه السلام) : « العلماء غرباء لكثرة الجهال بينهم » .

٦٣ ـ وقال (عليه السلام) : « الصبر على المصيبة مصيبة للشامت » .

٦٤ ـ وقال (عليه السلام) : « مقتل الرجل بين فكيه والرأي مع الأناة وبئس الظهر و بئس الظهير الرأي القصير الرأي الفطير » .

٦٥ ـ وقال (عليه السلام) : « ثلاث خصال تجلب بها المودة: الانصاف والمعاشرة

(١) كشف الغمة: ٣٤٨/٢.

والمواساة والشدة والانطواء على قلب سليم ».

٦٦ ـ وقال (عليه السلام) : « الناس اشكال وكلّ يعمل على شاكلته ، والناس اخوان فمن كانت اخوته في غير ذات الله تعالى فإنها تعود عداوة، وذلك قوله عزّ وجلّ : ﴿الاخلاء بعضهم لبعض عدو الا المتقين﴾ ».

٦٧ ـ وقال (عليه السلام) : «من استحسن قبيحاً كان شريكاً فيه ».

٦٨ ـ وقال (عليه السلام) : « كفر النعمة داعية للمقت ومن جازاك بالشكر فقد اعطاك اكثر ممّا أخذ منك ».

٦٩ ـ وقال (عليه السلام) : « لا تفسد الظن على صديق قد اصلحك اليقين له، ومن وعظ أخاه سرّاً فقد زانه ومن وعظه علانية فقد شانه ».

٧٠ ـ وقال (عليه السلام) : « كل الشريف من شرفه علمه والسؤدد كل السؤدد لمن اتقى الله ربه ».

٧١ ـ وقال (عليه السلام) : « لا تعالجوا الأمر قبل بلوغه فتندموا ولا يطولن عليكم الأمد فتقسو قلوبكم وارحموا ضعفاءكم واطلبوا من الله الرحمة بالرحمة فيهم ».

٧٢ ـ وقال (عليه السلام) : « من أمّل فاجراً كان أدنى عقوبته الحرمان ».

٧٣ ـ وقال (عليه السلام) : « موت الانسان بالذنوب اكثر من موته بالأجل وحياته بالبر أكثر من حياته بالعمر[1] ».

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين

(١) الفصول المهمة : ٢٧٤ ـ ٢٧٥.

الفهرس التفصيلي

الباب الرابع